

Mngool.com

شبه جزيرة العرب

نجد

محمود شاكر

المكتب الاسلامي

مقوق إطبمع محفوظة

للمؤلف

١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م

المكتب الاسلامي : بيروت ص٠ب ١١/٣٧٧١ برقا اسلاميا .

دمشق ص٠ب : ٨٠٠ برقا : اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فنجد أرض داخلية عاشت فيها قبائل عربية قبل الاسلام وبعده ، وعندما بدأت الفتوحات الاسلامية أسهمت فيها وأبليت البلاء الحسن ، فلما توقفت الفتوحات كان من المجاهدين من استقر في الأرض التي وصل إليها ، ومنهم من عاد الى موطنه الأول في نجد محافظاً على عاداته وتقاليده التي نبتت من عقيدته ، لم يتأثر بانتقاله ، ولم يبدل شيئاً بترحاله .

ولبعد نجد عن التيارات العالمية لوقعها الداخلي لم تدخل إليها كلمات غريبة ، ولم تأخذ الفاظاً أجنبية . ولطبيعة الحياة البدوية فيها أيضاً والتي يصعب عليها التأثر بسرعة فقد احتفظت نجد بكثير من اللغة الفصحى وأصولها ، ومن المعلوم أنه عندما كان الرجل الذي يريد لولده سلامة اللسان وفصاحة الكلام يرسله إلى البادية ليعيش بين أبنائها ، يتعلم أسلوب البيان ، ويعرف البلاغة . كانت البادية هكذا ولا زالت إذا استثنينا اللهجة المحلية في اللفظ وسرعة النطق ، وما دخلها في الآونة الأخيرة من غريب ، وما جاءها من مستعجم .

ولم تدخل نجداً إلى الآن جيوش غريبة حيث لا يشجع فقرها ، ولا يطمع فيها لبعدها ، إضافة إلى بعد الطريق ووعورتها ، وكثرة

الإمكانات التي تحتاج إليها تلك الجيوش وضخامة التكاليف التي تتطلبها الجنود ، كل هذا جعل من الصعب الوصول إليها ، فنجت من الاستعمار على حين ابتلي به غيرها ، واكتفي منها بالبعد عنها ، وترك الأمر لأهلها يتنازعون فيما بينهم ، فما وصلت إليها إلا جيوش عربية ، وما احتلها إلا جنود انطلق أكثرهم من قلب جزيرة العرب بالذات فالعربي يعرف أرضها ، ويصبر على جنبها ، ويتحمل مشاقها ، وهو ليس بعيداً عنها ، ولا غريباً عن أهلها .

ولما كان البدوي يعتمد في الحفظ على الذاكرة لا على التدوين لنا فقد احتفظ كثير من الرواة بالحديث النبوي الشريف ، وكان علماء الحديث ينتقلون إلى البادية أيضاً لسماعه وأخذه وتدوينه ولهذا كانت زيارة نجد لا تنقطع ، ولا ينفك العلماء من الرحيل إليها ، والأخذ منها والتلقي عن علمائها ، كما كان هذا المكان موطناً لمعرفة القبائل والأنساب ...

لهذا كله نستطيع أن نقول : إن نجداً كانت متحف العربية . . ونحن بحاجة إلى معرفة هذا المتحف وما فيه من آثار ، وما شابه مع الزمن من مؤثرات وما حدث فيه من تفاعلات . لذا لا بد من التعرف على هذا المكان وزيارته والوقوف على بعض معالمه ، ولما كان القصد من هذه الزيارة التعرف فقط على بعض الملامح والسمات لذا فلن نفحص كل ما في المتحف فحصاً دقيقاً ونُعرف عليه تعريفاً وافياً وإنما نكتفي بالوقوف عليه ، ولن يجد القارئ كل ما يريد من تحليل وتعليل ، وإنما يقف على الخطوط العريضة فيه . وقد قسمت البحث إلى خمسة أبواب .

تكلمت في الباب الأول عن جغرافية المنطقة والمحت إلى مناخها ومياهها وأوديتها وأقسامها وما فيها من مشروعات وتحدثت في الباب الثاني عن نسب السكان وأشهر القبائل العربية في المنطقة .

ووقفت في الباب الثالث على اطلال من التاريخ لنجد حتى
قيام السعوديين بالأمر .

وخصصت الباب الرابع للسعوديين ، ودولهم التي حكمت
المنطقة . . دون أن أتوسع في ذلك . .

وأخيراً تحدثت في الباب الخامس عن بعض العادات الاجتماعية
المعروفة في نجد دون أن أتمكن من الحديث مفصلاً عن كل شيء . .
وأخيراً فاني أرجو من الله سداد الخطأ والتوفيق فهو نعم
المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين .

الرياض : ١٦ جمادى الآخرة ١٣٩٦ هـ

الموافق ١٤ حزيران ١٩٧٦ م .

محمود شاكر

الفصل الاول

في ربوع الجزيرة

في كثيرٍ من أرض العالم وبقاع الدنيا مناظر خلاّبة ومواقع فتّانة ، وكثير من أرجاء الارض حباها الله بما لم يجب غيرها فكانت لأهلها جناحاً ولسكانها نعمة ، يرى فيها أبنائها كل ماترتاح إليه الأبصار ويسعد به الفؤاد . والجزر في العالم كثيرة ، وأشباهها أكثر ، موزعة في كلّ القارات ، مبعثرة في كلّ المحيطات والبحار ، متناثرة كتناثر اللؤلؤ ، أو متقاربة متجمعة ، بعضها الكبير المعروف والغني المشهور ، وبعضها الصغير المجهول والفقير المغمور ، بعضه يكتظّ بالسكان ، ويرتحل إليه الزوار ، ويؤمّه السّواح ، تمخر إليه السفن ، وتنطلق البواخر ، تحمل منه أو تجلب البضائع إليه ، موقعه مركز هام ، ومركزه قاعدة ذات شأن ، وقاعدته بؤرة انطلاق ومركز جميع ومنطقة تمّوين ، إذا سيطرت عليه دولة ملكت ، وإن تملّكته قوة عزّت وامتدّ سلطانها وتوسّع ، وبعضها لا يقيم عليه الناس ، ولا يمر به طريق ، ولا يلجأ إليه ولا يقصده مسافر ، فهو في الرسم مهمل وفي الدراسة مغفل .

هذا شأن الجزر وخبر مواطن أهل الأرض ومغاني السكان .

أما جزيرتنا التي نحن في ربوعها ومحطّ أنظارنا ، وموضع
دراستنا فهي جزيرة العرب ، التي اصطفّاها الله من بين أراضيه
الواسعة ، لتكون في صفاتها هذه التي وهبها الله لها ، فإذا كانت
كلّ أرض لأهلها شامة ، فهي شامة لكلّ أهل الأرض لكونها :

١ - مهد البشرية الأول حيث نشأ الانسان آدم عليه
السلام ، وفيها التقى وتعرّف على أم البشر حواء ، وفيها تكاثر
البشر ، ومنها انطلق ، وما يذكر امرؤ أصل الخلق الأول إلا وترنو
عينه إلى هذه البقعة ، وتهفو نفسه إلى هذا الموضع الأول •

٢ - مكان البيت الأول الذي بناه أبو الانبياء ابراهيم وابنه
اسماعيل عليهما السلام ، وهنا أسكن ابراهيم ذريته ، ودعا ربه
ليكون هذا المكان ، هذا الوادي غير ذي الزرع مقراً تهوي إليه
أفئدة الناس من كلّ جانب « ربّنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ
غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة
من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون ^(١) » ،
« وأذّن في الناس بالحقّ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين
من كلّ فجٍّ عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلّوا منها وأطعموا
البائس الفقير ^(٢) » •

(١) سورة ابراهيم الآية ٣٧ •

(٢) سورة الحج الآية ٢٧ - ٢٨ •

٣ - مركز هبوط الوحي ، على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وانطلاق دعوة صلاح البشرية وخير الانسانية . فمنها انطلقت الدعوة ، ومنها انساحت الجيوش تدك حصون الظلم ، وتقتلع جذور الجاهلية حتى كادت تطيح بمعظمها من على وجه الأرض المعمورة آنذاك . فبهذا لها فضل على العالم ، وبهذا فهي شامة أهل الدنيا جميعاً لا شامة أهلها وسكانها فقط ، هذا رغم فقرها وجذب أرضها ، رغم قحلتها وقحط سماءها .

استمر هذا مكان الجزيرة منذ أن أوجد الله الخلق ، وسيستمر هذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وقد زادها الله خيراً وجباها نعمة فوق نعمة فإذا برمالها اعسجد وعقيق ، وإذا بأرضها تدخر الماء الكثير ، وتخزن النفط الوفير ، وتحتفظ بالمعدن الثمين . وإذا بالمياه تنبجس على شكل عيون ، وإن كانت ضحلة إلا أنها أوجدت الواحات وزادتها وأئمت المزروعات وأزكتها ، ووفرت الخيرات وأكثرتها بإذن ربها ، فإذا يقع خضراء ذات حدائق غناء وسط هذه الصحراء وداخل هذه المناطق القفراء .

وإذا بالنفط يتدفق من مكنه ليسد حاجات العالم ، فتسرع الدول نحوها تغرف مما أنعم الله عليها ، أو تتجه بأبصارها نحوها تتمنى أن يكون لها مال هذه الجزيرة التي كانت قفراء بلقماً .

إضافة إلى هذا وذاك فالجزيرة في وسط الأرض يمر فيها القادم من شرقها سائراً نحو غربها ، ويتجه المشرق إليها من

مغربها ، ويجتازها المسافر من جنوبها إلى الشمال • وتشرف على مضائق وممرات تعتبر من القليلة في أهميتها ، وتملك قواعد استنادٍ ومراكز انطلاقٍ يظهر أنها الفريدة في موقعها •

هذه الجزيرة كانت في القديم يوم أن خلق الله الأرض وسط قارة طويلة وكبيرة من أجزائها اليوم البرازيل في أميركا الجنوبية وإفريقية وشبه جزيرة العرب وشبه جزيرة الهند وأستراليا ، وكانت تعرف باسم قارة « غوندوانا » ، ويحاذيها من الشمال بحر طويل يعرف باسم بحر « تيتس » يفصلها عن قارة أخرى تشبهها تقع في شماله ، ومن هذه الاجزاء الثلاثة تتكون أرض الله التي عليها نحيا نحن اليوم •

تحطمت قارة « غوندوانا » خلال الزمنين الأول والثاني الجيولوجيين ، فانفصلت كتلة افريقية وبلاد العرب عما حولها عند تكون المحيطين الهندي والأطلسي ، ولم يحدث الانفصال بين بلاد العرب وإفريقية إلا في الزمن الثالث •

تتألف شبه الجزيرة من الصخور النارية القدية الصلبة والمتبلورة قوامها الغرانيت ، وتكثر بينها الصخور المتحولة من الغنايس والشيسيت والصخور البركانية المتنوعة والصخور الخضراء الاندفاعية •

هذه الصخور القاسية قد قاومت الحركات الالتوائية في جميع الأزمنة ، ولم يطغ البحر على كل الجزيرة في أي زمن من

الآزمئة الجيولوجية ، وإنما غطى أطرافها وترك تكوينات سميكة منها على أجزائها الشمالية ، تألفت السفلى منها من الحجر الرملي النوبي ، وكانت في الشرق الصخور الكلسية .

وفي النصف الأول من الزمن الثالث حدثت حركة التواء عظيمة في الطرف الغربي للجزيرة أدت بتصدعها إلى حدوث منخفض البحر الأحمر ، وفي نهاية هذا الزمن حصلت حركة التواء أخرى تأثر بها جنوب شرقي الجزيرة فكانت مرتفعات عمان والجبل الأخضر ، ومجموعة من الالتواءات الخفيفة المتفرقة والقصيرة الممتدة من جنوبي العراق حتى عمان وتحتوي هذه الالتواءات على مكامن النفط . كما أنه في هذا العصر حدثت صدوع أدت الى فصل بلاد العرب عن إفريقية بشكل تام ، وامتدت من الشمال الى الجنوب من العقبة حتى مضيق باب المندب ، وكذلك على السواحل الجنوبية من المضيق المذكور حتى رأس الشربتات عند جزر قوريه موريه . وقد رافق هذه الانكسارات كثرة من المقذوفات البركانية ومعظمها من نوع الغطاء البركاني الذي يعرف باسم « اللابا » وهي التي يطلق عليها في بلاد العرب اسم حرات .

وفي الزمن الرابع أخذت الجزيرة العربية شكلها الحالي تقريباً ، وشاعت إرادة الله أن يكون البشر الأول على هذه البقعة من الأرض فكان .

الفصل الثاني

نجد

تتألف الجزيرة العربية من عدة مناطق تختلف في تضاريسها بعضها عن بعض ، منها :

١ - نجد : هضبة وسط الجزيرة بين الحجاز والدهناء تحفّ بها الصحراء من جهاتها الثلاث ، فالربع الخالي يحيط بها من الجنوب ، والدهناء تحديق بها من الشرق ، والنفود الكبرى تحدها من الشمال وتفصلها عن بلاد الشام والعراق ، أما من جهة الغرب فتحجزها جبال الحجاز عن البحر ، وهي تتصل بها وتلتصق فيها .

نجد : كلمة فيها معاني الاعتلاء والقوة والاشراف ، فهي هضبة تعلو على ما حولها من أرض ، فالصحارى التي ذكرناها أقل منها ارتفاعاً . وتعلو على ماحولها في أنها تصلح للعمران وسكنى البشر بينما تحديق بها مناطق لا تألف الإنس ولا يألفها . وتعلو على ماحولها بما فيها من مياه تروي ساكنها فيشعر بالإنعاش والإرتواء ويكاد يخلو كل مايجاورها من أثر للماء فساكنه في ظمأ مستمر ، وتحت لظى الشمس مما يزيده حاجة للشرب ، وإن وجد أثر للماء فهو من نجد فهناك مصدره ، وهناك

أصله حيث تفيض الكثير من أودية نجد في رمال المناطق المجاورة لها ، وفيها تنتهي ، وإليها تؤول • وهي تعلو على ماحولها بترتبه الخصبة الصالحة للزراعة والإنبات بينما كان مايجاورها من أراض ذات رمال وكثبان لا تنبت زرعاً ولا تمسك ماء •

نجد : كلمة فيها من معاني القوة مافيه ، فالنجد هو ماارتفع من الأرض وصلب ، فليس كل مرتفع نجداً ، وإنما هو الأرض الصلبة التي تكسرت أطرافها لصلابتها ، وبقي وسطها عاتياً مشكلاً النجد ، فهو لم يشن مع التواء ، ولا يلين مع حركة باطنية ، هذا من معاني قوة الأرض ، ومن هذا استمد السكان رفضهم الخضوع لغاصب ، وأتفه الذل ، يعيشون في بيدائهم أحراراً وفي فيافهم كراماً • وخلال العصور الطويلة كانت تقوم في نجد حركات ترفض كل رأي إلا رأيها ولا تقبل إلا بما تقتنع هي به ، لا تعرف المساومة ولا أنصاف الحلول ، وتأبى إلا الشدة في تطبيق ماتراه هو الحق •

نجد : كلمة فيها من معاني الإشراف ، فهو يشرف بارتفاعه على ماحوله فيجعل الانسان يسبح بنظره في ذلك الأفق الرحب فلا حاجز يحول دون أن يأخذ النظر مداه الطبيعي ، ولا حائل يحجز العين من أن تجيل طرفها في أماكن شاسعة ، وهذا ما جعل اتساع النظر ورحابة الأفق عند السكان • وهذا الإشراف جعل هواءه أكثر لطافة ونسيمه أكثر عذوبة ، ولقد أكثر شعراء العربية القول في طيب ترابه وجودة هوائه وحسن نباته •

نجد : كلمة عذبة فيها معنى النجدة لمن يستنجد والنصر لمن يستنصر ، وهل أجمل من إغاثة الملهوف ، ونجدة المكروب ، ومساعدة من يطلب النصر ، وقد جبل السكان على هذه المعاني ، ويشهد التاريخ تطبيق هذه البقعة من الأرض لهذه المعاني •

نجد : الطريق العالي الذي يرى منه سالكه كل مايسيره ، وما يعترضه ، فهو يسير في مرتفع يرى ما على الجانبين ، يمشي وهو مطمئن الخطى ، واثقاً من الوصول بإذن الله • وهو الدرب الواضح للبين والطريق الظاهر ، منار يظهر من بعيد يتجه الإنسان نحوه ، أو مظلم يعرف بالغموض والانسداد ، وهديناه النجدين طريق الخير العالي المنار أو طريق الشر المظموس الذي لا يلج فيه إلا من أعشى الله بصيرته أو أظلم ناظريه ، دخله ولا يرى ، وسلكه ولم يصر •

نجد : مصطبة أهل الصحارى ، المصطبة التي يجلس عليها أولئك السمار يتحدثون في ضوء القمر ، لا يحجبهم عن نوره مانع ، ولا يغادرهم حتى ينتهي سمرهم أو يكون الأفق الغربي قد حجز بينهم وبينه • أما على غير تلك المصطبة فلا يلبث القمر أن يدعهم ، يفرق بينهم نجد ، أو يحول بينهم كتيب أو تل ، أو يصل بينهم مرتفع أو قمة •

نجد : ذلك المكان الذي ترنو إليه أعين سكان الصحارى لحيطه فيرون به رياضهم ويرون به نعيمهم ، ومن هنا كثرت

أسماء الروضة والروضة والرياض فيه ، أسماء أطلقها سكان
المناطق المقفرة فذهبت تعطي نظرة الأمل إلى هذه البقاع وتدل
على ما في أرضه من طيب .

نجد : ذلك المرتفع الذي تهبّ عليه نسيمات الريح اللطيفة
بعد أعصر أيام الصيف اللاهب فيشعر القاطنون بأثر تلك النسيمات
تداعب أجسامهم فتعيد إليهم النشاط وهناءة الحياة بعد أن كاد
يقتلها حرّ الظهيرة ، فيخرجون من أماكنهم يتنشقون الهواء العليل
في الفلاة . وتتسم في الليل نفحات عذبة ليس في عذوبتها إلا
نسيمات أشهر المصايف . هذه النفحات وتلك النسيمات لا يعرفها
رحّال الصحارى المجاورة في بواديهم ، لذا يستشعرون ريح نجد
أنما انتقلوا ، وحيثما هبت ريح هادئة أو نسمة نشطة أعادوها إلى
نجد أو ظنّوا أنها من هوائه .

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

لقد زادني مسراك وجداً على وجا

نجد : ذلك المتسع الذي يعتبر صيفه لافحاً لاهباً فينقل
إلى الجو الصحراوي ، فيسوده في النهار سكون رهيب ، فكل
شيء صامت يقبع في مقره يلتمس الظلّ ، ويخشى الشمس
والسماء من فوقه غطاء أزرق لا يحجبه غيم ، ولا يستره سحب
وتوسطها الشمس وكأنها قرص ذهبي يرسل أشعة لتلهب الرمل
الأسود والصخر الأصلد ، ولتحرّق بقايا سوق نباتات جافة كأن

مرّ عليها دهر طويل ، ويخيل للإنسان أن الصخر يتوهج ويئن من قسوة هذه الأشعة وشدتها ، وليس هناك من ظلّ يقيها أو حاجز يمنع من وصولها إليه . وأما الليل فهو أشد رهبة لظلمته ، وإن كان أقلّ سكوناً لأن الحيوانات التي اختفت في جحورها اتقاءً من شرّ حرارة النهار خرجت من مخابئها تسعى وراء الغذاء ، أو ترد الماء ، فلأفاعي فحيحها ، وللأرانب قفزاتها وللغزلان عدوها ، وإذا ما كان هناك منخفض فيه مستنقع علم كلّ مخلوق أنّه مقصود من قبل كلّ الحيوانات ، فهو مكان وردّها ، وأمل غذائها ، فكلّ حيوان يتحيّن بالآخر الفرصة ، فكم من ذئب ضارٍ يستعدّ للوثوب على غزال يقنصه على غفلة منه ؟ وكم من أفعى تتوثّب لالتقاط ضاّض على ضبّ تبتلعه ؟ وكم من حشرة تهمّ بأخرى أو تسعى جاهدة وراءها تطاردها ؟ والسما في الليل أشدّ زرقةً إلا أنها مرصعة بنجوم في غير نظام . وقد يكون هذا سبب نبوغ سكان البوادي بعلم الأنواء أو الفلك ، وإن من يعيش تحت السماء يراها كلّ يوم ويلتحفها كل ساعة لأكثر تفكيراً بخلق الله ثم اعتقاداً به ، ممن يعيش ولا يرى السماء إلا من خلال صورٍ ، أو يسمع عنها من خلال الكتب ، أو الأحاديث بين الناس ، بسبب كثرة الأعمال ، والحياة في ظل الأنوار ، والعيش في الأبنية المطبّقة كعلب الكبريت . ويطول الصيف حتى يكاد يطغى على العام أو حتى يظنّ القادم الجديد أنه لن ينتهي ، ويقصر الشتاء ، وتندم

الفصول الانتقالية ، وفي الشتاء تهبّ نفحات باردة يشعر المرء
بقسوتها لجفاف الهواء حتى يحسّ أنها تدخل الجسم وتمسّ
العظم فيفر منها إلى مأواه ليعاوده الدفء ، وهكذا فالهروب من
حرّ الصيف ومن لفحات برد الشتاء •

* * *

أرض نجد

لقد أثرت عدة عوامل في سطح نجد وتضاريسه وإعطاه أرضه شكلها الحالي وأهم هذه العوامل :

١- تلك الانكسارات التي كان مركزها غربي جزيرة العرب والتي كان من نتيجتها فصل إفريقية عن هذه الجزيرة ، فقد سببت هذه الحركات رفع المنطقة الغربية وجعلت ميل الأرض العام يتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي حيث كانت أشد تلك الانكسارات في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر وأدت إلى رفع الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة أكثر من غيره .

هذه الانكسارات لم تكن صدعاً واحداً وإنما عدة صدوع متوازنة تصغر كلما ابتعدنا عن مصدر الانكسار في الغرب ، ويقل مداها ، وتقتصر مسافتها وكلما تعمقنا في داخل الجزيرة صغرت هذه الصدوع ، فكانت أصغر مما في غربها ، فمنها ما حدث في شرقي جبال السراة ، وأقل منها ما حدث في شرقي نجد ، وجنوبها .

ومن أثر هذه الصدوع اندفاع مقذوفات بركانية توضع فوق الصخور ، واختلفت هذه المقذوفات من مكان لآخر في توزيعها وسكها ، ولم تحدث الانكسارات والصدوع والمقذوفات.

المنطلقة من الشقوق في زمنٍ واحدٍ فقط ، وإنما تكررت الحركات والاندفاعات البركانية خلال عدة أزمنة كان آخرها تلك التي شكلت الحرّات الكثيرة في الجزيرة العربية وبخاصة تلك المنتشرة حول المدينة المنورة وشمالها الشرقي .

والحرّات عقبات شديدة في المواصلات من حيث ملاءمتها لسير الحيوانات وبوجه خاص الجمال لصخورها البارزة ، ومن حيث شدة حرارتها في أيام الصيف لامتناسها حرارة عظيمة نظراً لسواد لونها ، ومن هنا أخذت اسم حرّة .

٢ - العصر المطير الذي مرّ على الجزيرة العربية ، فعلت المياه على حتّ التضاريس وإزالتها ، فلم يبق منها إلا بعض الأكمات التي عنت على الحت لصلابتها ، فبقيت بارزة على شكل نلال أو مرتفعات ، وتعرف باسم جبل مثل جبل (ظلم) ، وجبل (النير) ، و (شعر) ، و (العرائس) و (الخنفسيات) ، و (أرينية) و (كودة) وكلها مرتفعات على الطريق بين مكة والرياض .

٣ - المناخ الصحراوي الذي ساد المنطقة عقب العصر المطير فأدى إلى التعرية الصحراوية ، فجاءت متممة لعمل المياه السابق ، وتجمّعت الرواسب من الحت المائي وفتات الحت الريحي على شكل كتبان مختلفة تعرف باسم النفود ، وعرب الجزيرة لا يفرّقون بين الصخور من ناحية النوع بل من ناحية

اللون ، فيقولون الحصا الأحمر عن فتات الغرائث الأحمر ،
والحصا الأسود عن ذرات الصخور البركانية ، كما يسمون الكثيب
برقاناً . وقد عصفت الريح الرمال من الغرب إلى الشرق فجمعتها
على شكل كثيب طويل هو نفود (ضاحي) الذي يوازي جبل
طويق ، وكأن هذا الجبل كان سبب توقف الرمال وتجمعها ،
إضافةً إلى كثبان أخرى تجمعت قبله ، وإن كانت أصغر منه ،
وسبب تجمعها جبل صغير ، أو منطقة رطبة كالكثيب الذي يقع
غربي القويعية ، ولعلّ المياه المتوفرة هناك هي التي أوجدته .

٤ - الالتواءات التي نهضت بمرتفعات شرقي الجزيرة ،
فرفعت الرسوبات الكلسية التي وضّعها البحر الشرقي عند ما طغى
على ذلك الجزء ، فتحدّبت عند أقدام الهضبة ذات الصخور الصلبة
على شكل جبلٍ عرف باسم جبل طويق ، وكان امتداده محاذياً
لطرف تلك الهضبة من وادي الدواسر جنوباً حتى العارض شمالاً
على طول ٨٠٠ ميل ، وكان لهذا الجبل أثر في تغيير اتجاه الودية
أيضاً وسيرها مع اتجاهه ، فهو عبارة عن (كويستا) حافظتها الغربية
شديدة الانحدار ومشرفة على الأودية التي في غربها ، ولعلّ هذا
الاختلاف في الانحدار بين سفحي هذا المرتفع ، هو أن الضغط قد
جاء من ناحية الشرق ، وأن الغرب يتألف من صخور قاسية صلدة
وقفت في وجه ذلك الالتواء فحدث من أثره نحو الغرب وجعلت
ميل الطبقات شديداً .

أما الأودية التي تتبع ميل لطبقات الشرقية والتي كانت تتلقى مياه سيولها من الهضبة ومن بعض الينابيع التي ينبجس من أقدام صدوع الهضبة الشرقية فقد أوقف المرتفع سير القسم العربي وجعله يسير مع حافته الغربية أما القسم الشرقي فقد استمر في اتجاهه ولكن حته قد نداد ، وعاد إلى مرحلة الشباب ، فعمق مجراه في الجبل حتى اتصل بالقسم الغربي تارة لأخرى في بعض المناطق فبدأ أنه قد اجتازه على شكل نخاق ، ويبلغ متوسط ارتفاع جبل طويق ٩٠٠ م عن سطح البحر .

تتألف تربة نجد من الذرات الدقيقة المكونة من الصخور متنوعة حملتها المياه الجارية ، ورسبتها مجتمعة ، أو فتتها العوامل الجوية وحللتها الرطوبة ، فالصخور البركانية أعطت تربة حمراء قائمة أو سوداء ظاهرة ، والصخور الكلسية أكونت تربة حمراء فاتحة أو سمراء مغبرة وبيضاء ، واختلطت هذه كلها مع بعضها بعضاً إضافة إلى الذرات الناشئة عن الصخور النارية القديمة فأعطت تربة اخضبة فيها أكل العناصر المخصبة ، ولا ينقصها سوى المياه لتنتج أفضل الزروع ، فإذا ما توفرت لها أعطت أحسن ماتعطي الأرض ، فإذا ما ظهرت عين أو انبجس نبع عند أقدام مرتفع ، أو وسط منخفض ، قامت عليه بلدة ، أو تجمع السكان عليه ، مهما كان ضحلاً ، أو قصده الرعاة من كل موطن لهم ، ولهذا كانت أودية نجد رياضاً ، ومنخفضاتها حياضاً ، وأغوارها غياضاً ، وإذا ما انهمرت الأمطار على بقعة من الأرض اهتزت وربت

وانبتت من كل زوج بهيج ، وكست المكان حلة خضراء ، وانقلبت
تلك الصحراء إلى روضة خضراء فيها العرار (١) وأنواع الأزهار ،
ولكن أشعة الشمس اللافتة إلاتلبث أن تحرقها وتجعلها هشيما
نذروه الرياح . ولهذا قالوا : إن نجداً من أحسن أقطار الأرض
العربية (٢) ، وأعدلها مزاجاً ، وأرقها هواءً ، وأعذبها ماءً ،
وأخصبها أرضاً ، وأنبتها أزهاراً ونباتاً (٣) .

قفا ودعا نجداً ومن حلّ بالحمى
وقلّ لنجد عندنا أن يودعا
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربى
وما أحسن المصطاف والمترعبا

إذا نكبت نجداً مطايك لم أبـل
بعيش وإن صادفته خضلاً رغدا
تلبث قليلاً يرم طرفي بنظرة
إلى ربوات تنبت النفل (٤) الجعدا

-
- (١) العرار : النرجس البري .
(٢) يقصد بها اجزاء الجزيرة العربية .
(٣) تاريخ نجد لمحمود شكري الالوسي تحقيق محمد بهجة
الانثري الطبعة الثانية ص ٩ .
(٤) عشب من أنواع البقول أصفر الزهر .

فإنك إن أعرقت والقلب منجد

ندمت ولم تشم عراراً ولا رندا (١)

ولم ترد الماء الذي زادك النوى

وقد ذقت ماء الرافدين به وجداً

أترمي بنا أرض الأعاجم ضلة

فتزداد عن تشتهي قربه بعداً

وها أنا أخشى والحوادث جمة

إذا زرتها ألا ترى بعدها نجداً

ولكن هناك بعض الأمور التي تضر بالعشب والنبت إضافة إلى

قلة الماء وهي الكثبان والرمال التي تقضي عليها أثناء حركتها، وقد تردم

سبيلاً ضحلة، ولو توفر الماء لأمكن توقيف هذه الرمال بالأشجار

أو غيرها .

(١) الرند شجر طيب الرائحة .

الفصل الثالث

المُشَاخ

تقع بلاد العرب في المنطقة المدارية ، ويجتازها من وسطها مدار السرطان ، فهي ضمن البلاد الصحراوية ، وليس للاذرعة البحرية من أثر كبير عليها ، فالبحر الاحمر ضيق وعميق وتحقق به الجبال المرتفعة من كلا جانبيه ، والخليج العربي قليل الاتساع ضحل ، وتحف به من الشرق جبال عالية ، فقلما تهب عليه الرياح ، وإذا اجتازته الرياح الشمالية الشرقية حملت معها بعض الأبخرة ، فتساقطت بعض الأمطار على سواحله الغربية ، وقد يكون أثر هذين الذراعين لا يظهر إلا في شدة الرطوبة على الضفاف البحرية ، فتصعب الحياة في الصيف ، ويشعر المرء أنه يعيش في حمام ، فيقضي نهاره والعرق يتصبب منه ، وما ليله بأفضل من نهاره بكثير ، أما الشتاء فيبقى حاراً ، وإن كان حره مقبولاً ، وعلى هذا تعتبر بلاد العرب تنمة للصحراء الإفريقية الكبرى .

وأثر بحر العرب في الجنوب واضح ، إذ تهب عليه في الصيف انرياح الموسمية ، فتحمل معها الأبخرة التي تنعقد أمطاراً فوق أرض العرب ، ولكنها تبقى محدودة الأثر لا تتوغل كثيراً في

الداخل ، ولا تتجاوز المرتفعات التي تسير الساحل وتوازي سير الرياح .

ورغم بعد البحر الأبيض المتوسط إلا أن أثره يَبِين ، ويصل حتى جنوب خط العرض ٢٠° جنوب مدينة الرياض .

وتكون الحرارة مرتفعة في الصيف في معظم اجزاء المنطقة ، واكثرها ارتفاعاً ما كان على المناطق الساحلية حيث انخفاض الأرض ، وكذا أمر الصحارى حيث يبلغ متوسط الحرارة السنوي في هذه المناطق ٣٠ درجة مئوية . واقلها في المرتفعات فيبلغ متوسط الحرارة في شهر تموز في مدينة الرياض ٣٠ر٣٣ درجة مئوية ، وفي حائل ٣٠ر٣٠ درجة مئوية ، أما في الشتاء فلا تهبط درجة الحرارة إلى الصفر إلا في حالات نادرة في المرتفعات والمناطق الواقعة على عروض مرتفعة نسبياً . وتصل إلى كل المناطق الواقعة شمال خط العرض ١٨ شمالاً رياح باردة قادمة من الشمال الشرقي من المنطقة القارية فتكون جافة باردة تجعل الانسان يشعر بشدة وطأتها فكأنها تخترق العظم مباشرة ، وتبلغ درجة الحرارة في مدينة الرياض في شهر كانون الثاني ١٤ درجة مئوية بينما هي في حائل ١١ درجة مئوية ، والمدى الحراري كبير ، والفرق في درجات الحرارة واضح بين الليل والنهار والصيف والشتاء .

تهب في الشتاء على بلاد العرب الرياح الشمالية الشرقية الجافة من نطاق الضغط الآسيوي المرتفع التي تعتبر تامة له ،

وكان هذه الرياح ترفد الرياح التجارية التي يكون لها الاتجاه نفسه وتكملها ، أما في الصيف فتقع هذه الأرض ضمن نطاق الضغط الآسيوي المنخفض فتهب على شمالها رياح شمالية وشمالية غربية جافة ، وعلى جنوبها رياح جنوبية غربية رطبة ، ولا شك فإن وجود مناطق ذات ضغط منخفض نسبي يجعل الرياح تختلف في اتجاهها ، وكذا فللتضاريس أثر مشابه . كما لا تخلو بلاد العرب من رياح محلية كنسيم البر والبحر على السواحل ورياح السموم الحارة في الربيع .

وتهطل الأمطار على شمال الجزيرة حتى جنوب خط العرض ٢٠ في الشتاء من أثر رياح البحر الأبيض المتوسط التي تتناوب مع الرياح الشمالية الشرقية ، ولكن هذه الأمطار قليلة إذ لا تزيد كميتها عن ٢٠٠ مم في السنة في المناطق المرتفعة كنجد وبلاد مدين ، وهي أقل من ٨٠ مم في المناطق المنخفضة كالأحساء وتهامة ، وهي تتعاقب مع فترات من الصحو ناشئة عن سيطرة الرياح الشمالية الشرقية . وتهطل الأمطار في الصيف على جنوبي الجزيرة من أثر الرياح الموسمية ، وتبلغ كمية هذه الأمطار ٥٠٠ مم في العام على الهضبة اليمنية ، وهي أكثر من بقية الجهات بسبب ارتفاع جبال اليمن .

كما تهطل أحياناً في الشتاء على بلاد عمان بسبب مرور الرياح الشمالية الشرقية فوق الخليج العربي ومياه خليج عمان فتحمل

معها بعض الأبخرة التي تسقط على السفوح الجبلية الشمالية والشرقية •

وقد تهطل الأمطار في المناطق الداخلية في أي وقت نتيجة اضطرابات جوية خاصة •

هذه الكميات من الأمطار المتساقطة لم تكن لتكفي اقيام حياة زراعية متقدمة ، كما لم تكف في أغزر مواقع تهطالها لجريان الماء بشكل دائم ، لذا كانت المجاري سيولاً ، قد تمتلئ بالماء عقب زخات من المطر العنيف ، ولكنها لا تلبث أن تجف بعد انقطاع المطر ، وتغيض مياهها في الرمال بعد أن تقطع مسافة قصيرة وقد يبقى السيل جافاً عدة اعوام • وإذا وجدت بعض الأودية الدائمة الجريان في جنوب الجزيرة كوادي (البنا) في جنوبي اليمن ، ووادي (حجر) في حضرموت وبعض الأودية الصغيرة فإن هذا على نطاق ضيق ، وإنما الظاهرة العامة في الجزيرة هي السيول والأودية الجافة •

هذه الندرة في المياه السطحية حتى في المناطق الجنوبية هي التي دفعت السكان منذ القديم منذ أيام سبأ وحمير إلى بناء السدود والصهاريج لحفظ المياه الجارية ، منها صهاريج عدن التي امتلأت بالرواسب ومنها سدود اليمن ، وأشهرها سد مأرب التي تهدمت • أمام هذا الجفاف السطحي في بلاد العرب نجد أن العماد الأساسي للماء هو طبقة المياه الجوفية التي تعتبر مخزناً لما يتبقى من

مياه الأمطار منذ آلاف السنين ، وإن طبيعة السطح والتربة تساعد على امتصاص الماء وخزنه بسهولة ، فإن الرمال وطبقات البازالت والصخور الكلسية يتسرب فيها الماء بيسر ، ويحفظ من التبخر كما أن الحجر الرملي يخزن بين ذراته كميات كبرى منه .

ومن المسلم به أن المناخ قد طُرأت عليه تغييرات كبيرة على مدى الأيام ، فعندما كان الجليد يغطي شمالي أوروبا ، كانت مدة تقدم الجليد هناك ترافقها في نطاق الصحراوات الحارة مدة مطيرة ، وكانت مدة تقهقر الجليد ترافقها أوقات الجفاف . وما هذه الأودية الكثيرة المنتشرة في بلاد العرب إلا من مخلفات التعرية المائية في تلك الايام حفظها لنا متحف الصحراء .

وقد استمر هذا الاختلاف والتغير حتى العصور التاريخية ، وقد كان سبباً في هجرة عدد من القبائل تترك مواطنها لجفافها ، لتجد لها منازل جديدة في أراض جديدة أقل جفافاً وقحطاً وأكثر مرعى وكلاً وأغزر مورداً وماءً ، فقد ذكر المسعودي في كتابه « مروج الذهب » أقوالاً تنسب لرجل معمر من الحيرة في عام ١٠ هجرية - ٦٣٢ للميلاد وقد عاش هذا الرجل ٣٥٠ عاماً ويقول « في مطلع حياتي كانت كل امرأة من سكان الحيرة تستطيع اجتياز البلاد إلى سورية إذ كانت تمر بشريط من القرى والمساكن والينابيع الجارية والأشجار المثمرة حتى تصل إلى غايتها بسلام ، فانظر كيف تغير كل شيء ، وكيف تسود الصحراء في كل مكان » .

ويظهر أن هذا الجفاف لا يزال مسيطراً ، إن لم تقل إنه يزداد
ويعظم ، أو لا يزال مستمراً ، فإن مستوى المياه الجوفية قد انخفض
في منطقة الأزرق في شرق الأردن مترين منذ العصر الروماني إلى
الآن . وكذلك دلت الزيارة التي قام بها فيلبي عام ١٣٦٦ هـ لاقليم
الافلاج في نجد على أن مياه المنخفضات الطبيعية والتي كانت
تتصل في يوم من الأيام مع بعضها بعضاً قد انخفض فيها مستوى
المياه ، فانفصلت كل منها عن الأخرى ، كما أن بعض الآبار
المحفورة في نجد قد قاربت الجفاف .

وليس الوصول إلى الماء أمراً عسيراً فقد سهلت العوامل
الطبيعية هذه المهمة تسهيلاً كبيراً فإن الأودية العميقة ومنخفضات
الوحدات وميل الطبقات كثيراً ما يساعد على خروج الماء على شكل
ينبوع سطحي أو الوصول إليه بواسطة الآبار ، وفي معظم الأحيان
يكون الماء قريباً من السطح .

وفي منطقة طويق في نجد وخاصة في منطقة الخرج والافلاج
وبعض جهات الاحساء ظاهرة طبيعية فريدة من نوعها تساعد على
انكشاف الطبقة المائية الباطنية ، وهي ظاهرة التعرية الكارستية ،
فإن الصخور الكلسية تنحل أجزاؤها الداخلية بالمياه مما يؤدي
إلى حدوث خفس في الطبقة السطحية ، وتنشأ ظاهرة القموع وفي
وسطها الماء فهي أشبه ببحيرات صغيرة . ويوجد في الخرج خمس
بحيرات منها ، أما بحيرات الأفلاج فهي من المظاهر البارزة في

المقاطعة ، وقد أعطى فيلبي معلومات مفصلة عنها في إحدى رحلاته عام ١٣٦٧ هـ ، وهي سلسلة من الغدران والبحيرات ربما كانت متصلة بمياه الخرج والاحساء ، وهي أكبر عدداً من بحيرات الخرج ، وفيها أوسع غطاء مائي في كل البلاد •

والماء متنوع فمنه المالح الذي لا تشربه إلا الجمال ، ومنه ذو الطعم الذي يصلح للري ولا يناسب الشرب ، ومنه المعدني الكبيرتي في مناطق الصدع ، كما أن منه العذب الصالح للشرب • وتشمل منطقة نجد بالعرف الحالي أربع مناطق طبيعية هي :

- ١ - اليمامة (نجد) •
- ٢ - القصيم •
- ٣ - حائل (منطقة الجبل) •
- ٤ - عالية نجد •

الفصل الرابع

- ١ -

اليَمَامَة

كانت اليمامة تسمى (جَوْءًا) ، وتسمى (العروض) ، وتسمى (القرية) ثم سميت اليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم بن طسم المعروفة بزرقاء اليمامة ، وقصتها معروفة مع حسان بن تبع الحميري الذي غزا اليمامة باستعداد طسم على جديس ^(١) . وزرقاء اليمامة امرأة من طسم متزوجة في جديس . واليمامة هي الحمامة ، فالجبل المحيط باليمامة يقال له : طوق اليمامة كطوق الحمامة ، فصغر حتى سمي طويقاً ^(٢) .

وقد اختلف المؤرخون في حدود اليمامة ، وقد وقع الاختلاف حسب الحدود الادارية والمناطق التي كانت تتبعها ، ولاشك أن هذه تتسع بزيادة النفوذ ، وتنكمش بالضعف ، وهذا امر طبيعي

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز - عبد الله بن محمد بن خميس ، ص ١١ .

(٢) صحيح الاخبار - محمد بن عبد الله بن بليهد ، ج ١ ص ١٩٥ .

فالحُدود الادارية ترتبط بدرجة القوة التي عليها الحاكم . وأما
 حُدود اليمامة الطبيعية فهي: جبلها المَحْدود جنوباً بالربع الخالي من
 تحت (نجران) وشمالاً (بالثويرات) شمالي (الزلفي) وماصقب
 الثويرات شرقاً حتى (السياريات) و (الدهناء) وما صاقبها غرباً
 حتى (المستوي) ، أما حُدود اليمامة شرقاً فالدهناء ، وأما حُدودها
 غرباً (فهضبة نجد) أو ما يسمى (بالدرع العربي) بمعنى أن
 (السر ^(١)) و (العرض) و (الوشم) و (الريب ^(٢)) و (وادي
 الدواسر) داخلة في حُدود اليمامة (٣) .

وجبل اليمامة هو أشهر جبال الجزيرة العربية ، بعد سلسلة
 جبال السروات ، وأطولها امتداداً وأكثرها سكاناً ، وأخصبها
 وأغناها ، وأشهرها تاريخاً ، وأبعدها ذكراً امتد على سهل
 يقع ما بين الدهناء شرقاً ، وعالية نجد أو ما يسمى بالدرع العربي
 غرباً ، وما بين الربع الخالي ونجران ومنحدرات جبال اليمن جنوباً ،
 وبين مجتمع رمال الدهناء والقصيم والثويرات شمالاً ، فامتداده
 من الجنوب إلى الشمال حوالي ثمانمائة ميل ، ومن الغرب إلى
 الشرق يتراوح ما بين المائة إلى الخمسين ميلاً ، وأعلى قمة فيه
 تبلغ حوالي ألف وخمسمائة متر .

(١) السر : نفود غربي الوشم .

(٢) الريب : الريب الآن جنوبي القويعة وربما شملها

(٣) المجاز بين اليمامة والحجاز ص ١٢ .

وإذا استقبلته من جانبه الغربي رأيت منتصباً سامقاً ، تلوح
صفحاته البيضاء ، ورعانه الشم ، وشماريخه الفارعة . . . وتذكرت
قول عمرو بن كلثوم :

فأعرضت اليمامة واشمخرت

كأسيف بأيدي مصلتينا

ثم يأخذ في الانحدار التدريجي مشرقاً ، حتى يلامس السهول
الشرقية . . . وبه فجاج متباعدة مابين كل فجج وآخر مسافات
متقاربة في القدر ، جعلها الله سبلاً للمارة ، ومنافذ للسيول ، وهذا
مصدق لقوله تعالى « وجعلنا في الأرض رواسي أن تُميدَ بهم ،
وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلمهم يهتدون » .

وهذه الفجاج في هذا الجبل هي كما يلي : من الشمال إلى
الجنوب العتك وثنية الشعيب ، وثنية الأحيسي ، ولحا ،
والأوسط ، ونساح ، وثنية قعام ، وبرك والهدار ، وتمررة
والفاو وتنحدر من هذا الجبل أودية عظيمة تبدأ من
قمته من الناحية الغربية ، وتذهب مشرقة ، مارة ببلدان ونخيل ،
ومزارع حتى تقضي إلى رياض وسهول خصبة التربة ، جيدة
الانتاج ، واسعة الأرجاء .

وفي هذه الأودية وماتفيض عليه تقع بلدان اليمامة وقراها ،
وتنتشر نخيلها ومزارعها فيه ثلاث عشرة مقاطعة هي كما يلي :
العارض وقاعدته الرياض ، والخرج وقاعدته السيح ، ووادي بريك

وقاعدته الحوطة ، والأفلاج وقاعدته ليلي ، والسليل وقاعدته
السليل ، ووادي الدواسر وقاعدته الخماسين ، وضمنى وقاعدتها
ضمنى ، والشعيب وقاعدته حريملاء ، والمحمل وقاعدته ثادق ،
وسدير وقاعدته المجعة ، والعاظ والزلفي وقاعدته الزلفي ،
والوشم وقاعدته شقراء ، والعرض وقاعدته القويعة (١) .

آ - العارض : ويطلق على جبل طويق فيقال : عارض
اليمامة ، أو يقال : جبل العارض ، كما يطلق على المنطقة الوسطى
منه التي قاعدتها مدينة الرياض ، وهو ما يقصد به هنا .

قال ياقوت : (عارض) بالراء ثم الضاد المعجمة عارض
اليمامة . والعارض اسم للجبل المعترض ، ومنه سمي عارض
اليمامة . وهو جبلها ، وقال الحفصي : العارض جبال مسيرة ثلاثة
أيام ، قال : وأوله خزير وهو أنف الجبل ، قال أبو زياد : العارض
باليمامة ، أما ما يلي المغرب منه فعقاب وثنايا غليظة ، وما يلي
المشرق ، وظاهره فيه أودية تذهب نحو مطلع الشمس ، كلها
العارض هو الجبل ، قال : ولا نعلم جبلاً يسمى عارضاً غيره ،
وطرف العارض في بلاد تسم في موضع يسمى القرنين فشمّ انقطع
طرف العارض الذي من قبل مهب الشمال ثم يعود العارض حتى
ينقطع في رمل الجزء ، وبين طرفي العارض مسيرة شهر طولاً ثم
انقطع ، واسم طرفه الذي في رحل الجزء القُرْط (٢) الذي يقول

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز ص ١٣ -

(٢) القُرط : يسمى اليوم المندفن .

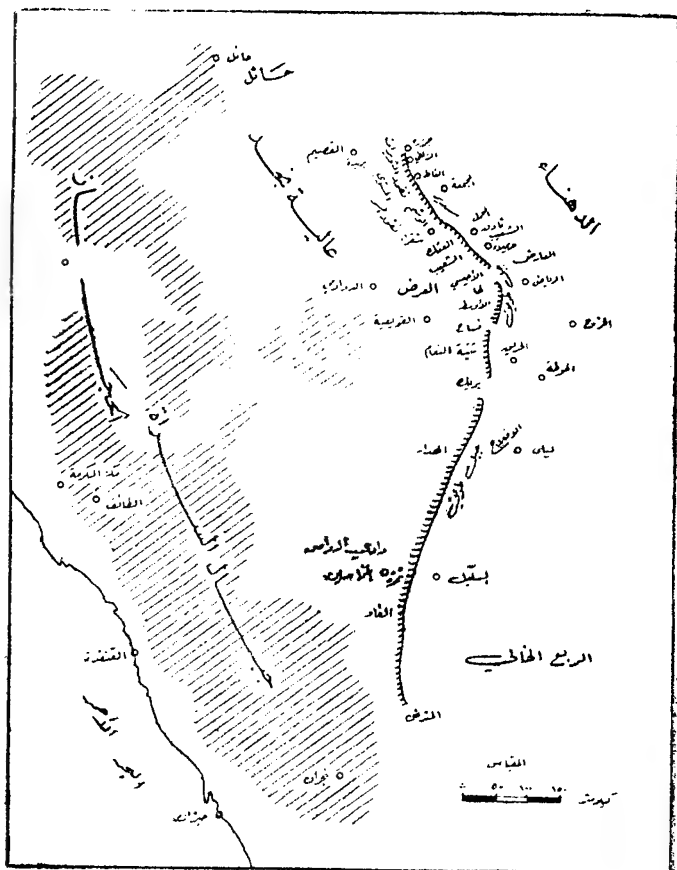
فيه وَعَلَّة الجَرَمِي في الجاهلية :

اسأل مجاورَ جَرَمٍ هل جنيت لهم

حرباً تُزيِّل بين الجزء والخلُط ؟

وهل علوت بجِرا رله لَجَب

يعلو المخارم بين السهل والقرْط ؟



وقد تركتُ نساء الحي معمولّة

في عرصة الدار يستوقدن بالغُبُط^(١)

وهذا الجبل يقسم بأسمائه ، فما كان منه قريب بلد الرياض ، يقع منها غرباً وجنوباً وشمالاً ، فيقال لتلك القطعة منه العارض والجهة الشمالية منه يقال لها طويق . والجهة الجنوبية منه يقال لها (العورض) ويطلق على هذا الجبل كله ، وما حوله اسم العارض . وأما (العرض) فيطلق عليه اسمين (سواد باهلة) و (عرض ابني شمام)^(٢) ولهذا تجمع العروض لأنها تضم :

(١) عرض ابني شمام : يعد في الزمن القديم من سواد باهلة وعاصمة قراه (القويعة) وسكانه أغلبهم بنو زيد .

(٢) جبال الأفلاج : يقال لها (العورض) إلى هذا العهد .

(٣) « العارض » هو بين الافلاج وطُرفه الشمالي حيث ينتهي في موضع يقال له « جزره »^(٣) .

وتشمل منطقة العارض الرياض ، وما حولها ، أو وادي حنيفة من أعلاه حتى دخوله في منطقة الخرج ، وكل المناطق التي تؤول مياهه إليها ، أو ما يعرف في الجغرافية باسم حوض النهر ، سوى ما كان منه ضمن منطقة الخرج ، وإذا كانت الأودية الأخرى تجري من طويق إلى طرفه ، فإن وادي حنيفة يجري موازياً للجبل ، وهذا ما يجعله يتلقى روافد أكثر وبخاصة عن يمينه حيث تنحدر

(١) معجم البلدان - ياقوت الحموي .

(٢) صحيح الأخبار ج ٥ ص ٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ج ٥ ص ٢٠ .

أودية وشعاب من الجبل إليه ، ولهذا فهو أغزر من بقية الأودية ، وهذا مادعا إلى خصوبة تربته وكثرة نخيله ومزروعاته . ولشهرته فقد عرف باسم (عرض اليمامة) أي أنه أشهر وادٍ في بلاد اليمامة كلها .

وجبل طويق عبارة عن كويستا ، حافاتهما الشديدة الانحدار متجهة غرباً ومشرفة على الأودية الرافدة التي تسير محاذية للحافة ، أما الأودية التابعة لميل الطبقات المتجه نحو الخليج العربي فتكون ذات خواتم ضيقة عند اجتيازها لحافة الجبل الذي يبلغ متوسط ارتفاعه ٩٠٠ م ، وقد سبق أن ذكرنا هذه الفجاء ، وإذا قبلنا تفسير ديفيس (Davis) لظاهرة الكويستا من أنها تتكون في سهل ساحلي ينحدر انحداراً خفيفاً نحو البحر ، ويكون ميل الطبقات فيه أشد من الميل العام ، فإن التاريخ الجيولوجي لهذا الجزء من بلاد العرب يؤيد ذلك . فالبحر كان يغطي تلك الأجزاء الشرقية من شبه الجزيرة ، والطبقات الكلسية من الجوراسي الذي يؤلف حافة جبل طويق ، وصخور الكريتاسي التي تليه تميل في انحدارها نحو الشرق (١) .

ووادي حنيفة مما عرف من الأودية ، وكان له شهرة سواء في ماضيه القديم أم في حاضره الحديث ، في القديم قامت على جنباته عاصمة المنطقة ، وفي حاضره أقيم على ضفافه مركز الدولة ، في ماضيه عرف باسم وادي العرض ، ويعرف اليوم باسم وادي حنيفة حيث أخذ اسم القبيلة التي نزلته ، قال أبو عبيد السكوني :

(١) جغرافية البلاد العربية مصطفى الحاج ابراهيم .

عرض اليمامة ، وادي اليمامة ينصب من مهب الشمال ، ويفرغ في مهب الجنوب مما يلي القبلة ، فهو في باب الحَجَر ، والزرع منه باض ، وبأسفل العرض المدينة ، وما حوله من القرى تسمى السفوح ، والعرض كله لبني حنيفة إلا شيئاً منه لبني الأعرج من بني سعد بن زيد بن مناة ، والعرض وادي اليمامة ، ويقال لكل وادٍ فيه قرى ومياه عرض ، والقرى كثيرة على هذه الوادي والمياه وفيرة ، كما يقال عروض التجارة لموادها وبضائعها •

وقال الأصمعي : أعراض المدينة بطون سوادها حيث الزرع والنخل • وقال غيره : كل وادٍ فيه شجر فهو عرض ، وأشجار هذا الوادي كثيرة • كما عرف هذا الوادي باسم الباطن •

يبدأ هذا الوادي من اجتماع مياه عدة أودية وسيول تأتي كلها من السفوح الشرقية لجبل طويق قريباً من بلدة العيينة ، وتتجه نحو بلدة الجبيلة ، ثم تنحرف نحو الجنوب ، كذلك تأتيها من طويق عدة سيول توازي مجرى الوادي الأول أشهرها وادي العمارية ، وتتجه مجتمعة نحو الدرعية ، وعندها تحمل اسم وادي حنيفة حيث يمر من غرب مدينة الرياض ، ويرفده من اليمين أيضاً واديان ، الأول هو وادي لبن ، وتنصب مياهه على وادي حنيفة عند بلدة عريجة ، والثاني وادي نمار ، ويجتمع سيله مع الأصل عربي منفوحة • ويستمر الوادي في اتجاهه الجنوبي ، حتى بلدة حائر حيث تأتيه سيول وادي حائر من جهة اليمين أيضاً ، وهو آخر السيول التي ترفده ، وبعدها ينحرف في اتجاهه نحو الشرق

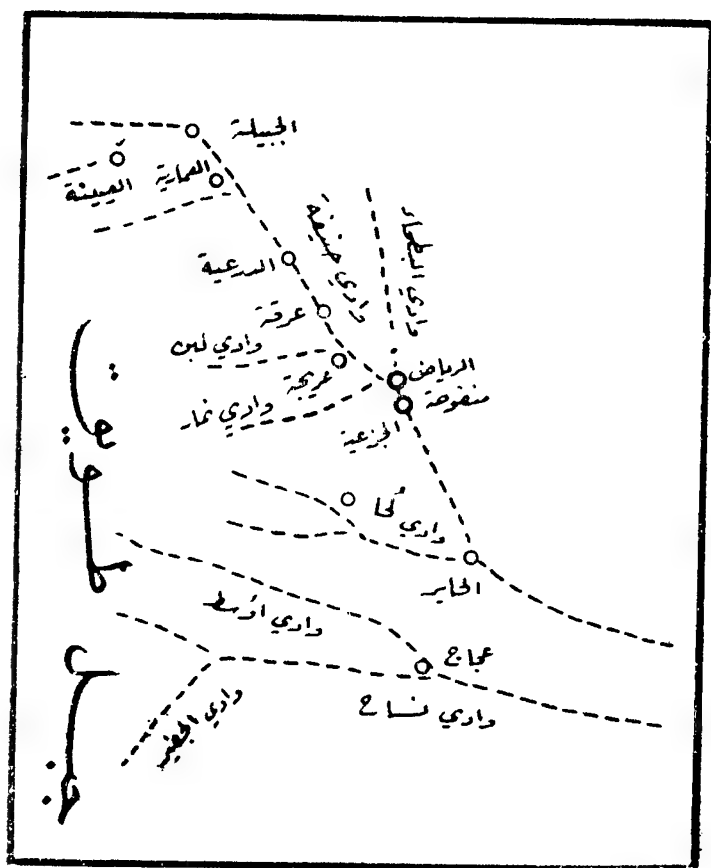
حيث ينتهي في الخرج وتسيح مياهه هناك ، ويسمى وادي حائر شعيب (لحا) ويشكل فجاً في جبل طويق يسير فيه طريق الرياض - الحجاز .

وبينما تأتي وادي حنيفة كل السيول منحدره من السفوح الشرقية لجبل طويق ، تجتمع إليه من الطرف الآخر مياه وادي مشهور هو وادي الوتر بضم الواو واسكان التاء ، ويعرف اليوم باسم وادي البطحاء ، يوازي مجراه سير وادي حنيفة ويلتقيان عند منفوحة . هذان الواديان أشهر أودية اليمامة وأكبرها ، قال الأصمعي : وباليمامة واديان أحدهما العرض والآخر الوتر خلف العرض مما يلي الصبا ، ومطلع ينصب من مهب الشمال إلى مهب الجنوب ، وعلى شفيره الموضع المعروف بالبادية والمحرقة ، وفيه نخل ورمكي ، والركي هي الآبار المحفورة .

قال الأعشى :

شأقتك من قتلة أطلالها بالشطر والوتر إلى حاجر
وتزيد روافد وادي حنيفة عن سبعين سيلاً ، ويقطع مسافة أكثر من ١٢٥ كيلو متراً .

وفي جنوب وادي حنيفة الأسفل يجري وادي (نساح) الذي يتألف من عدة سيول أهمها (الأوسط) و (الحفير) وكلها تنحدر من سفوح جبل طويق أيضاً ، ويجري هذا الوادي مسيراً لوادي حنيفة ويغض مثله في أرض الخرج ، وقلتي فيه مياه وادي الأوسط والحفير عند بلدة عجاج .



وقد قامت على وادي حنيفة عدة مدن وقرى لخصوبة أرضه ..
وكثرة نخله وأشهرها :

١ - الرياض : وهي حاضرة الدولة ، وقد كانت من القديم
قاعدة المنطقة ، وكانت تسمى « حجراً » وتقع بين وادي العرض
والوتر . وكانت تنافس الخضرمة مركز الدولة الأخيضرية ...
وبقيت تحمل هذا الاسم حتى عهد قريب ، وهو منتصف القرن
الثاني عشر الهجري ، ويرجع تأسيسها إلى عهد وصول بني حنيفة
إلى المنطقة قبل ظهور الاسلام بحوالي قرنين من الزمن . واستمر
حتى هذه الايام يطلق على بئر داخل بستان ، أقيم مكانه شارع
النوزير ، إذ أنشأه عبد الله بن سليمان وزير الملك عبد العزيز
ابن عبد الرحمن .

وتتألف الرياض من عدة قرى كانت متباعدة عن بعضها
بأشجار النخيل منها (معكال) ، و (العود) ، و (منفوحة) ،
و (عريجة) و (عتيقة) و وقد أصبحت عاصمة المملكة
العربية السعودية .. وأهميتها في العصر الحديث تعود إلى أيام
الدولة السعودية الثانية ... حيث أصبحت قاعدة الحكم بعد أن
كانت الدرعية مركز الدولة السعودية الأولى .

يبلغ عدد سكانها مايقرب النصف مليون نسمة ، نصفهم من
السعوديين ومثلهم من الغرباء الذين جاؤوا إليها للعمل ، وأكثرهم
من أهل اليمن ، ويعملون في الاعمال اليدوية وبخاصة النقل

والنظافة ... ثم أهل جنوبي اليمن وغالبيتهم تعمل في التجارة ، ويرتبط بعضهم مع بعض برابط قوي ، ويساعد بعضهم بعضاً في المال حتى يجد الواحد منهم العمل فيسدد ما أخذ ... ثم هناك المصريون ومعظمهم يعمل في التعليم ، هذا بالإضافة إلى أهل الشام ويعملون في التجارة والأعمال الحرة ... ثم من العراق والسودان ومختلف البلاد ... ولاتساع المدينة ونمو النهضة السريع فإن البلد تحتاج إلى أيدي عاملة كثيرة ، وهذا ما دعا إلى استقدام أعداد من مصر وكوريا وباكستان وغيرها من البلاد .

والحركة العمرانية واسعة تقضي على الأبنية القديمة التي كانت من الطين ومتلاصقة ، إذ مجرد أن تقطع الشارع الحديث حيث الأبنية الفخمة تنتقل مباشرة الى الأزقة الضيقة حيث الأكواخ الحفيرة ...

وأشهر الأحياء فيها (الملز) ويقع شمال شرقي المدينة ، وهو حي حديث ، فيه الحديقة ، وبناء جامعة الرياض ، والحديقة العامة ، وحديقة الحيوانات ، والملاعب الرياضي ، ومركز سباق الخيل ، ومعهد الإدارة ...

وهناك شارع المطار الذي يؤدي إلى المطار الذي يقع شمال المدينة ، والشارع عريض وحديث ويعرف بشارع الوزارات إذ تتجمع وتمتد على يساره ... وفيه فندق اليمامة .

وهناك حي « الناصرية » ويقع شمال غربي المدينة ، وهو

أحدث الأحياء ، وأكثرها حداًق وأشجاراً ، ويتألف من عدد كبير من القصور ، أقامها الملك سعود بن عبد العزيز ، وأصبحت الآن مراكز للادارات والوزارات ... وفيه مستشفى الملك فيصل التخصصي ، ومعهد العاصمة الانموزجي ، وإدارة المرور ، وفندق السعودية ، ومؤسسة الجزيرة ..

ومن الأحياء التجارية شارع الوزير الذي عمره - كما قلنا - عبد الله سليمان ، ويسمى الآن شارع الملك فيصل ، ويصل حتى منفوحة . وفيه البلدية وبناء جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، وأكثر المحلات فيه للحضارمة وأهل الشام .. ثم شارع (الثميري) الذي يصل بين شارع الوزير ومركز الصفاة حيث قصر الحكم والجامع الكبير الذي تقام أمامه الحدود الشرعية ، وبالقرب منه (الديرة) أو (المقيبرة) حيث تباع الخضار والفواكه .

ويمتد على طول وادي البطحاء شارع البطحاء ، مواز لشارع الوزير ويمتد من الشمال الى الجنوب حتى يصل إلى منفوحة ، ويصل بين هذين الشارعين والمستشفى المركزي شارع يعرف باسم (الشميسي الجديد) حتى أن المستشفى المركزي أصبح يعرف باسم (مستشفى الشميسي) وفيه أنواع التخصصات كافة ... ويوازيه شارع (الشميسي القديم) ، وفيه مستوصف الحرس الوطني .

وتقع منفوحة جنوبي المدينة حيث يلتقي وادي حنيفة بوادي البطحاء ، وعلى وادي حنيفة تقع (عليشه) حيث كلية الهندسة ، و (عريجه) حيث أشجار النخيل ، و (عتيقه) حيث يسر طريق الحجاز ، ونصل بعدها الى منفوحة •

وفي جنوبي الرياض توجد منطقة (المصانع) الزراعية • وتتسع الرياض في كل الجهات ففي الشمال على طريق الدرعية حيث قصر الملك وقصور الامراء ، كما أقيمت المخططات للمدينة الجامعية (جامعة الرياض) وقد بدأ العمل بها •• ويتصل البناء بالدرعية التي بعد عن الرياض أكثر من عشرة كيلومترات •

ومن جهة الغرب نحو البديعة حيث تقام الابنية الحديثة السكنية وحتى مجرى وادي حنيفة ، ونحو الشرق حيث منطقة المعامل والمنطقة الصناعية •

٢ - العيينة تقع في وادي حنيفة الأعلى حيث تلتقي عدة شعاب ، وعلى الطريق التي تصل بين وادي حنيفة والحجاز حيث (الحسين) (١) ، وهذا الطريق هو الذي سلكه خالد بن الوليد رضي الله عنه ، عندما جاء لحرب المرتدين •

والعيينة تقع شمال الرياض بـ ٤٥ كيلو متراً ، وهي منبت الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رجل الدعوة السلفية • وهي

(١) الحسين : الاحيسي قديما ، وعندها تقريبا مركز توزيع المياه ، اذ تسير المياه شرقا نحو وادي حنيفة ، وغربا نحو وادي الاحيسي •

مركز آل معمر •

٣ - **الجبيلة** : تصغير جبلة ، وتقع في وادي حنيفة ، والقسم الشرقي منها هو عقرباء المكان الذي جرت فيه المعركة بين خالد ابن الوليد ومسيلمة الكذاب والتي انتهت بهزيمة المرتدين ، ومقتل مسيلمة ... وتقع شرقي العينة على مسافة ٨ كم •

٤ - **العمارية** : وتقع جنوبي الجبيلة على مسافة ١٠ كم منها ، على وادٍ يعرف باسمها ، يوازي وادي حنيفة ، ويؤول اليه •

٥ - **الدرعية** : على وادي حنيفة على بعد ١٢ كم شمالي الرياض ، وهي مركز آل سعود ، ومهد الدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب • وقد هدمها ابراهيم باشا ابن محمد علي والي مصر من قبل العثمانيين وذلك عام ١٢٣٣ هـ • ولا يزال آثار ذلك الخراب الذي لحقها ، وهي منطقة زراعية ، تكثر فيها البساتين •

٦ - **عرقه** : بلدة صغيرة ، في وادي حنيفة ، تقع شمالي الرياض بخمسة كيلو مترات ، وهي التي وقعت في وجه صلح خالد بن الوليد رضي الله عنه •

٧ - **الحائر** : بلدة جنوبي الرياض بخمسة وعشرين كيلو متراً ، وتقع في وادي حنيفة أيضاً •

ويظهر من توزع المدن والقرى في العارض أن وادي حنيفة

هو مركز تجمع السكان ، وخارجه تكون المراعي ، ويعيش السكان متنقلين ، وبيوتاتهم هي خيامهم •

ب - الخرج : منطقة زراعية واسعة تقع إلى الجنوب الشرقي من الرياض ، وعلى بعد ٨٥ كم منها • وتزيد المساحة الزراعية فيها على ٧٥ كيلومترا مربعا ، أي ما يعادل ٧٥ ألف دونم ، وتزيد قراها على ثلاثين قرية ، وتكونت هذه المساحة نتيجة عدد من الاودية والشعاب تنتهي فيها وتفيض المياه هناك ، مما يزيد المياه الجوفية ، فتكون الآبار السطحية • ولما كان جبل طويق يقع إلى الغرب والجنوب الغربي منها ، فإن الأودية تنساح نحوها أولا كما أن عيوناً من المياه تظهر لانخفاض المنطقة بجانب الجبل الكلسي ...

وأهم هذه الاودية التي تصل إليها : وادي حنيفة القادم من جهة الرياض ، ووادي نساح الذي يأتي من جبل طويق ويشكل فجاً فيه يعرف باسمه ، يمكن الانتقال عبره من غربي الجبل الى شرقيه وكذا شعيب الاوسط الذي يرفده ، وشعيب (العين) ، و (ماوان) ، و (نمير) ، و (اوثيلان) ، وكلها تأتي من جبل طويق وباتجاه الطريق الذي يصل بين الخرج والحوطة ، ثم شعيب (العقيقي) الذي يوازي الطريق ، ويتجه نحو الخرج إذ أن ميل الارض يتجه نحو الشمال الشرقي باتجاه الخرج • وتوجد عدة عيون في منطقة الخفس •

«لقرب الخرج من مدينة الرياض ، فهي مركز تموين لها بالخضار والفاكهة والعلف •

ولهذا الغنى فقد كانت الخرج مركز اليمامة في يوم من الايام أيام هودّة بن علي أثناء ظهور الاسلام وقد أرسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة يدعو فيه إلى الاسلام ، فلم يقبل ولكنه لم يلبث أن مات ، كما كانت أيام الدولة الأخيضرية التي كانت قاعدتها الخزيمة (مكان السيج واليمامة والسليمية) •

وتتصل الخرج بالرياض بطريق معبدة تتابع سيرها إلى الحوطة فالافلاج فالسليل فوادي الدواسر ، وكذا يمر منها الخط الحديدي الذي يصل المنطقة الشرقية بالرياض •
وأشهر القرى في هذه المنطقة :

١ - الخرج : الاسم الجديد (للسيج) وإن كانت كلمة الخرج كلمة قديمة إذ يقول الأعشى :

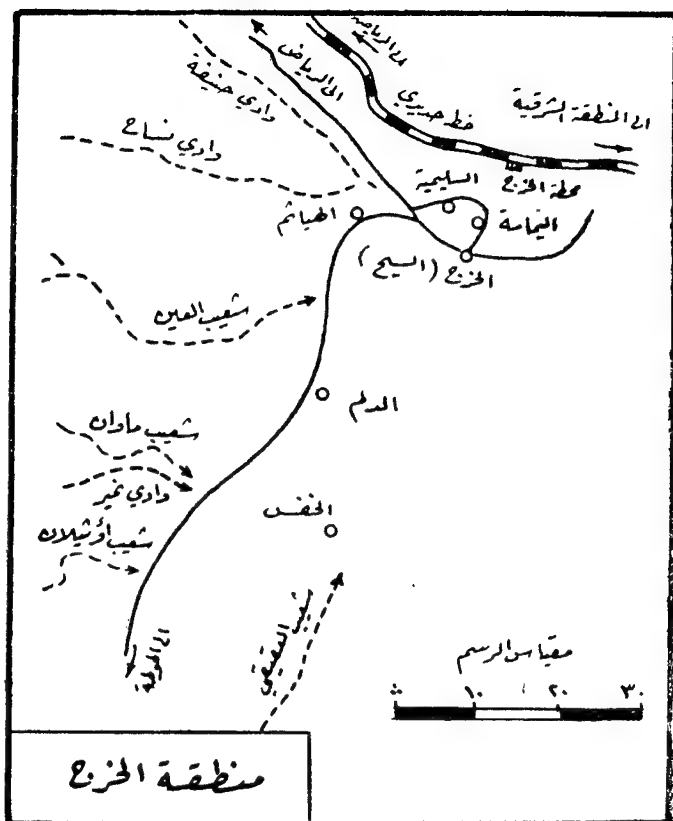
ويوم الخرج من قرماء هاجت

صباك حمامة تدعو حماها

وهي مركز المنطقة ، وتتسع بسرعة ، إذ تنمو فيها الحركة العمرانية والعلمية •

٢ - السليمية : حيث تبدأ المزارع إذ تقع بعد التقاء وادي (نساح) بوادي (حنيقة) بعشرة كيلو مترات ، وتتصل بخط معبد مع اليمامة والخرج •

وهناك اليمامة ، والهايثم والدلم والخفس •



ج - الحوطة : وهي منطقة زراعية تزيد على ٦٠ كيلو متراً مربعاً أي أكثر من ٦٠ ألف دونم ، وتقع شرقي جبل طويق ، فتساب المياه منه إليها ، وتمتد منطقتين :

١ - الحريق : وتقع على وادي الحوطة عند اجتماع عدة أودية تنحدر من الجبل فتحمل معها المجروفات فتوضعها مجرد أن يخف الانحدار فتكون منطقة الحريق • وأشهر مراكزها مدينة الحريق التي تتصل بخط معبد مع الحوطة • ونعام وتقع على الوادي نفسه ، وعلى الطريق المعبد أيضا •

٢ - الحوطة : وتقع على الوادي الذي يحمل اسمها ، وتكون المياه الجوفية فيها كثيرة بسبب انخفاضها عن الحريق حيث تؤول إليها كثير من مياه الأودية التي غاضت في الرمل ، أو ترشحت ضمن الصخور الكلسية • وتعرف الحوطة باسم حوطة بني تميم •

كما أن عدداً من الأودية تسير باتجاه الطريق الواصلة بين ليلى والخرج لذا تكثر المياه الجوفية ، وتكثر معها المدن ومن أهمها : الحوطة ، والحلة ، والحلوة ، والحفاير وهي في وادي برك الأعلى •

د - الأفلاج : منطقة ذات عيون كبيرة ، وفيها قنوات من القديم تصل بين المزارع ، وإن تهدم أكثرها •• وتعتمد الآبار السطحية ••• وهي بكثرة المياه يمكن أن تشبهها الشرقية في المملكة العربية السعودية ••• وهذه المنطقة

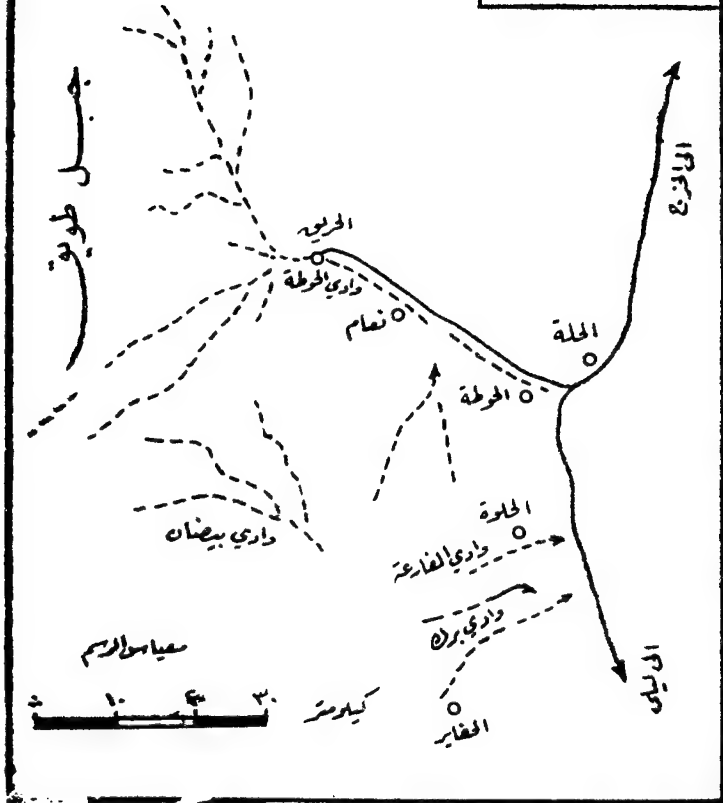
مثيلتها في اليمامة من حيث أن المياه الساقطة على جبل طويق ذي الصخور الكلسية تترشح حتى تصل الى المنطقة الكثيفة فتتجمع ويكون مستواها أعلى من المناطق المجاورة ومنها الأفلاج، فتكون هناك على شكل ينابيع وعيون •

وقد كانت مياه المنخفضات الطبيعية في يوم من الايام يتصل بعضها مع بعض ، إلا أن مستوى المياه قد انخفض ، فانفصل بعضها عن بعض •

وتبلغ المساحة الزراعية ٢٥ كيلو متراً مربعاً أي ما يعادل ٣٥ ألف دونم ، ويزيد عدد قراها على العشرين قرية ، أشهرها (ليلى) مركز المنطقة ، والسيح والروضة والبديع ، وكلها على جانبي الطريق العام الذي يمر بالمنطقة ويصل بين السليل ووادي الدواسر من جهة ، والحوطة والخرج فالرياض من جهة ثانية • ثم هناك قرى أخرى يقع بعضها على الأودية بعد انحدارها من انجبل وانخفاض سرعة جريانها عند اقدامه ، مما يسبب توضع المجروفات التي حملتها أثناء جريانها السريع ومنها الأحمر ، وستارة ، وواسط ، والهدار التي تقع على وادٍ يعرف باسمها ويشكل فجاً يمكن اجتياز جبل طويق عنده ، وبعضها الآخر يقع على الطريق العام حيث تكون المياه قد غاضت في الرمال وأشبعت التربة بالمياه •

وأشهر المزروعات في هذه المنطقة النخيل ، ويمكن تحت ظلها أن تقوم بعض اشجار الحمضيات وبعض الزراعات الأخرى •

منطقة الحوطة



هـ - وادي الدواسر : هو نهاية عدد من الاودية الكبيرة مثل (بيشة) و (تثليث) و (رنية) و (تربة) ، واذا كان مجرى الوادي لم يعد ظاهراً ، لأن السيول التي تؤول اليه قلما تصل اليه إلا أن المياه الجوفية المتوفرة تنعش الحياة الزراعية ، لذا فقد قامت القرى على جانبي آثار المجرى وتعتمد في حياتها على الزراعة إذ تقوم زراعة النخيل وبعض الفاكهة والحبوب والعلف . ويزيد عدد هذه القرى على اربع عشرة قرية أهمها الخماسين التي هي مركز الوادي .

وقد استطاع هذا الوادي يوم كان كثير المياه أن يشكل فجاً يخترق جبل طويق هو فج (تمره) وقد يكون هذا الفج قد تشكل إما بترشح المياه ضمن طبقات الصخور الكلسية فشكل نفقاً انهار مع الزمن ، أو أن وادياً آخر يجري على سفوح طويق الثانية استطاع أن يمد برأسه نحو الجهة الثانية ونتيجة الحث التراجعي شكل هذا الفج فاندفعت مياه وادي الدواسر فيه . . ومن ناحية فقد توضع الرسوبات ، وتشبعت التربة بالمياه ، وامتلات طبقات الارض بالمياه الجوفية قبل اندفاع مياه وادي الدواسر عبر فج تمره فتشكلت منطقة خصبة جداً صالحة للزراعة ، ومن جهة ثانية فعندما اندفعت المياه فقد غاض القسم الاكبر منها في منطقة السليل فأصبحت ايضاً منطقة خصبة .

و - السليل: وهو نهاية وادي الدواسر بعد اجتيازه جبل طويق إلا أن الرمال قد غورت المياه لذا بقيت منطقة المياه صغيرة، وبالتالي فإن منطقة السليل صغيرة لا يزيد طولها بين الشرق والغرب على ٢٥ كم وهو اتجاه اندفاع المياه ، بينما يقل عن ١٠ كم بين الشمال والجنوب . وتوجد فيها ما يقرب من عشر قرى أهمها : السليل مركز المنطقة ، وتمررة التي تقع عند الفج، والرقعة، والوضحة، ثم هناك واحة تسمى الحمام شمالي السليل . والحسي إلى الجنوب منها .

ز - عرض ابني شمام: (منطقة القويعة) : وقامت فيه عدد من القرى على الاودية التي تنشأ من المياه التي تجري من عالية نجد باتجاه المنخفض الموازي لالتواء جبل طويق . وأصل هذه القرى تجمعات بدوية ، وأشهرها :

القويعة مركز المنطقة ، وتقع على الوادي المعروف باسمها

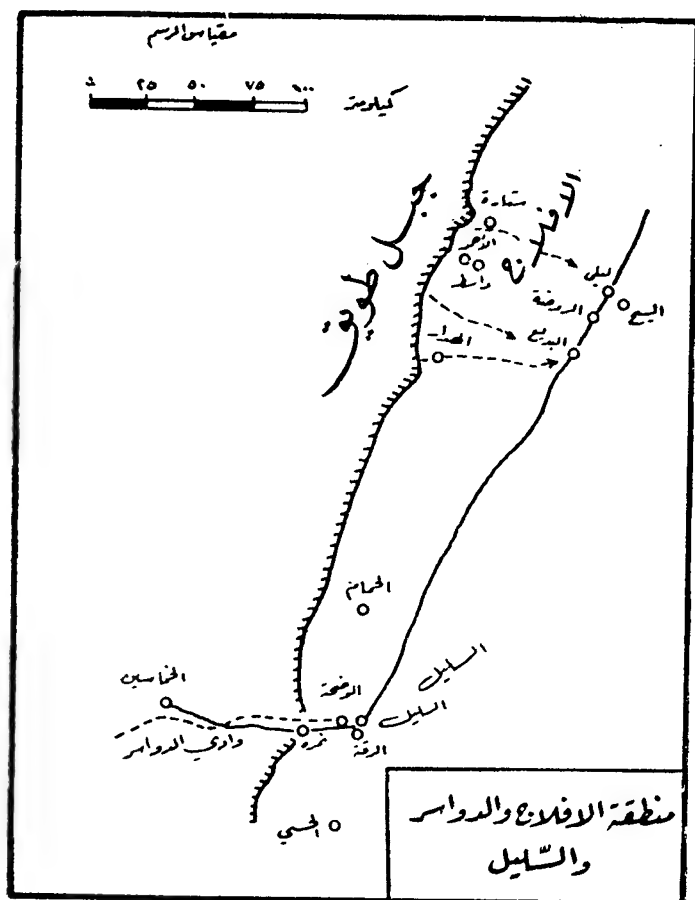
والروضة ، وصبحاء ، والحصاة .

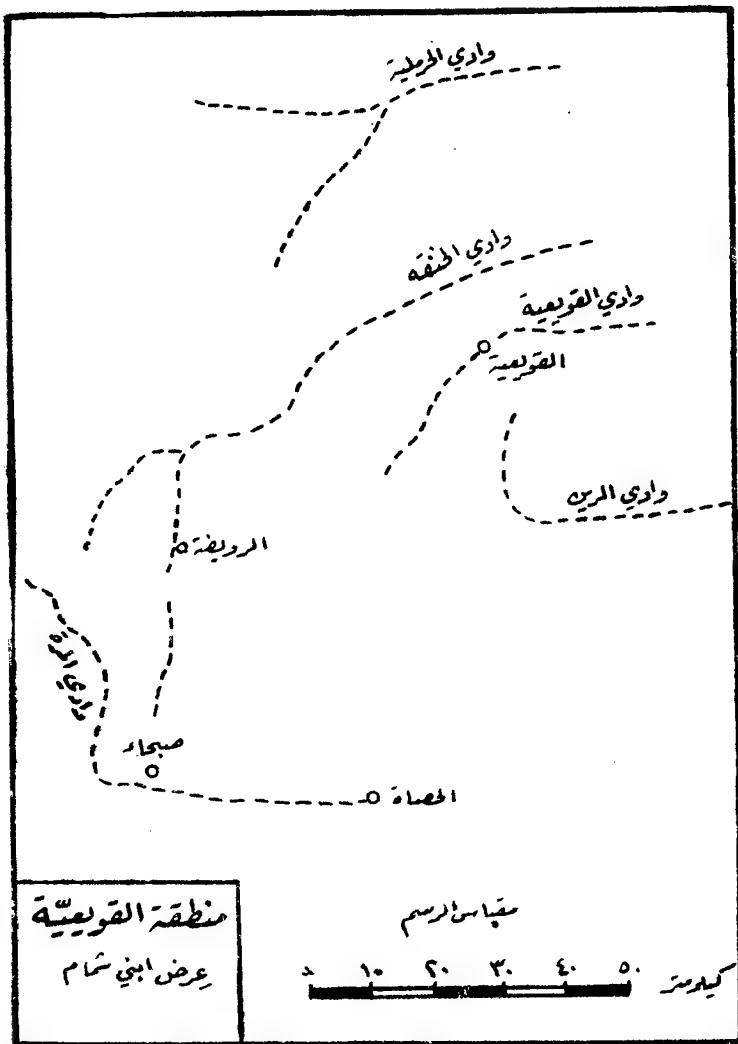
وأهم الاودية : وادي القويعة .

ووادي الخنقة اكبر الاودية .

ووادي الرين وتقوم فيه خمس وعشرون من الهجر .

ووادي السرة الذي تقوم عليه صبحاء .





ج - ضرمى : وهي منطقة صغيرة تشمل جزءاً من طرف جبل طويق الغربي حيث جريان المياه المحاذية لطرف الجبل ، وهو الذي أنعش الحياة فيها ، إضافة الى قربها من الرياض حيث تمون العاصمة بكثير من الخضار .

وأهم القرى فيها ضرمى مركز المنطقة ، والمزاحمية ، وجو ، ولحا ، والغطعط ، وسحمان ، والعلاوة ، وتمتد المنطقة من جبل طويق إلى النفود في الغرب ، ومن جبل طويق عند فج لحا في المكان الذي يجتاز الطريق إلى الرياض في الجنوب إلى شمال سمحان .

ط - الوشم : وهي المنطقة المحصورة بين السر وصفراء الوشم في الغرب وجبل طويق ونفود الوشم (عريق البلدان) في الشرق بعرض اقل من ٥٠ كم ، ومن جنوبي مرآة إلى النفود في الشمال شمالي أم العصافير وغرابة بطول يزيد على ١٢٠ كم .

وأول بلاد الوشم من ناحية الجنوب (مرآة) ، ويقال إنها بلد الشاعر امرئ القيس بن حجر الكندي ، ولكن عبد الله بن خميس يصر على أنها ليست كذلك وإنما هي بلد امرئ القيس التميمي ^(١) ، وجاء في المعجم : « لما قتل مسيلمة وصالح مجاعة خالداً على اليمامة لم تدخل (مرآة) في الصلح ، فسبى أهلها ،

(١) المجاز ص ٥٠ .

وسكنها حينئذ بنو امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، فعمروا
ما والاها حتى غلبوا عليها «...» •

وثرمداء وهي لبني سعد من تميم فهي بلدية قديمة ، وينتهي
إليها عدد من السيول تجري نحوها من صفراء الوشم في غربها •
وأثنية بلدة قديمة أيضا ، وهي لبني يربوع من تميم أيضا ،
ومنتهى سيول قادمة من الغرب •

وهناك القرائن وهي (ذات غسل) وهي لبني العنبر من تميم
ولبني نسير حيث فيها واديان يعرفان كل باسم القبيلة التي تحل
به ، فوادي العنبري لبني العنبر ، ووادي النسيري لبني نسير •
وشقراء : وهي أكبر بلدان الوشم ومركزه الإداري ، ولها
ماض تجاري كبير ، وأهلها من قبيلة بني زيد التي يرجع نسبها إلى
قحطان • وتجري عليها عدة أودية قادمة من صفراء الوشم وهي :
الغدير ، والريمة ، والعشرة •

وأشيقر : بلدة قديمة كانت تسمى (عكل) باسم أهلها بني
عكل ، وهي للرباب من تميم •

وشرقي شقراء توجد بلدة القصب وعلى مقربة منها إلى
الشرق يوجد فج (العتك) الذي يقطع جبل طويق •

ويتبع الوشم (المروت) وهي منطقة قليلة النبات كانت لباهلة •

٥ - نفود السر : وهو جبل من الرمل ممتد غربي الوشم ،
ويصل إلى القصيم ، ويتجه من الشمال إلى الجنوب من (العمار)
إلى (القرنة) ، وفيه بعض التجمعات البشرية بسبب المنخفضات

حيث تتشبع التربة بالمياه ، ومنها ساجر •

ك - الشعيب : ويضم مجموعة قرى تتجمع في واديين رئيسيين هما : وادي صلبوخ في الجنوب شمالي وادي حنيقة ، وتقع عليه بلدة (سدوس) ، و بلدة (صلبوخ) على طريق الرياض المجمعة •

و وادي حريملاء وتقع عليه (حريملاء) وهي قاعدة المنطقة ، ثم القرينة ، وملهم •

ل - المحمل : وهو المنطقة الواقعة بين جبل طويق في الغرب وطريق الرياض - المجمعة في الشرق ، وبين الشعيب في الجنوب ووادي العنك في الشمال •

تجري السيول من جبل طويق نحو الشرق فتقوم بعض التجمعات البشرية ، وأشهرها :

ثادق : وهي مركز المنطقة حيث تأتي السيول إليها من جبل طويق متجهة نحو الشرق ، وأهمها وادي بعيران المتجه نحو الشمال •

والبير : وهي بلدة تجتمع عندها مياه عدة سيول ، وهي بلدة ابن ماجد البحار العربي المشهور •

م - سدير : وهو المنطقة المحصورة بين جبل طويق غرباً وجبل مُجَزَل شرقاً ، وبين وادي العتّك جنوباً وحيث يتجه جبل طويق نحو الشرق إلى جبل حطّابة في الشمال ، شمال بلدة المجمعّة .

وتتجه السيول من جبل طويق نحو الشرق حيث تصب في وادي العودة الذي يتجه بدوره نحو الجنوب ليتلقى السيول الكثيرة ثم يرفد وادي العتّك ، وتقع عليه الروضة والحوطة والعودة . كما تجتمع أيضاً في وادي العشيرة الذي يتجه أيضاً نحو الجنوب ليرفد وادي العتّك وتقع عليه جلالج والتويم والعشيرة . كما ان هناك سيولا تلتقي في سفوح طويق وتتجه شمالاً مكونة وادي المشقر ثم وادي النمل وتقع عليه المجمعّة وحرمة ، وتأتية أودية من الشمال أيضاً من جبل حطّابة وجبل أم العشاش . وأشهر البلدان هي : المجمعّة : وهي قاعدة سدير ، بلدة حديثة لا تعود إلى أكثر من خمسة قرون ونصف تقريباً ، وهناك جلالج : وهي التي كانت تسمى في القديم دارة جلجل . والتويم : وهي بلدة حديثة أيضاً ، والحوطة وتعرف باسم حوطة سدير ، وكذا روضة سدير .

ن - الفاظ والزلفي : يقترب جبل طويق من بلدة الفاظ إذ تقوم في سفحه الغربي . وبينه وبين نفود الثويرات تجري النسيول ومنها وادي مرخ ، فتوجد السهول والمراعي ، وهي بلدة صغيرة ، وتعدّ الزلفي واحة تمتد بطول ٢٠ كم وعرض ٦ كم ،

الفصل الخامس

- ٢ -

القَصِيم

هو المنطقة المحصورة بين منطقة حائل شمالا وعالية نجد جنوباً وبين الحجاز في الغرب والنفود في الشرق ، وهو منطقة سهلية يجري فيها وادي الرمة ويرتبط به ، وكذا الأودية التي ترفده ، ويكون طول المنطقة بين الغرب والشرق بحدود ٣٠٠ كم ، وبين الشمال والجنوب حوالي ١٠٠ كم أو يزيد .

إن أغلب الأودية والشعاب في المنطقة هذه يلتقي بعضها مع بعض ليشكل وادي (الرمة) الذي يعدّ من أهم أودية جزيرة العرب وأطولها حيث يزيد طوله على ٢٠٠٠ كم ، كما أنه من أشهر الأودية الجافة في العالم حيث يشكل مع روافده شبكة كثيفة من المجاري السيلية التي تبقى جافة طيلة العام باستثناء أيام معدودات في بعض السنوات تنهمر فيها الأمطار ، فتمتلئ هذه المجاري بتيار شديد من المياه ، وقد جرفت معها التربة والرمال ، فانقلب لونها إلى أصفر ، ولكن سرعان ما يضيع هذا التيار بعد أن تنقطع الأمطار ، ويغيب الماء في الرمال ، أو يتبخر بالشمس ، وقد تمر الأعوام والأعوام دون أن يترع بالماء .

والرمة لغة ما بقي من الجبل بعد تقطعه ، وهذا الوادي كالجبل الطويل ، تغمر المياه أقساماً منه ، وأخرى جافة . مناطق منخفضة احتفظت بالماء على شكل غدران ومستنقعات ، وأخرى قد زال منها ما هطل عليها أو جرى فيها ، ورغم أنه يظهر ميتاً في الرمال إلا أن سريره يستمر ، فهو وصلتان حتى عدّه بعضهم وادين ، فالأول بنجد ، وينتهي في رمال العيون بالقصيم ، ويبدأ الآخر من الدهناء ، ويتابع السير باتجاه الشمال الشرقي حيث يمر في حفر الباطن ، ويصل حتى شط العرب ، وقد كان في الماضي المطير مجرى واحداً لا تستطيع أن تعترض سيره رمال فتقطع مجراه ... ولا يجف قبل أن يبلغ مستواه الأساسي في شط العرب ، جبل واحد من الماء ثم غدا خيطاً رفيعاً من الماء يجري في وادٍ واسع فقطعته الرمال وأصبح (رمة) ثم انقلب إلى سيل . واليوم يبدو وادين : الرمة والباطن ، لذا فقد قالوا : أصل الرمة وادٍ يصب في الدهناء . وقال ابن دريد : (الرمة قاع عظيم في نجد تنصب فيه أودية) ، وقال الأصمعي : الرمة وادٍ يمر بين أبانين ، يستقبل المطلع ، ويجيء من المغرب ، وهو أكبر وادٍ بعمله ، والرمة يخفّف ويثقل : فضاء تدفع فيه أودية كثيرة ، وهو أول حدود نجد ، وأنشد :

لم أر ليلةً كليل مسلمة إني اهتديت والفجاح مظلمة

لراكبين نازلين بالرمة

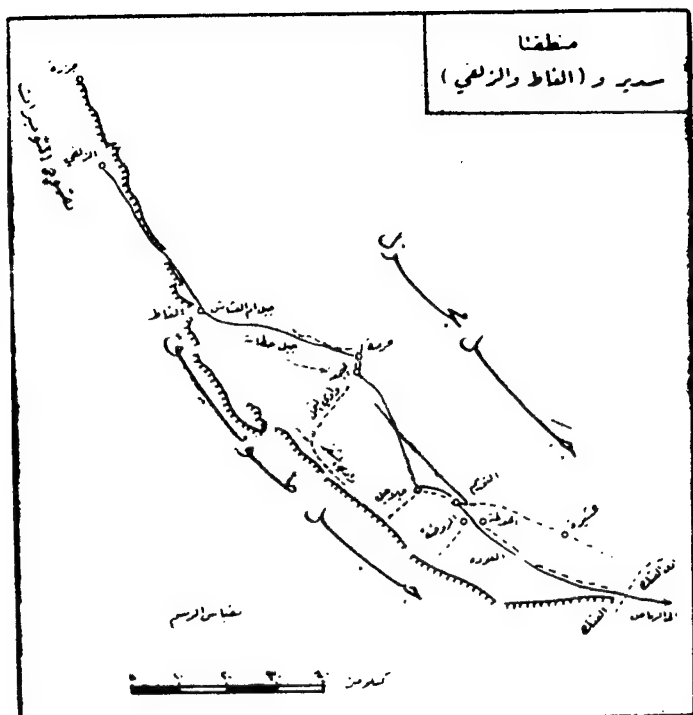
فهذا شاهد على التخفيف ، وهو أشيع وأكثر ، وقال : بطن

وهي تنمو بسرعة وبخاصة بعد أن اتصلت مع بريدة عاصمة القصيم عبر نفود الثويرات بطريق معبدة ، وأصبح طريق بلاد الشام يمر منها ، كما أن بلديتها تقوم بمشروعات واسعة فيها . . .

ويقدر عدد سكان اليمامة بأكثر من نصف مليون يعيش أكثرهم في مدينة الرياض . ويمكن أن نوزع السكان بشكل تقريبي على مناطق اليمامة حضرها وبداتها بالشكل التالي :

العارض : ٢٢٥٠٠٠	ضرمى : ٢٥٠٠٠
الخرج : ٥٠٠٠٠	الوشم : ٧٠٠٠٠
النخوة : ٢٥٠٠٠	السر : ١٠٠٠٠
الافلاج : ٢٠٠٠٠	الشعيب : ١٥٠٠٠
السليل : ٢٠٠٠٠	المحمل : ١٥٠٠٠
الدواسر : ٢٥٠٠٠	سدير : ٥٠٠٠٠
	الغاط
القويعة : ٤٠٠٠٠	والزلفي : ٢٢٠٠٠

وإن كان أكثر السكان قد انتقلوا إلى المدن الكبرى وأصبحت كثير من القرى تبدو وكأنها خاوية من قلة قاطنيها .



الرمة وادٍ عظيم يدفع عن يمين فلجة (١) والدثينة (٢) حتى يسرى بين
أبانين (٣) الأبيض والأسود ، وبينهما ثلاثة أيام ، وقال : ووادي
الرمة يقطع بين غدنة (٤) والشربة (٥) ، فإذا جزعت الرمة

(١) فلجة : منهل ماء يندفع نحو الرمة من جهة الشمال من بلاد
حائل وآخر الحجاز ، ولم يعد هناك اسم يحمل هذا المنهل اليوم .

(٢) الدثينة : يذكرها العرب كثيرا في أشعارهم ، غير أن منهم
من يذكرها بالفاء ، ومنهم من يذكرها بالثاء ، فأما الدثينة المشهورة
فهو المنهل المشهور المعروف بين المويه وعفيف والذي يجاوره جبل
الخال ، ويتابع صاحب صحيح الأخبار فيقول : وقد سألت في هذا
العام رجلا من بني سليم ، فقلت له : هل عندكم ماءة يقال لها
الدثينة ؟ قال نعم هي باقية في بلادنا بهذا الاسم إلى هذا العهد ،
وهي الحد الفاصل في بلادنا بين الحجاز ونجد ، فصح أن هناك
موضعين ، فمن ذكره بالفاء فانما قصد المنهل الواقع على الطريق بين
المويه وعفيف ، ومن ذكره بالثاء ، فانما يقصد المكان الواقع في بلاد
بني سليم . (صحيح الأخبار ج ٢ / ٢٥)

(٣) الأبانان : مشني أبان ، وهما جبلان عظيمان ، يقال لأحدهما
وهو الشمالي : أبان الأسود ، ويقال للآخر : أبان الأحمر ، وهو
الجنوبي ، ومجرى وادي الرمة بينهما ، يقال لذلك المسلك (الخنق)
وهما في الجاهلية لبني عبس وبني قزارة . وقرية النهائية تحت
أبان الأسود .

(٤) غدنة : أول نجد من شمالي الرمة .

(٥) الشربة : وتسمى الآن الشرمة ، وهي قرية من الدثينة
أول بلاد نجد من جهة الحجاز من الجهة الجنوبية لوادي الرمة .

مشرقاً أخذت في الشربة ، وإذا جزعت الرمة في الشمال أخذت في
عدنة • وبين الرمة والجريب ^(١) وادي يصب في الرمة ، وجاء في كتاب
الأصمعي في جزيرة العرب رواية ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه ،
وقد ذكر نجداً فقال : وما ارتفع من بطن الرمة ، يخفف ويثقل هذا
لفظه فهو نجد ، قال : والرمة فضاء تدفع فيه أودية كثيرة ، وبين
أسفل الرمة واعلاها سبع ليالٍ من الحرة حرة فدك إلى التقسيم
وحرة النار ، قال : قال والرمة تجيء من الغور والحجاز ، فأعلى
الرمة لأهل المدينة وبني سليم ، ووسطها لبني كلاب وغطمان ،
وأسفلها لبني أسد وعبس ، ثم ينقطع في الرمل رمل العيون ، وما
بين الرمة والجريب يقال له الشربة •

يبدأ وادي الرمة من مشارف المدينة المنورة من السفوح
الشرقية لجبال الحجاز والحرث البركانية التي تكثر في تلك
الجهات ، يبدأ من سفوح حرة الاثنين شمال حرة خيبر إذ تجتمع
مياه وادي الروضة من الشمال ، ومياه وادي المخاريق من الجنوب
عند بلدة حليفة ، ويحمل الوادي بعدها اسم وادي الرمة ، فيتجه
نحو الشرق ، فتأتيه السيول من كلا الجانبين إذ ترفده سيول وادي
قهد ^(٢) واسمرة من الشمال ، وبعد البعاث يصب فيه سيل

(١) الجريب : وادي عظيم ، تجتمع إليه عدة أودية وشعاب
حتى تصل مياهه إلى الرمة ، ويبدأ من جنوب الطائف ، وبينه وبين
الرمة (الشربة) •

(٢) وادي قهد : يعتبر من أصول وادي الرمة •

شعبة^(١) الذي يجمع إليه مياه جنوبي بلاد حائل من (حضن) و (أجأ) و (الرمان) و (سلسى) ، كما تجتمع إليه عند بلدة (عقلة الصقور) أودية المحلاني^(٢) من الشمال والجفن من الجنوب ، ثم يتابع سيره نحو الجنوب الشرقي فتأتيه مياه من عالية نجد مجتمعة في وادي جرير^(٣) (الجريب) ، ويسر بين الأبنين وتأتي روافد الجراير ومرغان^(٤) وشعيب داث وبعدها تصغر الأودية مثل الخشبي والنساء^(٥) ، كما كانت تصل إليه مياه وادي الرشا الذي يأتي من شمالي الوشم .

هذا الوادي واسع جداً إذن ، وتكثر روافده التي تدعى شعاباً ، وتزيد على ثلاثمائة شعيب ، وتسمى الشعيبات الصغيرة (تلعات) ، هذه الروافد تصرف مياه هضبة نجد في الجنوب وحائل في الشمال .

ويكون اتجاه وادي الرمة نحو الجنوب الشرقي حتى يرفده وادي جرير بعد عقلة الصقور بخمسة وثلاثين كيلو متراً ثم يتجه

- (١) وادي شعبة : ويعرف قديماً باسم (الثلبوت) ويجمع أودية المدسيس وجوي رشيد وشعب اللقم وشعب الحلة .
 (٢) وادي المحلاني : يعرف قديماً باسم مبهل .
 (٣) وادي جرير : تجتمع إليه مياه أودية الجريب والشيرم والساحوق والمياه والفرضيخية .
 (٤) وادي مرغان وتأتيه مياه العمودة وروقط ، وهو من روافد الجرائر .
 (٥) وادي النساء : وتأتيه مياه وادي دخنة .

نحو الشمال الشرقي ويتبع بذلك ميل الجزيرة العربية العام ٠ ويزيد عرضه باتجاه الشرق فيصل إلى ١٢ كم بين الحجاوي ورياض الخبرا ٠ بينما هو كيلو متر واحد عند عقلة الصقور ، ولكنه يعود ليضيق مرة أخرى في الشرق حتى لا يزيد عن ٣٠٠ م شرقي البدايع بسبب هجوم رمال نفود الشقيقة من الجنوب ونفود الهلالية من الشمال ٠ ثم يعود للاتساع مرة أخرى فيصل إلى ١٠ كم شمال غربي عنيزة ، ويشكل في هذه المسافة جزراً وخلجاناً ، ثم يضيق ثانية بسبب هجوم رمال نفود بريدة والغميس من الشمال ، ووجود الصخور الكلسية من الجنوب ، ثم يدخل في منخفضات واسعة أولها روضة الرغيبية ثم قاع الظليم ، وبعدها يبدأ يغيض في الرمال بسبب سيطرتها عليه ٠

هذا الوادي الطويل ليس من حث هذا السيل البسيط الذي يسير عدة أيام في العام ، وإنما هو من آثار الماضي المطير عندما كانت جبال الحجاز مصدر أنهار عظيمة ، وكانت منطقة الحرات وغربي نجد ذات أمطار غزيرة ، فكان النهر الأصلي هو الذي حفر هذا الوادي ، ثم جاءت السيول في هذا العصر فاستخدمت هذا الوادي الجاف الذي خلقه لها التاريخ ، فوجدته جاهزاً فصبت مياهها فيه ، إذ لا يعقل أن يحفر سيل هذا الوادي الطويل والذي يزيد عرضه على عدة كيلومترات ، سيل يحفره في منطقة جبلية وهضابية ذات صخور قاسية تتكون من الغرانيت أو من البازالت

في منطقة الحرات والصخور المتحولة ، ولكن الذي يعقل أن الذي
حفر هذا الوادي العريض لا بدّ أن يكون نهراً كبير المنسوب ،
عظيم الصبيب ، دائم الجريان ، وهذا ما تمّ في عصر مطير سابق .

يحفر وادي الرمة مجراه في الطبقات البلورية المختلفة الأنواع
والمنشأ ، ولكنه يفرش سريره بطبقات من الرسوبيات المتنوعة .
ومن هذه الطبيعة نجد أن المنطقة الغربية من وادي الرمة قليلة
العران ، قليلة المساكن والسكان إذ أن صخورها لا تحتفظ بالمياه
في باطنها وإنما تنساب على سطحها ، وما تأخذ الطبقة السطحية من
التربة يكفي لنمو بعض الحشائش التي ترعاها الحيوانات ، لذا
كانت الحياة قبلية على جوانب الوادي ، وضاف شعابه ، وبطون
تلعاته ، ويستعين الانسان ببناء الآبار التي يحفرها بالصخر على قضاء
حاجاته من شربه وري حيواناته واستعمالاته ، ولما كان الصخر
كثيلاً فإنه يحتفظ بالماء . وإذا كنا نرى بعض التجمعات البشرية
فإنما هي صغيرة وتعتمد في معيشتها على وقوعها على الطريق العام
الذي يصل القصيم بالمدينة المنورة والبعيث وغيرها وما من طريق
أو ملتقى طرق إلا وقامت عليه بعض التجمعات .

أما في المنطقة الشرقية فتكون رسوبات النهر أكثر سمكاً ،
وأكثر نعومة إذ أن الوادي تقل سرعته مع ضعف ميله فيوضع
كل ما يحمله من المجروفات فعندما يبلغ (عقلة الصقور)
يكون ارتفاع مجراه (٧٣١ م) على حين يكون في غيزة
٦٤٩ م وبهذا يكون قد انخفض مجراه ٨٢ م فقط على حين

أنه قد قطع مسافة ١٨٥ كم أي أنه ينخفض أقل من
 مترين كلما قطع كيلو متراً واحداً ، وهو انحدار بطيء مما
 يجعله يرسب ما يحمل من دقيق الرمل والغضار . وعندما يصل
 إلى بريدة يكون ارتفاع مجراه ٦٣٠م ، وهو تقريباً انحداره السابق
 نفسه ، مما يجعل التربة أكثر احتفاظاً بالماء ، وهو يكفي لقيام حياة
 زراعية وذلك سواء باستخراج المياه بواسطة مضخات آلية أم أن
 التربة مشبعة بالمياه ، وعندما نصل إلى الرس تكون منطقة الدرع
 العربي قد انتهت وبدأت المنطقة ذات الصخور الرسوبية وبخاصة
 الكلسية منها ، فيتسرب الماء إليها وتكون طبقة من المياه الباطنية ،
 فيمكن حفر الآبار واستخراج الماء بالكمية التي نريدها ، ولما كان
 ميل الطبقات باتجاه الشرق فإن المياه ربما اندفعت بغزارة دون
 ضخ حتى تملأ المنخفضات وتسيل أكثر مما يتمناه السكان . كما
 أد التربة اللحية والتي تنتهي فيها مياه السيول يمكن أن تشبع
 بالمياه ، وتقوم فيها الحياة الزراعية ، مما جعل تلك المنطقة عظيمة
 الغنى ، كثيرة الموارد والانتاج فيما لو استغلت أحسن استغلال .
 بل إن بعض الحاصلات التي زرعت في المنطقة قدمت إنتاجاً أفضل
 مما كان يتوقع لها ، وتقدم الآن البطيخ والبصل والبنودرة
 والبادنجان والخضراوات كافة إضافة إلى أشجار النخيل التي
 تتواجد في كل منطقة تقريباً .

وكذلك فإن المنطقة كثيرة السكان ، كبيره القرى وأشهرها :

بريدة : مركز القصيم ، ويزيد سكانها على الخمسين ألفاً ،
فهي أكبر مدن المنطقة بل أكبر مدن نجد بعد الرياض . وتقع على
يسار وادي الرمة قبل أن ينتهي بقليل ، وهي مركز مواصلات هام
إذ تتصل بالرياض عن طريق الوشم كما تتصل بها عن طريق سدير ،
فهي طريق المدينة المنورة ، كما تتصل بمدينة حائل في الشمال .
وعلى الجنوب الغربي منها وجد مطار القصيم .

عنيزة : كانت مركز المنطقة قديماً قبل أن تحلّ محلها بريدة ،
ويقرب سكانها من الثلاثين ألفاً ، ولا تبعد عن بريدة بأكثر من ٣٥
كم . وتقع على يمين وادي الرمة ، وتشتهر بنخيلها وخضراواتها ،
وقد فقدت شيئاً من مكائنها بعد فتح طريق سدير إلى القصيم ،
وفتح الطريق الجديد من بريدة إلى المطار ويتصل بطريق الحجاز
بعد عنيزة مما جعلها بعيدة عن المواصلات إذ أن هذه الطريق
تختصر ما يقرب من ١٠٠ كم من طريق الوشم .

الرس : وهي ثالث مدن القصيم ، ويزيد عدد سكانها على
العشرين ألفاً ، وتقع على الطريق العام بين عنيزة والحجاز ، ولكن
أصابها ما أصاب عنيزة إذ أن الطريق الجديد يتركها بعيداً ويلتقي
بالطريق القديم في غربها وبالقرب منها الحجاوي في الشرق
والرويضات إلى الشمال الغربي والشنانة وقصر ابن عقيل في
الغرب .

البكيرية : وتقع شمال وادي الرمة ، وقد أنشئ المطار

بينها وبين عنيزة وبريدة ، وإلى الجنوب منها تقع الهلالية على مسافة ٥ كم فقط ...

رياض الخبراء : وتقع على الطريق الجديد مما زاد من أهميتها عكس عنيزة والرس ، وهي منطقة زراعية موزعة المساكن ، على الضفة الشمالية لوادي الرمة •

هذا بالإضافة إلى قرى موزعة مثل القرين والذبية والدليمية والبتراء و

عقلة الصقور : وتقع على الطريق العام بين الحجاز والقصيم وعند التقاء وادي الرمة بوادي (المحالاني) المنحدر من الشمال ، ووادي (الجفن) القادم من الجنوب ومن هنا جاءت أهميتها • ومع كثرة السكان ، وتعداد القرى ، نلاحظ كثرة الطرق المعبدة التي تصل بين هذه التجمعات البشرية المتعددة •

ويقدر سكان القصيم بـ ٢٠٠.٠٠٠ نسمة يتجمع أكثر من نصفهم في بريدة وعنيزة والبكيرية والرس • ويعيش بعضهم حياة بدوية •

الفصل السادس

- ٣ -

منطقة حائل

تمتد جبال الحجاز شمالي المدينة نحو الشمال الشرقي حتى مدينة حائل ، فتكون منطقة مرتفعة تعرف باسم منطقة الجبل أو منطقة حائل ، ويعرف الجبل باسم جبل شمر أي باسم القبيلة التي تنزله ، ويصل ارتفاعه إلى مايقرب من ١١٠٠ م في جلي أجا وسلمى .

هذه المنطقة تقع بين النفود الكبرى في الشمال والقصيم في الجنوب ، وبين جبال الحجاز في الغرب ورمال الصحراء في الشرق ، وإن كانت قبيلة شمر تنزل مواطن أوسع من هذه المنطقة بكثير .

ان ارتفاع المنطقة بالنسبة إلى ماحولها قد جعل مناخها أكثر عذوبة وأكثر رطوبة وبخاصة في فصل الصيف اللاهب فبينما تكون المناطق المجاورة ذات هواء ساكن لا تتلقى أقل النسمات ، نجد منطقة حائل تصل إليها نسمات منعشة وتتلقى هواء عليلًا ، وهذا ما جعلها موطنًا ملائمًا للسكن ، ومكانًا محببًا للنفس ، وكذلك فإن هذا الارتفاع قد جعل المنطقة تتلقى كميةً من المطر أكبر مما ينال جوارها من الأرض ، فسالت منها أودية نحو القصيم ، وانحدرت

من مرتفعاتها سيول نحو وهادها فكانت بساتين النخيل ، وكانت
المزارع ، وإن كانت قليلة بشكل عام لقلة الأمطار إلا أن بقاعها
المنخفضة قد تشبعت بالمياه ، كما احتفظت مجروفاتها بكمية منها ،
فاستخرجت بالمضخات ، وحفرت الآبار فروت ما أمكنها الري .
وصخور الجبل جزء من صخور السراة فهي كتيمة تبرز في أعلى
المرتفعات بينما المناطق الأخرى تغطيها المجروفات التي حملتها
السيول وفرشتها على المناطق التي مرت عليها ...

الحائل في اللغة : الناقة التي لم تحمل عامها ذاك . ورجل
حائل اللون إذا كان أسود متغيراً .

قال ابن الكلبي : حائل وادٍ في جبلي طيء ، قال امرؤ
القيس :

أبت أجباً أن تسلم العامَ جارَها ،

فمن شاء فليهض لها من مقاتل

تبيت لبُوني بالقرية أُمّناً

وأسرحها غيباً بأكناف حائل

بنو ثعل جيرانها وحماتها ،

وثمنع من رُماة سعد ونائل

ودخل بدوي إلى الحضرمي فاشتاق إلى بلاده فقال :

لعمري لنور الأقحوان بحائل

ونور الخزامى في آلاء وعرفج

أحب إلينا ، يا حميد بن مالك ،
من الورد والخيري ودهن البنفسج

وأكل يرابيع وضبٍ وارصبٍ
أحب إلينا من شمانى وتد رُج

ونص الثِلاص الصُهب تدمى أنوفها
يَجْتَبِنُ بنا ما بين قوٍّ ومنعج

أحب إلينا من سفينٍ بدجلة
ودربٍ ، متى ما يظلم الليل يترج

وتقع مدينة حائل على وادٍ يعرف باسمها ، بين جبلي طيء ،
وهما أجأ وسلمى • وأجأ معناها الفرار ، يقال : أجأ الرجل إذا
فرّ ، ومن الأساطير ما ذكر بأخبار العرب أن أجأ سمّي باسم رجل
وسمّي سلمى باسم امرأة • وكان من خبرهما أن رجلاً من
العماليق يقال له أجأ بن عبد الحي ، عشق امرأة من قومه ، يقال
لها سلمى • وكانت لها حاضنة يقال لها العوجاء • وكانا يجتمعان في
منزلها حتى نذر بهما إخوة سلمى ، وهم الغميم والمثضلّ وفدك
وفائد والحدثان وزوجها • فخافت سلمى وهربت هي وأجأ
والعوجاء ، وتبعهم زوجها وإخوتها فلحقوا سلمى على الجبل
المسمى سلمى ، فقتلوا هناك ، فسمّي الجبل باسمها • ولحقوا
العوجاء على هضبةٍ بين الجبلين ، فقتلوا هناك ، فسمّي المكان

• بها • ولحقوا أجاً بالجبل المسمى بأجاً ، فقتلوه فيه ، فسبى به •
وأنفوا أن يرجعوا إلى قومهم ، فسار كل واحد إلى مكان فأقام به
فسبى ذلك المكان باسمه •

كما يروى أن بني سبأ لما تفرقوا في البلاد بعد خراب سد
مارب . سار طيء وعمومته نحو تهامة إلا أن ملاحاة وقعت بينهم ،
ففارق طيء عمومته وسار بأهله نحو الحجاز ، وكان له بغير يشرد
في كل سنة عن إبله • ويغيب ثلاثة أشهر ، ثم يعود إليه وقد
عبث وسين وآثار الخصرة بادية في شذقيه ، فقال لابنه عسرو .
تفقد يا بني هذا البعير فإذا شرد فاتبع أثره حتى تنظر إلى أين
ينتهي • فلما كانت أيام الربيع وشرد البعير تبعه على ناقة له فلم
يزل يقفو أثره حتى صار إلى جبل طيء ، فأقام هنالك ونظر عسرو
إلى بلاد واسعة كثيرة المياه والشجر والنخيل والريف ، فرجع إلى
أبيه وأخبره بذلك فسار طيء بإبله وولده حتى نزل الجبلين فرآهما
أرضاً لها شأن ، ورأى فيها شيخاً ، عظيماً ، جسيماً ، مديد القامة ،
على خلق العاديين ومعه امرأة على خلقه يقال لها سلمى ، وهي
امراته وقد اقتسما الجبلين بينهما بنصفين ، فأجأ في أحد النصفين
وسلسى في الآخر ، فسألها طيء عن أمرهما ، فقال الشيخ : نحن
من بقايا صُحار غنينا بهذين الجبلين عصراً بعد عصر ، أفنانا كر
الليل والنهار ، فقال له طيء : هل لك في مشاركتي إياك في هذا
المكان فأكون لك مؤنساً وخلاً ؟ فقال الشيخ : إن لي في ذلك رأياً
فأقم فإن المكان واسع ، والشجر يانع ، والماء طاهر ، والكلا غامر •

فأقام معه طيء بإبله وولده بالجبلين ، فلم يلبث الشيخ والعجوز إلا قليلاً حتى هلكا وخلص المكان لطيء ، فولد به إلى هذه الغاية .
وهناك روايات أخرى يرجع إليها في معجم البلدان في مادة أجأ .

يقع جبل أجأ غربي حائل على مسافة عشرة كيلو مترات ، ومن السفوح الشرقية تجري سيول تؤول إلى وادي حائل ، ومن أشهرها وادي العقدة الذي سبب سيله إلحاق الضرر بحائل ، فحفر الأهالي له وادياً يصب في وادي حائل إلى الجنوب من المدينة بعد أن كان يمر فيها . أما الأودية التي تنحدر نحو الشمال فتجتمع في وادٍ يتجه نحو الشمال الشرقي ثم يضطر إلى الانحراف نحو الشرق عندما يصطدم بجبل الحميمة . وأما جبل سلمى فيقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة حائل وعلى بعد ٤٠ كم . والجبلان بارتفاع واحد تقريباً وهو ١١٠٠ م ، أما مدينة حائل فتقع على ارتفاع ٩٧٩ م فوق سطح البحر .

ومدينة حائل مركز المنطقة وهي عقدة مواصلات هامة إذ تتصل ببريدة ، وبالمدينة المنورة بطريقين أحدهما عن طريق الحناكية ، والآخر عن طريق النقرة . وهناك طرق أخرى تصلها بموقع في الجنوب الغربي منها . والثاني بسبعان إلى الجنوب الشرقي منها وثالث بمنطقة البقعا ومنها إلى العراق ، ورابع يصلها بجبة في أوائل النفود .

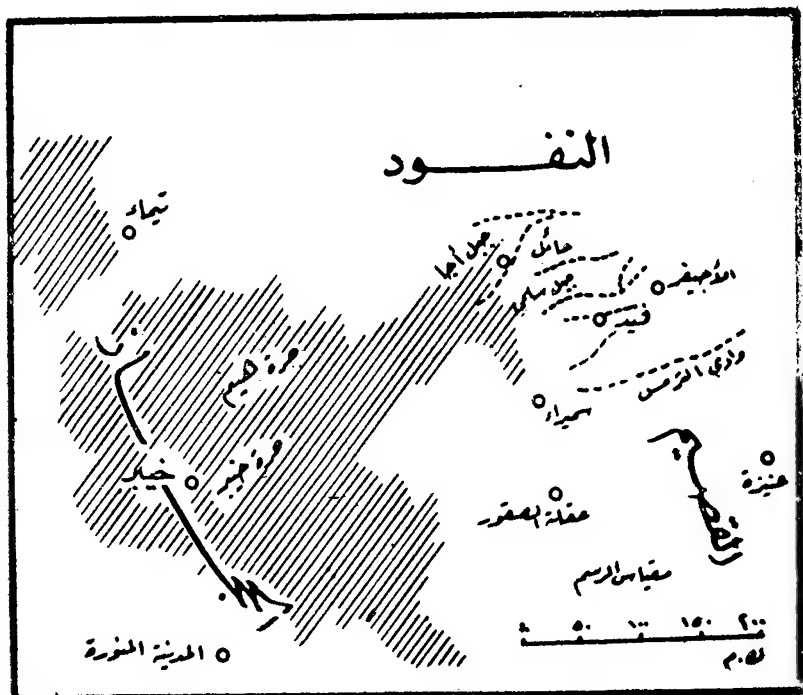
وعندما تتصل بتيماء يمكن أن تزدهر إذ تصبح الطريق من

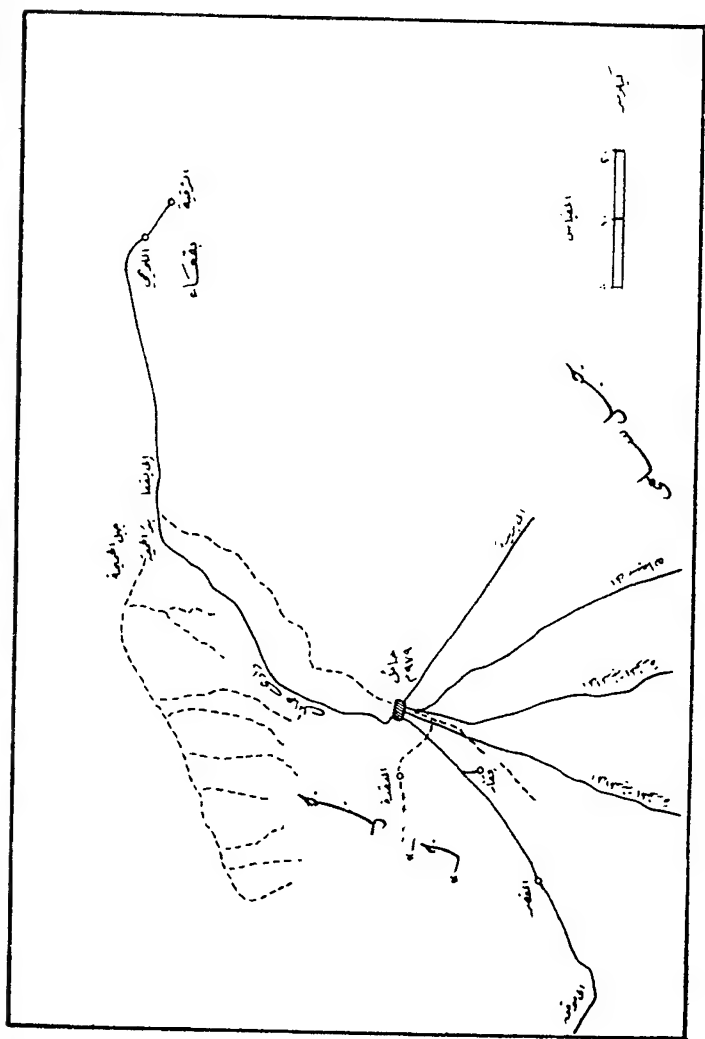
الرياض إلى الشام تمر منها ، وتختصر من طريق المدينة مسافة ٩٠٠ كم ، وهي مسافة طويلة .

ومن القرى ذات الأهمية (فيد) وهي على الطريق بين العراق والمدينة المنورة . وسميرة على الطريق نفسه ، وكذا الأجيفر وهو منهل ماء عذب .

وقد سبق أن ذكرنا أن السيول من جنوب منطقة حائل تصير إلى وادي الرمة وبخاصة في المناطق الغربية أما السيول من شمالي المنطقة فتفيض في الرمال ، وأشهرها وادي حائل . . ، والجب ، وفيه ، ووادي الترمس .

ويقدر سكان منطقة حائل بـ ٤٠ ألفاً تقريباً .





الفصل السابع

- ٤ -

عاليّة نجد

وهي المنطقة المرتفعة الواقعة بين اليمامة شرقاً والحجاز غرباً وبين القصيم وبلاد حائل شمالاً ، والحجاز واليمامة جنوباً . وتميل نحو الشمال الشرقي مع ميل الجزيرة العربية كلها ، ويظهر هذا من مجرى سيولها التي تقطعها ، وتشمل الاراضي الممتدة على جانبي طريق شقراء - الطائف ، والمنطقة الجنوبية الغربية لها . وتتألف صخورها من الصخور الكتيمة التي هي جزء من الدرع العربي ، والتربة السطحية رقيقة لهذا كانت المياه الجوفية لا تتعدى ما تحتفظ به هذه التربة وأكثره يتبخر في فصل الصيف اللاهب . لهذا كان السكان يحتفظون بالمياه ضمن آبار يحفرونها في الصخور الكتيمة فلا يترشح منها الماء ، وتوضع رسوباتها في قعره ويبقى الماء صافياً ، وما يصيب التربة السطحية من ماء المطر يكفي لإنبات الاعشاب القليلة ، وتكون أفضل في قاع الأودية ومجاري السيول ، وعليها تعيش الحيوانات التي ينتقل أصحابها وراءها يطلبون مواطن الكأ ومواقع الماء . فالتجمعات البشرية قليلة . وأشهرها (تربة) و (خرمة) على وادي تربة المعروف شرقي (الطائف) أما التجمعات الأخرى الموجودة حالياً مثل (الدوادمي) و (عفيف) فقد وجدت على

الطريق الرئيسي بين اليمامة والحجاز . واستفادت منه في نشوئها
وأعمالها التجارية فنتت نتيجة ذلك •

ونرى في المنطقة بعض المرتفعات الصغيرة التي تكون جيالات
صغيرة يطلق عليها اسم جبال وهي ذات صخور قديمة بقيت بارزة
بعد الحت المائي والريحي مثل جبل (مرة) و (سواج) و (شعباء)
و (المخامر) شرقي عفيف ، كما نجد بعض التجمعات الرملية
والكثبان الطويلة المستدة التي يقال لها النفود مثل نفود (العريك)
و (كشيفة) شرقي (عفيف) ونفود (الشقيقة) شرقي (الدوادمي) •

وتجري السيول حسب الميل العام للجزيرة نحو الشمال الشرقي
فتسير حتى ترفد وادي الرمة في القصيم مثل وادي (جرير) حيث
يقطع الطريق العام بين شقراء والطائف قبل (عفيف) و (وادي
الشبرم) بعدها و (وادي داث) حيث يبدأ من جبل (مرة) و (جبل
سواج) شمالي الطريق العام و (وادي الرشاش) بين (عفيف)
و (الدوادمي) ويبدأ من جبال (المخامر) و (شعباء) و (سواج)
جنوبي الطريق العام • هذا إضافة إلى أودية صغيرة لا تستطيع
الوصول إلى وادي الرمة فتفيض مياهها في الرمال •

وفي الجنوب الغربي نلاحظ وادي رانية و وادي بيثة فبعد
أن يأخذ اتجاهاً شامالاً شرقياً ينحرفان نحو الجنوب الغربي
ليشكلوا وادي الدواسر وهو جزء من بلاد اليمامة كما ذكرنا

وإذا كانت المنطقة ليست لها معالم واضحة بين الحجاز ونجد
إلا أننا نستطيع أن نقول : إن الانحدار من أعالي السراة نحو الشرق
يعتبر البدء بالسير في نجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
(من رأى حضناً فقد أنجد) وحضن جبل يقع شرقي الطائف
شمالي تربة بينها وبين خرمة • كما أنه يوجد جبل آخر شمال
شرقي المدينة في بلاد حائل يحمل الاسم نفسه ، وهو بين جبل شمر
: نجد • وما يقيم في عالية نجد من السكان لا يزيد على خمسين ألفاً •

الفصل الثامن

مشروعات الري

إن التطور السريع الذي حدث في المملكة العربية السعودية في المدة الأخيرة بسبب توفر النفط قد رافقه تطور في العمران ، وهذا ما استدعى الاستقرار الذي أدى بدوره إلى الهجرة من البادية والريف نحو المراكز الحضرية ومن البلاد الاسلامية الاخرى نحو المملكة العربية السعودية للمساهمة في هذا العمران أو للفائدة المادية من هذه النهضة الواسعة . وهؤلاء المهاجرون من خارج المملكة قد اسهموا من جانب في تطور الزراعة لما يملكون من خبرة فنية أو من ناحية الاشراف ولكنهم من جانب آخر هم بحاجة إلى مواد استهلاكية زراعية ، وهذا ما يدعو إلى الاتجاه نحو الزراعة .

ومن الطبيعي أن تستهدف السياسة الزراعية للمملكة توفير المنتجات الزراعية والحيوانية بأرخص الاسعار ومن أفضل الانواع ، وأن تعمل جاهدة على تضيق الثغرة بين حجم الاستهلاك وحجم الانتاج المحلي ، ولذلك فلا بد من اقامة مشروعات كبيرة الغرض منها زيادة الرقعة الزراعية ، واصلاح الاراضي ، وتوفير مياه الري إضافة إلى وصل البلاد بشبكة من المواصلات .

تبلغ مساحة المملكة العربية السعودية ما يقرب من مليوني كيلو متر مربع أغلبها من الصحارى التي تتخللها مساحات زراعية متناثرة ، وإذا قارنا نسبة الارض الزراعية إلى مساحة البلاد عامة ، وجدنا أن المساحات المزروعة حاليا لا تتجاوز ٣٠ ٪ ، وهذا ما يوضح الجهود الكبيرة الملقاة على عاتق المملكة لإعمار الصحراء وتطويرها واستخدام كل الطاقات والوسائل لهذا الغرض .

إن إعمار الصحراء يحتاج إلى استغلال الطاقات المائية كافة وهي :

١ - مياه السيول والأمطار .

٢ - المياه الجوفية .

٣ - مياه البحر .

ولامكانية الانتفاع من مياه الأمطار والسيول يجب احتجاز تلك المياه والاحتفاظ بها في مواقع مناسبة يتم اختيارها لانشاء وتشبيد سدود عليها ، ويستفاد من تلك الحواجز بتغذية الآبار السطحية من تلك المياه . أو جعلها تنسرب إلى باطن الأرض لكي تختزن في الطبقات الحاملة للمياه الأمر الذي يساعد على الانتفاع بما يختزن بعد ذلك .

أما المياه الجوفية فانها تحتل مركز الصدارة بين الثروات المائية إلا أنه ليس هناك من مورد ثابت ينافسه للحصول على مياه الشرب أو الزراعة إلا عن طريق تحلية ماء البحر ، وتحلية ماء البحر ليست ميسورة المنال إلا في المناطق القريبة من السواحل ، وإلا إذا توفرت

الامكانات اللازمة لها من وقود أو طاقة كهربائية أو ذرية • وإن استغلال المياه الجوفية يتمثل في بعض المشروعات التي أحالت جزءاً من الصحراء إلى بقع خضراء ذات بهجة ونضارة •

أما مياه البحر فتعدّ المصدر الثالث بعد مياه الأمطار والسيول والمياه الجوفية ، وقد قامت محطة في جدة لتحلية ماء البحر وذلك لسد احتياجات مياه الشرب وبالتالي توفير مياه الآبار والعيون لأغراض الري للتوسع في الزراعة • كذلك تقوم دراسات في المنطقة الشرقية للغرض نفسه • ولعل أهم مشروعات الري هي :

١ - في نجد : أ - سدود الدرعية : تقع منطقة الدرعية شمال غربي الرياض ، وهي منطقة زراعية حيث تقع في وادي خيفة أحد الأودية الكبيرة ، وقد اقيم على هذا الوادي سد عام ١٣٨٠ هـ ، وقد ظهرت فائده ، مما دعا إلى اقامة عدد من السدود على فروع هذا الوادي ، وقد اختيرت مواقعها على أودية صفار ، وغبيرة وحريقة ، والغرض من هذه السدود امكانية تغذية الآبار ، وتشبع التربة بالمياه ، وتنظيم ترسيب المواد الطينية بكامل الوادي ، وقد انتهى العمل من هذه السدود الثلاثة عام ١٣٨٨ هـ •

وهذه السدود من النوع الركامي المغلف بالخرسانة لحماية السطوح الظاهرة ، مع تزويد هذه السدود بفتحات من انايب المياه المركب عليها صمامات للفتح والاغلاق بقطر ٣٠ سم

السد	عند السد	السد	كمية التخزين	ارتفاع	عرض الوادي
صفار	٣٢٥ م	٣	٢٠٠.٠٠٠ م ^٣	٥٤ كم ^٢	حوض التجميع
غبرة	١٧٠ م	٦	٩٠.٠٠٠ م ^٣	٢١ كم ^٢	
حريقة	١٩٠ م	٥	٨٠.٠٠٠ م ^٣	١٩ كم ^٢	

أما سد الدرعية فالغاية منه حماية مدينة الرياض من خطر انسيول العارمة وتغذية الآبار من أجل مياه الشرب وري المزروعات. وقد انشيء السد من الخرسانات مع واجهات مبنية من الاحجار الكلسية المنحوتة ، ويبلغ عرض الوادي عند السد ٥٦٠ م ، بني منه ١٥٦ م بالخرسانات ، أما الباقي وهو ٤٠٤ م فقد شيد بالركام الترابي المغلف بالاسمنت والخرسانات ، ويبلغ ارتفاع السد ٦٥ م ، وقد زوّد السد بثلاث فتحات بعرض متر واحد ، وركبت عليها بوابات حديدية ، وجرت عليه تعديلات بين عامي ١٣٨٥ - ١٣٨٧ هـ .

ب - سد نمار : وقد اقيم على وادي نمار أحد روافد وادي حنيفة ويقع على بعد ٥ كم جنوب غربي مدينة الرياض ، وقد تم انشاؤه عام ١٣٧٩ هـ ، وهو من النوع الركامي محمي من الامام والخلف بالاحجار مع الاسمنت ، ويبلغ ارتفاعه ٨ م بطول ٤٠٠ م ، ويمكن أن يخزن ١٥ مليون م^٣ ويستفاد منه لتغذية الآبار وبخاصة التي خلف السد والتي تغذي مدينة الرياض .

ح - سد لبن : وقد أقيم على وادي لبن أحد روافد وادي حنيفة أيضاً ، ويقع غرب مدينة الرياض ، وعلى بعد ٦ كم منها تقريباً ، وقد بدىء بالعمل به عام ١٣٧٩ هـ ، وتم استلامه من قبل بلدية الرياض عام ١٣٨٧ هـ ، وتصونه وزارة الزراعة والمياه .

والسد من النوع الركامي أيضاً ، ومغلف بالاحجار والاسمنت ، ويبلغ ارتفاعه ٨ م بطول ٥٠٠ م ، ويستوعب كمية من المياه بخلفها وراءه تقدر بمليون م^٣ ، ويستفاد منه في تغذية الآبار الموجودة في المنطقة لري المزروعات .

د - سد عرقه : وشيد على وادي حنيفة جنوب بلدة عرقه الواقعة شمال غربي الرياض ، وهو كالسدود التي اقيمت على هذا الوادي من النوع الركامي المغلفة بالاحجار والاسمنت ، وله الغاية نفسها التي أنشئت من أجلها بقية السدود .

هـ - سد العينه : ويقع في منطقة الجبيلة غرب طريق الرياض - صلبوخ ، وعلى بعد ٥٥ كم من الرياض ، والسد أثري قديم مبني من أحجار وأتربة بطول ٤٠٠ م على وادي العينه ، وقد قامت وزارة الزراعة والمياه بترميمه ، وانشىء فوقه طريق بعرض ٣ م ، وغلف بالخرسانة بسبك ٢٥ سم ، ويمكنه تخزين مليون متر مكعب .
والحوض التخزيني تتألف أرضه من صخور تتخللها شقوق بحيث تسمح لنفوذ المياه من خلالها الأمر الذي أدى إلى انجاس عين طبيعية بعد السد كان لها أثرها في الزراعة . كما أن للسد فوائد
بقية السدود .

و - سد حريملاء : وأقيم على وادي حريملاء جنوب غرب البلدة بحوالي ٢٠٠ م على وادي أبو قتادة ، وهو أكبر الأودية اتساعاً وأوفرها ماء إذ تبلغ مساحة حوض التغذية ٣٥٠ كم^٢ ويبلغ ارتفاع السد ٦ م بطول ١٢٥٠ م ، ويمكنه تخزين ١٥ مليون متر مكعب ، وهو من النوع الركامي المغلف .

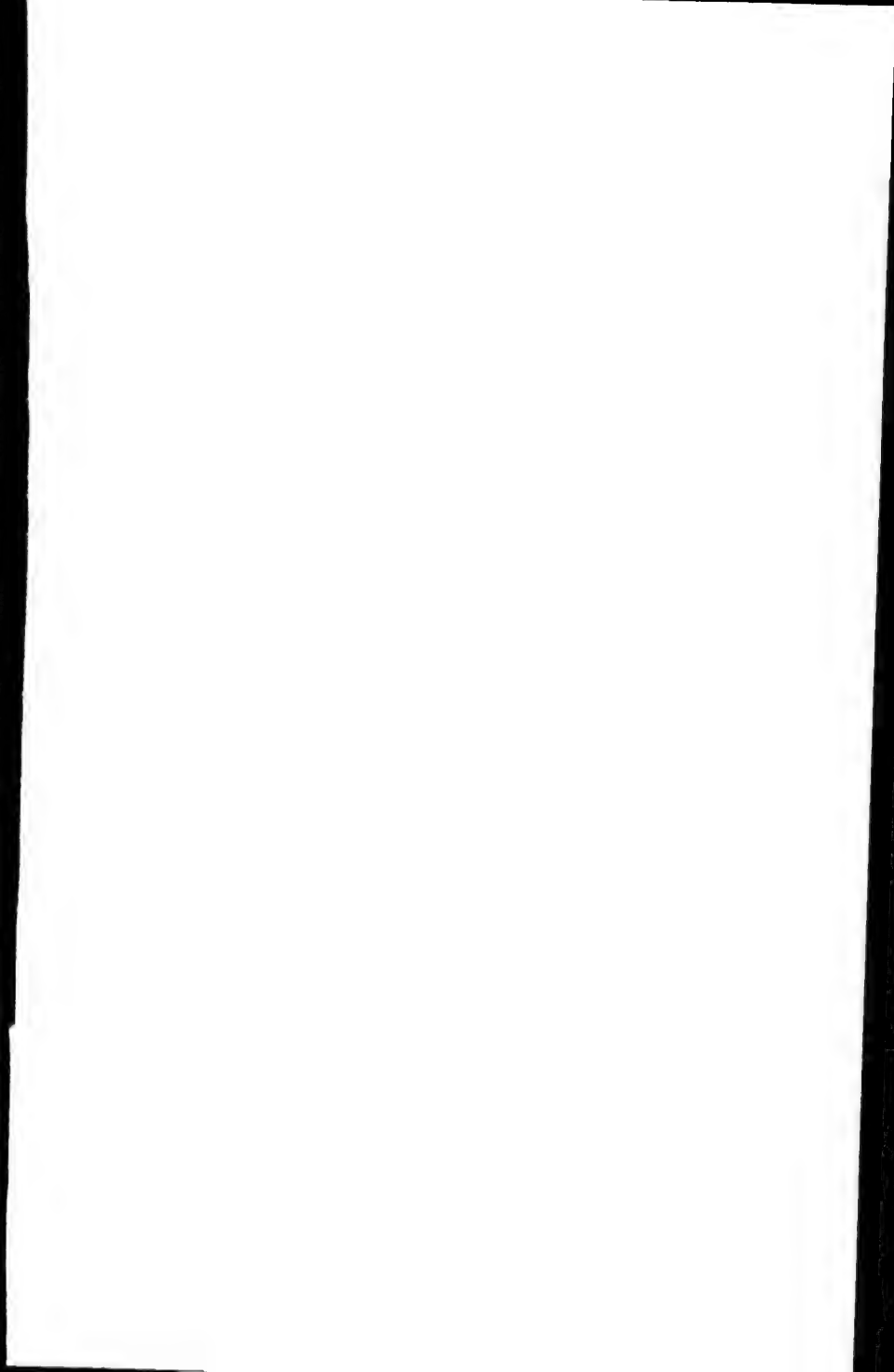
ز - سد ملهم : وشيد على وادي ملهم غربي البلدة بكيلو متر واحد تقريباً ، بطول ١٠٠ م وارتفاع ٥٤ م ويمكنه تخزين ٢٠٠٠٠٠ م^٣ ، وهو من النوع الركامي المغلف أيضاً .

ح - سد المجعة : وأنشئ عند التقاء واديين لكي يحجز سيول وادي النسل الذي يعد أهم أودية المنطقة ، ويقع على بعد ٧ كم غرب بلدة المجعة حاضرة سدير ، ويبلغ ارتفاعه ١١ م بطول ٣٦٠ م ، وله فتحة لتصريف مياه الري ، ويمكنه تخزين ١٥ مليون م^٣ ، وهو من النوع الركامي المغلف .

ط - حائط حرمة سدير : وهو حائط قديم أثري أقيم منذ زمن بعيد لحماية الأراضي الزراعية ومباني حرمة سدير الواقعة على الجانب الأيسر لوادي المجعة والتي تبعد عن عاصمة المنطقة ٣ كم ، وما يقرب من ١٠ كم من سد المجعة الذي أقيم مؤخراً ويبلغ طول هذا الحائط ٤٠٠ م ، وهو حائط حجري ، قامت وزارة الزراعة بترميمه وتغليفه حتى بلغ ارتفاعه ٣٥ م بحيث يتم المحافظة على المياه التي تسيل من وادي المشقر مارة من سد المجعة مع تحويل هذه المياه إلى المزارع الجانبية للإفادة من مياه السيول المتدفقة لتغذية الآبار .

الباب الثاني

فَسَبَّ السَّكَّانَ



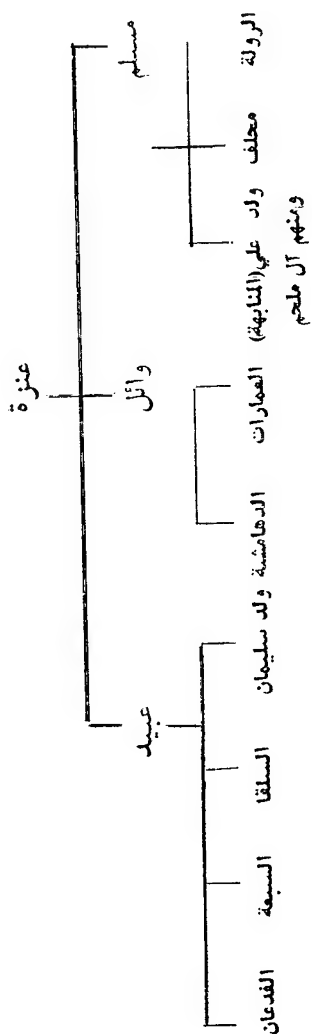
لعل أشهر القبائل التي ينتسب إليها السكان هي:

١ - عنزة : وهي من أكبر القبائل العربية الحالية ، وتنتشر بطونها في الشمال من نجد إلى الحجاز فالحماد فوادي السرحان فالبادية السورية ، والمناطق الشرقية •

وهي تمتّ إلى أصول عدنانية من ربيعة ، وإن كانت عدة بطون متحالفة فهي تضم بطوناً من بني بكر بن وائل وتغلب بن وائل ، ومن فروعها بنو حنيفة وهم من بني بكر ، وكذا بنو شيان ^(١) • فمن بني بكر الرولة ، ومن تغلب بنو بشر ، ومن بني حنيفة آل سعود ، ومن بني شيان بنو وهب •

وهي اليوم ثلاثة بطون : مسلم ووائل وعبيد •

(١) يرجع إلى شجرة الانساب الواردة بعد ذكر القبائل .



ومن مسلم الرولة الذين اصطدموا مع قبيلة شمّر في الشمال،
وأخذوا منها الجوف وقريات الملح ووادي السرحان (هو الآن
للشرارات) ، وأمير الرولة الشعلان ومقره في عذراء في منطقة دوما
قرب دمشق •

ومن ولد علي الذين يسمون أيضاً المنابهة ومنهم آل ملحم •
ومن قبيلة عنزة آل سعود حكام المملكة العربية السعودية ،
وآل الصباح حكام الكويت ، وقد انتقلوا إليها من الأفلاج وآل
خليفة في البحرين ، وقد جاؤوا إليها من الأفلاج أيضاً ، وآل مهنا
في بريدة ، وآل العسكر ، وآل التويجر وآل حقييل ، وآل ثنيان
وآل عرفج وآل ماجد ، والدغيش والسنانا وغيرهم كثير •

وإذا كانت قد حدثت خلافات بين أفراد هذه القبيلة فانما ذلك
بسبب المصالح الخاصة والارتباطات الفكرية لا لأسباب قبلية إذ
لم تعد القبيلة هي حجر الزاوية في الاتفاقات والخلافات •

٢- مطير : وهي قبيلة كبيرة متحالفة من عدنانيين وقحطانيين ،
وتمتد منازلها بين الكويت والخليج العربي من ناحية الشرق
والشمال ، وتصل إلى قرب القصيم من جهة الغرب ثم إلى ديار
العجمان وبني خالد من ناحية الجنوب ، ومنها آل الدويش وهم
من مشايخها ، ويمتون إلى ناهس من قحطان •

٣- عتيبة : وهي قبيلة كبيرة متحالفة من عدنان وقحطان
وأكثر بطونها من هوازن من قيس عيلان وبالتالي من مضر ،

وتقع منازلها في القصيم والوشم والمنطقة الغربية . وكانت في
الجاهلية تعرف باسم هوازن، ومشايخها آل حميد ، وبلدهم (عروة)
جنوب طريق عفيف - الدوادمي . وفيها فخذ (برقاء) وهو من عسير
ومشايخه (الحمد) وهم من (بني شهر) .

٤ - حرب : وهي من خولان وبالتالي من قحطان ، كانت
منازلها القديمة منازل خولان شرقي صنعاء ، بينها وبين صعدة ، ثم
انتقلت إلى أرض الحجاز ، ثم بدأت تتحرك نحو نجد حيث يقيم
أكثرها الآن ، وتستد شرقي المدينة وحتى القصيم . ولها مواقع
مشهورة مع شمر ، وأمراء القبيلة في الحجاز ابن رويثي وابن مسلط .
هذا مع العلم أن هناك من يقول : إن قبيلة حرب تنتمي إلى حرب بن
حلال بن عامر فهي مضرية عدنانية ، وأغلب الظن أنها تنتمي إلى حرب
بن سعد من خولان .

٥ - تميم : وهي قبيلة كبيرة احتفظت باسمها نفسه من قبيل
الاسلام ، وتنوزع منازلها في نجد كله ، كما تصل إلى العراق .
وتتحد من مضر فهي عدنانية ، وكان لها دور كبير في الفتوح
الاسلامية . وقد عرف بنو تميم بالجلالة وشدة البأس ، ولكثرتهم
قبل الاسلام كان يقال : « لو تأخر الاسلام لأكلت بنو تميم الناس » ،
ومنهم الآن : آل الوهبي في القصيم ، وآل بسام في عنيزة ، وآل
شبانة في المجمعة ، وآل ثاني حكام قطر ، وآل مبارك وآل غنام في
الأحساء . وتنسب (الحوطة) لهم فيقال : حوطة بني تميم .

٦- الدواسر : وينتسبون إلى قحطان وعدنان ، ومنزلهم في وادي الدواسر الذي يحمل اسمهم كما يتوسعون نحو الشرق إلى المناطق الجنوبية من نجد ، وهم بطنان :

١- دوسر : وهم من أصل عدنانني إذ ينتسبون إلى دوسر بن تغلب بن وائل .

٢- آل زايد : ويمتون بصلة إلى قحطان .

٧- قحطان : إن اسم قحطان يشمل عدة قبائل ، والمقصود به هنا قحطان نجد ، وهي من القبائل الكبيرة ، ومن أصل يماني ، وهي مجموعة قبائل وأحلاف من خولان وهمدان ، ومنزلهم ما بين نجران وأبها وجنوبي نجد ومنطقة الحصاة والرين وتثليث وعريجا وصبحا ، والذين هم في نجد فرعان :

١- آل الجمل : ومنهم آل عياف وآل سويدان وآل عليان وغيرهم .

٢- آل سليمان : وهم بطنان :

أ- آل محمد .

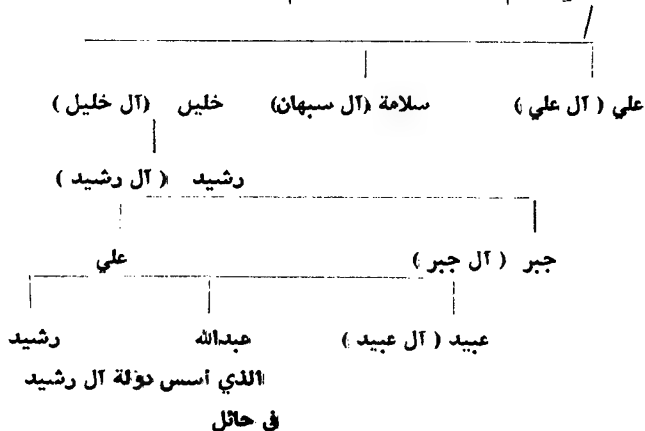
ب- آل عاصم : وهم آل طريف الذين منهم آل الحشر .
أمراء الهياثم من قرى الخرج ، وآل رزق الذين منهم ابن لبدة .
ومن قضاة من قحطان : بنو زيد في الوشم والقويعة والبكيرية والدوادمي وسدير والزلفي ، ومنهم آل جمار ، وآل فتوخ في الوشم ، وهملان في صفاقة قرب الدوادمي ، وأبو عبادة وآل ربيعة في شقراء ، والفوزان في الوشم ، والرواحج في القصيم .

٨- شمّر : قبيلة كبيرة ترجع في نسبها إلى طيء من كهلان ، وطيء هو ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . ومن شمّر عبدة ، وعبدة مجموعة بطون من عبدة كانت تسكن قرية الخضراء في سرة عبدة في بلاد قحطان ، ثم انتقلت إلى وادي تثليث ، فأجلتها عند الجحادر من أبناء عمومتها من سحان ، عدا بعض بطون تجلفوا منها ، وبقوا في الصبيخة ، ومنهم ينحدر آل شفلوت من أمراء قحطان اليوم . وكانت عبدة قد أجلت أمامها عن تثليث آل زيد ، وهم من القحطانية أيضاً ، فدخلوا في حلف مع غامد . ثم انتقلت عبدة إلى حائل عن طريق وادي الدواسر والأفلاج بعد صدام مع تلك القبائل التي كانت تقيم في تلك الأرجاء ثم انضمت إلى أبناء عمومتها الذين سبقوها في الاستقرار في حائل وهم (بنو لام) من طيء ، وألف بعضهم مع بعض مجموعة عبدة أي (من عبدة) .

وكانت الرئاسة فيهم لآل جعفر ثم انتقلت إلى شهوان بن ضيغم الذي انحدر منه آل خليل ، وتفرع من آل خليل آل علي ، وآل رشيد ، وآل جبر ، وآل سبهان ، وآل عبدة ، والجندة الذين منهم آل الدرويش وأميرهم أبو ثويني هزاع بن عيفان بن عجلان (١) ، وآل تريان وشيخهم حاج بن وائل الرماحي .

(١) وقد قتل في بعض المعارك التي دارت رحاها بين آل رشيد وآل سعود ، وتوفي عن ولد يدعى مقبلا ، وقد اعتزل مقبل الأمر في حائل ببلدة (العقلة) وتوفي عن ولدين هما : مرزوق وعبدالله .

وآل علي وهم الذين كانوا حكام حائل قبل آل رشيد •
 آل عطية [وهم من آل جعفر وهم بطن من عبدة]



٩- العجمان : وتنتسب إلى قحطان وهم أولاد مذكر بن
 يام ، ومذكر هذا أخو مرة بن يام ، فال مرة أبناء عم العجمان
 وجميعهم من همدان ، بينما ينتسب بعضهم إلى عدنان ، ويقولون :
 إنهم من بقايا عبد القيس بن اقصي بن دعي ، ومنازلهم من
 الطف إلى العقير (١) ، ويتصلون بالصمان ، ويصلون في الشتاء
 إلى الخرج والقصيم ، ومنهم آل رشيد وشيخهم سعيد بن صمعان ،
 وابن منيف ، وابن نصيب ، وأبو ساق •

(١) قرية على شاطئ الخليج العربي بالقرب من هجر •

١٠- بنو خالد : وتنتسب هذه القبيلة إلى العدنانيين ،
من نسل عامر بن صعصعة ، ومنازلهم في الاحساء • وهم الذين
أخرجوا العشانيين من منطقتهم عام ١٠٨٠ هـ •

١١- الظفير : أحلاف من قبائل متفرقة ، اجتمعوا وتحالفوا ،
وتسموا بهذا الاسم ، ورؤساء الظفير آل الصويط ، وهم من بني
سليم أي سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ومنازلهم بالقرب من مطير إلى
الغرب ، ويصلون إلى العراق •

١٢- بنو هاجر : وهم من قحطان من شريف ، ومنازلهم جنوب
ديار العجمان ، ويصلون في تنقلهم حتى بلاد قطر •

١٣- البقوم : وهم من الأزد من قحطان ، ويقيمون عند جبل
حضن •

١٤- سبيع : (بضم السين وفتح الباء) من عامر بن
صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن
خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وأما
سبيع (بفتح السين وكسر الباء) فمن همدان • وسبيع ينقسمون
إلى قسمين : سبيع نجد ، وسبيع القبلة ، وهم سكان بلدة رنية
والخرمة ، وقبائلهم المجامعة والزكور وآل محمد وبريهة والسود
والشماسات والفراغة والملوح وهذه القبائل في بلدة رانية ، أما
قبائل الخرمة فهم بنو ثور والقريشات • وأما سبيع نجد فهم منتشرون
في قرى نجد ومدنها كغيرهم من سائر القبائل العربية •

١٥- بنو جعدة : وهم من قيس عيلان ومنازلهم في الأفلاج

والخرج •

ولم يعد الأفراد يهتمون بالقبائل كثيراً كما كان الأمر في السابق وذلك لأسباب كثيرة •

أ - انتشار العلم والتفاخر بالمنصب والمركز والمال والعلم بدل الفخر بالقبائل وأيامها •

ب - الحياة الحضرية والاستقرار في المدن التي تضم عدداً من القبائل المختلفة ، بينما كان الأمر من قبل أن يعيش أفراد القبائل في باديتهم منعزلين عن غيرهم من القبائل •

ج - الأحلاف التي قامت بين القبائل وبخاصة عندما تكون بين عدنانيين وقحطانيين ، فيصبح الالتساب إلى الحلف الجديد ، وينسى الأصل •

د - تشابه الأسماء مثل أسد ومالك وتيم وعمرو
حتى أننا نجد أكثر من بطن من القبائل تحمل اسم بني مالك ،
ورفيدة ، وآل رشيد ، وآل محمد و •

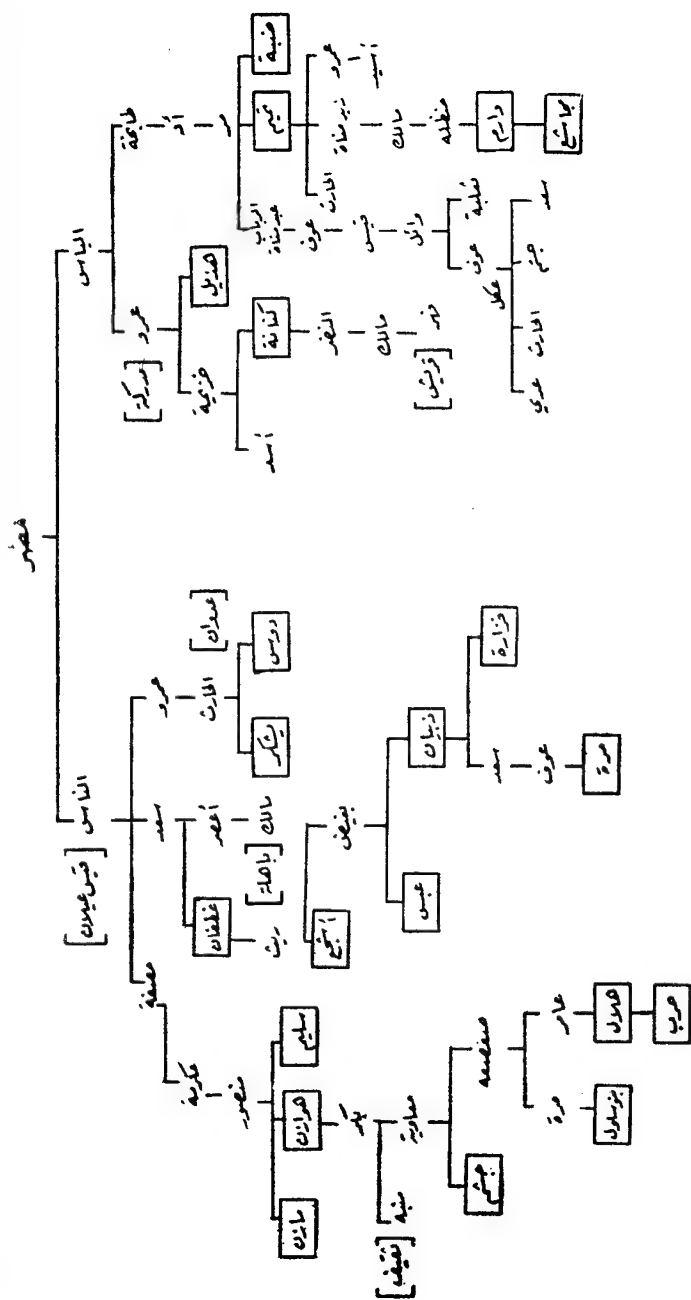
هـ - الروايات الكثيرة في أصل القبائل ، إذ نرى بعضهم
يسب قبيلة ما إلى عدنان ، ثم يأتي آخرون فينسبونها إلى قحطان • •

و - ويجب ألا ننسى أن الدعوة الإسلامية تجعل العقيدة
الرابطة الوحيد بين الأفراد لا القبائل والعصبيات • ومع انتشار
الدعوة السلفية قل التفاخر بالأنساب •

وعلى كلٍ فإن الانتساب إلى القبائل يضع تدريجياً مع ضياع
الحياة القبلية والانتقال إلى الحياة الحضرية •

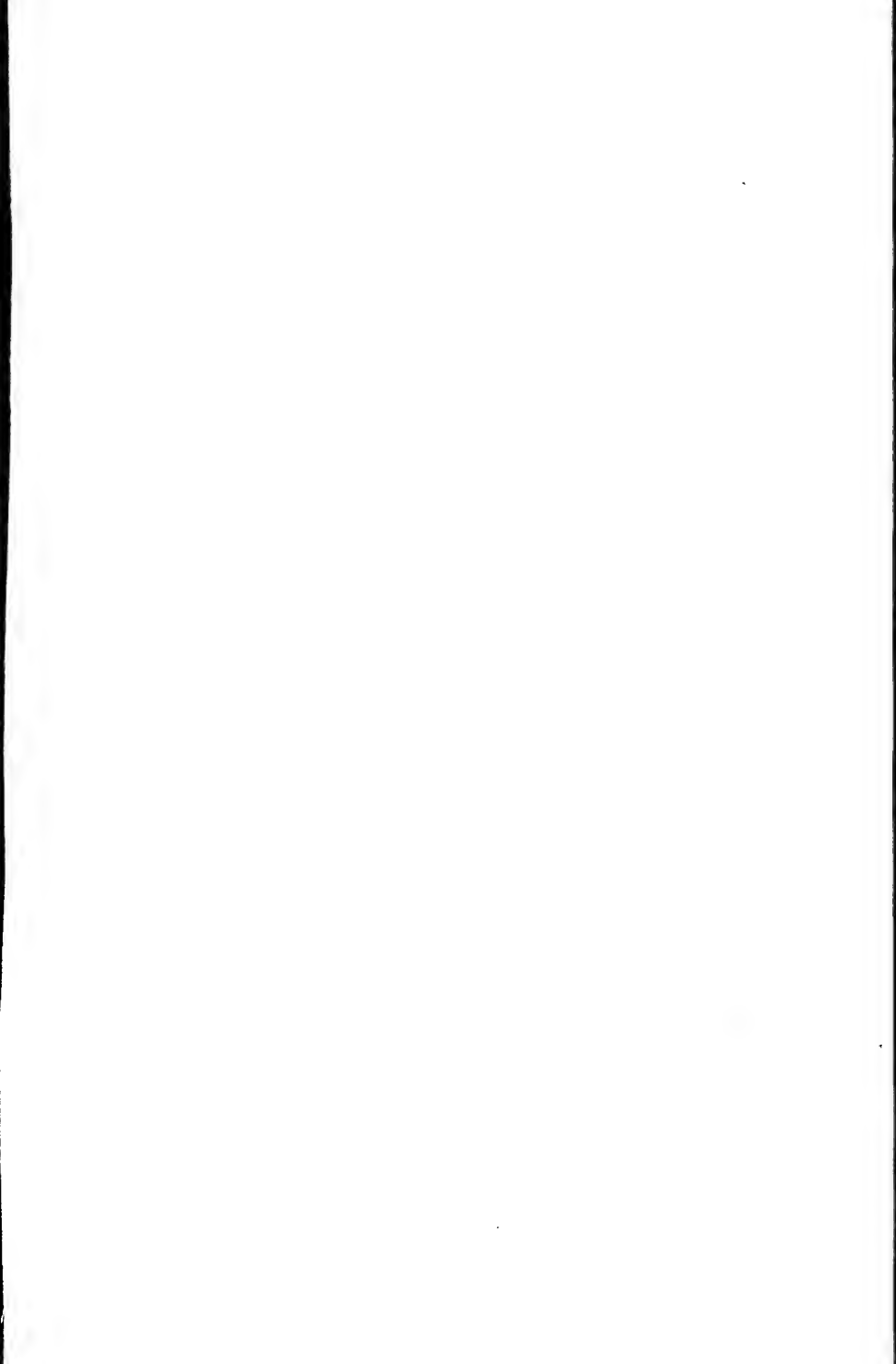
ولا شك فإن الفخر بالأنساب لا غبار فيه ، وإنما التعصب
هو الأمر المذموم والممقوت •





الباب الثالث

مع التَّسْلِيحِ



الفصل الأول

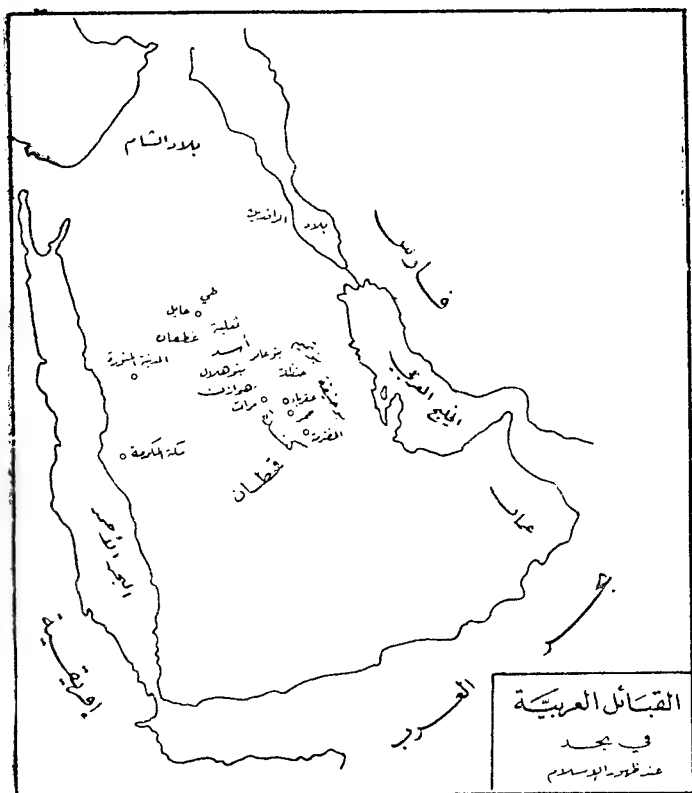
نجد وظهور الإسلام

إن بعد اليمامة^(١) وهي المنطقة الآهلة بالسكان من نجد عن بقية المناطق الحضرية والمراكز الادارية والدينية والتجارية جعل الاهتمام بها قليلاً ، والعناية بها ضعيفة ، فلم تدرس دراسة جيدة ، كما أن المعرفة عنها كانت ضئيلة ، ويتباعد بعض السكان عن بعض ، إذ يتجمعون على شريط ضيقٍ من الأرض يمتد على مسافة طويلة ، إذ يسائر الأودية الضيقة ولا يكاد يتجاوزها ، وهي تمتد على طرفي جبل طويق الذي يمتد على مسافة تزيد على ١٠٠٠ كم إذ أن المياه المنحدرة منه على الجانبين تشكل تلك الأودية ، وتجعل بقاعاً داخل الصحراء تزرخ بالحياة وتشمل هذه الأودية الدواسر والسليل والافلاج والحوطة والحريق والخرج والعارض والمحمل

(١) اليمامة : كانت تسمى (جوآ) ، وتسمى (العروض) وتسمى (القرية) ثم سميت اليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم ابن طسم المعروفة بزرقاء اليمامة وقصتها معروفة مع حسان بن تبع الذي غزا اليمامة باستعداد طسم على جديس . (المجاز بين اليمامة والحجاز صفحة ١١) .

والوشم وسدير والزلفي . هذا إضافة إلى وادي الرمة في الشمال وجبل طي ، وتفصل هذه المناطق عن الحجاز أو المراكز الإسلامية مسافة تزيد على ٦٠٠ كم وكذا الحال بالنسبة إلى اليمن والبحرين وبلاد الرافدين وبلاد الشام ، وليست هذه البقاع الفاصلة سوى أجزاء جرداء حيث التربة فيها قليلة العمق لا تصلح للزراعة ، قليلة الانبات لقلة الأمطار المتساقطة عليها ، وهذا ما يزيد قحراً ، فتصعب فيها الحياة إلا على شكل قبائل متنقلة وراء الماء ومواطن العشب ، وهي صحراوية في جهات ثمانية تتمثل في النفود شمالاً والدهناء شرقاً والربع الخالي جنوباً . وهذا كله جعل المنطقة قليلة الموارد ، فلا نظرة اهتمام بها ، قليلة السكان لا يطمع أحد في حكمها ، قليلة المال لا يرغب في السيطرة عليها ، متباعدة الأرجاء مما يجعل قيام دولة واحدة فيها صعبة المنال في تلك الأيام .

سكنت اليمامة من القديم قبائل طسم وجديس وهي من القبائل التي بادت وانقرضت ، ثم حلت فيها قبائل بني حنيفة عندما انتقل إليها عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة من بني بكر من ربيعة ، أما البادية فقد سكنتها قبائل مضرية مثل تميم وبطونها جنظلة ودارم ومجاشع ، وبنو أسد ، ومن قيس عيلان كان بنو عامر وبنو هلال وهوازن ، هذا إضافة إلى بعض القبائل القحطانية .



وقد قامت في المنطقة بعض الإمارات مثل دولة (كندة) •
كما كانت بعض المراكز الحضرية مثل : حجر (الرياض حالياً)
وعقرباء (الجبيلة) و (الخضرة) و (مرات) وغيرها •••

ولما ظهر الاسلام كانت زعامة اليمامة ل (هوزة بن علي بن
ثمامة الحنفي) وكان مركزه بلدة الخضرة وتقع في (جو) أسفل
الخرج في الموضع الذي تقوم فيه الآن اليمامة والسلمية والسيح ،
وعندما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتب إلى الرؤساء
والملوك يدعوهم فيها إلى الاسلام كان فيمن كتب إليه (هوزة)
هذا ، وقد جاء في كتابه صلى الله عليه وسلم :

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوزة بن
عني : سلام على من اتبع الهدى • واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى
الخف والحافر فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يدك) • وكان
عليه السلام يولي على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم • فلما
وصل الكتاب إلى (هوزة) كتب في رده (ما أحسن ما أتت به
وأجسله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرد سب مكة • فاجعل
إني بعض الأمر أتبعك) • ولما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم قال : (لو سألتني قطعة من الأرض ما أعطيت ، بأحد يدي ما في
يديه) • كان ذلك في العام السادس للهجرة بعد صلح الحديبية ،
ولم يلبث (هوزة) أن توفي في العام الثامن للهجرة بعد فتح مكة •
وكان يسامي (هوزة) في بني حنيفة (ثمامة بن أثال) ،

وكان من أهل (حجر) ، فلما وصلت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدراها ، وأعرض عنها ، وأخذته العزة بالإثم ، فأصم أذنيه عن سماع دعوة الحق والخير ، ولكنه لم يمتص على ذلك طويلاً وقت حتى عزم (ثمامة بن أثال) على أداء العمرة ، فانطلق من أرض اليمامة مولياً وجهه شطر مكة ، وهو يمني نفسه بالطواف حول الكعبة والذبح لأصنامها . وبينما كان (ثمامة) في بعض طريقه قريباً من المدينة نزلت به نازلة لم تقع له في حسابان . ذلك أن سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تجوس خلال الديار خوفاً من أن يطرق المدينة طارق ، أو يريدوها معتد بشر ، فأسرت السرية (ثمامة) وهي لا تعرفه ، وأتت به إلى المدينة ، وشدته إلى سارية من سوارى المسجد ، منتظرة أن يقف النبي الكريم بنفسه على شأنه ، وأن يأمر فيه بأمره . ولما خرج النبي عليه السلام إلى المسجد وهم بالدخول فيه رأى ثمامة مربوطاً في السارية ، فقال لأصحابه : أتدرون من أخذتم ؟ فقالوا : لا يا رسول الله . فقال : هذا ثمامة بن أثال الحنفي ، فأحسنوا أساره . ثم رجع عليه السلام أدراجه إلى أهله ، فقال : اجتمعوا ما كان عندكم من طعام وابعثوا به إلى ثمامة بن أثال ، ثم أمر بناقته أن تحلب له في الغدو والرواح ، وأن يقدم إليه لبنها ، وقد تم ذلك كله قبل أن يلقاه الرسول صلوات الله عليه أو يكلمه . ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على ثمامة يريد أن يستدرجه إلى الاسلام وقال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي يا محمد خير ، فإن تقتل تقتل

ذادم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط
 منه ما شئت . فتركه رسول الله صلوات الله عليه يومين على حاله ،
 يؤتى له بالطعام والشراب ، ويحمل إليه لبن الناقة ثم جاءه ، فقال :
 ما عندك يا ثمامة ؟ قال : ليس عندي إلا ما قلت لك من قبل ، فإن
 تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذادم ، وإن كنت تريد المال
 فسل تعط منه ما شئت . فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى
 إذا كان اليوم التالي جاءه فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي
 ما قلت لك ، إن تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذادم ، وإن
 كنت تريد المال اعطيتك منه ما تشاء . فالتفت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلى أصحابه وقال : أطلقوا ثمامة ، ففكوا وثاقه
 وأطلقوه .

غادر ثمامة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى
 حتى إذا بلغ نخلاً في حواشي المدينة - قريباً من البقيع - فيه ماء
 أناخ راحلته عنده ، وتطهر من مائه فأحسن طهوره ، ثم عاد أدراجه
 إلى المسجد . فما أن بلغه حتى وقف على ملائ من المسلمين وقال :
 أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ثم اتجه
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ، والله ما كان
 على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب
 الوجوه كلها إلي . ووالله ما كان دين أبغض إلي من دينك فأصبح
 دينك أحب الدين كله إلي ، ووالله ما كان بلد أبغض إلي من بلدك

فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي • ثم أردف قائلاً : لقد كنت أصبت في أصحابك دما فما الذي توجهه علي ؟ فقال عليه السلام : لا تثريب عليك يا ثمامة ، فإن الاسلام يجب ما قبله وبشره بالخير الذي كتبه الله له بإسلامه • فانبسطت أسارير ثمامة وقال : والله لأصيبن من المشركين أضعاف ما أصبت من أصحابك ، ولأضعن نفسي وسيفي ومن معي في نصرتك ونصرة دينك • ثم قال : يا رسول الله إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى أن أفعل ؟ فقال عليه السلام : امض لأداء عمرتك ولكن على شرعة الله ورسوله ، وعلمه ما يقوم به من مناسك

مضى ثمامة إلى غايته حتى إذا بلغ بطن مكة وقف يجالجل بصوته العالي قائلاً : « ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » فكان أول مسلم على ظهر الأرض دخل مكة ملياً • وسمعت قريش صوت التلبية فهبت منضبة مذعورة ، واستلت السيوف من أعمادها ، اتجهت نحو الصوت لتبطل بهذا الذي اقتحم عليها عرينها ، ولما أقبل القوم على ثمامة رفع صوته بالتلبية ، وهو ينظر إليهم بكبرياء . فهمّ فتى من فتيان قريش أن يرديه بسهم ، فأخذوا على يديه وقالوا : ويحك ، أتعلم من هذا ؟ إنه ثمامة بن أثال ملك اليمامة ،

والله إن أصبتموه بسوء قطع قومه عنا الميرة^(١) وأماتونا جوعاً • ثم أقبل القوم على ثمامة بعد أن أعادوا السيوف إلى أعمادها وقالوا : ما بك يا ثمامة ؟ أصبوت وتركت دينك ودين آبائك ؟ ، فقال : ما صبوت ولكن اتبعت خير دين ••••• اتبعت دين محمد • ثم أردف يقول : أقسم برب هذا البيت إنه لا يصل إليكم بعد عودتي إلى اليمامة حبة من قمحها أو شيء من خيراتها حتى تتبعوا محمداً عن آخركم • واعتصر ثمامة بن أثال على مرأى من قريش كما أمره الرسول صلوات الله عليه أن يعتصر ، وذبح تقرباً لله لا للأنصاب والأصنام ومضى إلى بلاده فأمر قومه أن يحبسوا الميرة عن قريش فصدعوا بأمره وحبسوا خيراتهم عن أهل مكة •

أخذ الحصار الذي فرضه ثمامة على قريش يشتد شيئاً فشيئاً ، فارتفعت الأسعار ، وفشا الجوع في الناس ، واشتد عليهم الكرب ، حتى خافوا على أنفسهم وأبنائهم من أن يهلكوا جوعاً • عند ذلك كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إن عهدنا بك أنك تصل الرحم وتحض على ذلك ، وها أنت قد قطعت أرحامنا ، فقتلت الآباء بالسيف ، وأممت الأبناء بالجوع • وإن ثمامة بن

(١) الميرة : المؤونة ، وكانت قوافلهم قد انقطعت عن طريق المدينة إلى الشام بسبب الحرب القائمة بينهم وبين المسلمين فاضطروا أن يسيروا القوافل عن طريق نجد •

أثال قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا ، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يبعث
إلينا بما نحتاج إليه فافعل • فكتب عليه السلام إلى ثمامة بأن يطلق
لهم ميرتهم فأطلقها (١) •

بدأ الاسلام يعرف في نجد ، وبدأت وفود القبائل تصل إلى
المدينة المنورة تعلن الاسلام بعد أن فتحت مكة ، وخضعت العرب ،
ففي السنة الثامنة في أواخرها جاءت وفود بني تميم إلى المدينة ،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل بشر بن سفيان
العدوي إلى بني كعب من خزاعة لأخذ صدقات أموالهم فسمعهم
بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فرض عليهم ، فلما علم بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إليهم عيينة بن حصن في
خسعين فارساً من الأعراب فجاءهم وحاربهم وأخذ منهم أحد عشر
رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً وتوجه بالكل إلى المدينة
فأمر عليه السلام بجعلهم في دار رملة بنت الحارث ، فجاء في أثرهم
رفد تميم وفيه عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وعسرو بن الاهتم
فجلسوا ينتظرون الرسول ، فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات
بصوت جاف : يا محمد اخرج إلينا تفاخرك فإن مدحنا زين وإن
ذمنا شين ، فخرج إليهم عليه السلام وقد تأذى من صياحهم ، وفيهم
نزل من أوائل سورة الحجرات (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات

(١) صور من حياة الصحابة - عبد الرحمن رافت الباشا -

أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم ، والله غفور رحيم) . وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ودخل النبي للصلاة ، فتعلقوا به يقولون : نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك ، فقال عليه السلام : (ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا) ، ثم صلى الظهر ، واجتمع حوله رجال الحي يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم ، وقد مدح عمرو بن الاهتم الزبرقان بن بدر فقال : إنه لمطاع في أباديته سيد في عشيرته ، فقال الزبرقان : حسدني يا رسول الله لشرفي ، وقد علم أفضل مما قال . فقال عمرو : إنه لزم من المروءة ضيق العطن لئيم الخال ، فرأي غضب في وجه رسول الله لاختلاف قولي عمرو ، قال : يا رسول الله لقد صدقت في الأولى ، وما كذبت في الثانية ، رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أسوأ ما علمت . فقال عليه السلام (إن من البيان لسحراً) . ثم أسلم القوم فرد النبي عليه السلام عليهم أسراهم وأحسن جائزتهم ، وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون في الدين (١) .

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر وفيهم عامر بن الطفيل ، وأريد بن مقيس بن جزء بن جعفر بن خالد ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء رؤساء القوم وشياطينهم ، وقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - محمد الخضري ..

الله عليه وسلم وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا أبا عامر
 إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت ألا اتهي
 حتى تتبع العرب عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال
 لأربد : إن قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت
 ذلك فاعله بالسيف . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالني ، قال : (لا والله حتى تؤمن
 بالله وحده) ، قال : يا محمد خالني ، وجعل يكلمه وينتظر من أربد
 ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يجير شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع
 أربد قال : يا محمد خالني ، قال : (لا حتى تؤمن بالله وحده
 لا شريك له) ، فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً .
 فلما ولى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم اكفني
 عامر بن الطفيل) . فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال عامر بن الطفيل لأربد : أين ما كنت أمرتك به والله ما كان
 على ظهر الأرض رجل أخوف على نفسي منك ، وأيم الله لا أخافك
 بعد اليوم أبداً . قال : لا أبالك لا تعجل علي والله ما همست بالذي
 أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك
 بالسيف . وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق
 بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون فقتله^(١) . أما أربد
 فإنه لما قدم أرض بني عامر ، قال قومه : ما وراءك يا أربد ؟ قال :
 لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت لو أنه عندي الآن

(١) البداية والنهاية - ابن كثير .

فأرميه بالنبل حتى أقتله الآن ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فاحرقتهما (١) .

وقدم على المدينة ضمام بن ثعلبة موفداً من بني سعد بن بكر وكان جلدأ أشعر ذا عذارتين فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأغلظ في المسألة ، سأله عن أرسله وبسا أرسله ؟ وسأله عن شرائع الاسلام فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك كله ، فرجع إلى قومه مسلماً قد خلع الأنداد ، فأخبرهم بما أمرهم به ونهاهم عنه ، فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً ، وبنوا المساجد وأذنوا بالصلاة (٢) .

كما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة وفد من كندة وفيهم الأشعث بن قيس وكان وجيهاً مطاعاً في قومه .

وجاء كذلك وفد طي وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فلما انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلموه وعرض عليهم الاسلام فأسلموا وحسن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيت دونه ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ الذي فيه » ثم سماه الرسول زيد الخير . كما وفد عليه صلى الله عليه وسلم عدي بن حاتم أحد وجوه طي فأسلم

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر السابق .

كما جاءت وفود القبائل الأخرى مثل بني أسد - وفيهم ضرار
ابن الأزور وطليحة بن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك - وبني
حنيفة وكان معهم مسيلمة الكذاب ، وكان مسيلمة يقول : إن جعل
لي الأمر من بعده اتبعته ، فأقبل عليه السلام ومعه ثابت بن قيس
ابن شماس ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة من
جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال : إن سألتني هذه
القطعة ما أعطيتكما وإني لأراك الذي منه رأيت . وكان عليه السلام
رأى في منامه أن في يده سوارين من ذهب فأهمه شأنهما ، فأوحى
إليه أن انفخهما فنفخهما فطارا ، فأولهما صلى الله عليه وسلم كذايين
يخرجان من بعده ، فكان مسيلمة أحدهما والثاني الأسود الغنسي
صاحب صنعاء . وقد أسلم بنو حنيفة .

وبهذا فقد عم الإسلام سائر بلاد نجد ، ولكن إسلام الكثيرين
من الأعراب كان إسلاماً سطحياً ، لم تبلغ القلوب مداركه ولم
يمس شغاف قلوبهم ، ورغم هذا فقد كان يعتقد بعضهم آنذاك
وهم على باطل أنهم أكثر الناس إيماناً وأعلاهم شأنًا وأحسنهم
طبعاً يعتزون بطبعهم ويفخرون بباطلهم - كما رأينا عند الكثير
منهم - .

الفصل الثاني

فتح نجد

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحياة الآخرة
فارتدت أحياء كثيرة من الأعراب ، وامتنع بعضها عن دفع الصدقات
ولم يبق سوى مكة والمدينة والطائف على عهدهم مع أنه نجم
النفاق في المدينة . وانحاز بنو حنيفة إلى مسيلمة الكذاب وخلق
كثير باليمامة ، والتف على طليحة الأسدي بنو أسد وطيء وبشر
كثير أيضاً وادعى كلاهما النبوة كما ادعت سجاح من بني تغلب
نبوتها وسار معها بنو تميم وارتدت كندة وعليها الأشعث بن قيس
..... هذا إضافة إلى ادعاءات أخرى خارج نجد إذ قام الأسود
العنسي في اليمن معلناً نبوته أيضاً ولقيط بن مالك الأزدي في عمان،
وارتد أهل البحرين وعليهم المنذر بن النعمان بن المنذر
وادلهم الخطب على المسلمين واشتدت الحال وأنفذ الصديق
رضي الله عنه بعث أسامة فقلّ الجند وطمع كثير من الأعراب في
الهجوم على المدينة فجعل الصديق على أتقاب المدينة حراساً يبيتون
بالحيوش حولها ، فمن أمراء الحرس علي بن أبي طالب ، والزبير
ابن العوام ، وطلحة بن عبد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد
الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وجعلت وفود العرب
تقدم المدينة . يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة ، ومنهم

من امتنع من دفعها إلى الصديق ، وذكر لأن منهم من احتج بقوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » قالوا : : فلسنا ندفع زكائنا إلا إلى من صلاته سكن لنا ، وأشد بعضهم :

أطلعنا رسول الله إذ كان بيننا فواعجباً ما بال ملك أبي بكر وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ، ويتألفهم حتى يتمكن الايمان في قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأباه ، وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : علام تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ، فقال أبو بكر : « لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعه ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » . قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق (١) .

بدأ أبو بكر رضي الله عنه بقتال الأعراب الذين حول المدينة

(١) البداية والنهاية - ابن كثير - ج ٦ / ٣١١ .

من عبس وذبيان ومرة وكنانة ، وكان قد أمدهم طليحة الأسدي بمدد عليه أخوه ، فانتصر المسلمون على أعدائهم ونزل أبو بكر رضي الله بذي قصة ، وكان قائد المسلمين خليفتهم الصديق بنفسه وعلى ميمنته النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرته أخوه عبد الله بن مقرن ، وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرن .

وكانت عبس قد وثبت على من فيها من المسلمين ، وقتلتهم ، وكذا فعلت ذبيان ، وهكذا لم يبق إلا قليل من الأعراب ممن ثبت على دينه وحافظ على عقيدته .

عاد أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة ، ووردت إليها صدقات عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر وصفوان وبعد أيام رجع جيش أسامة فتركه الخليفة يستريح وسار هو بمن كان معه في المعركة السابقة إلى ذي القصة ، ثم انطلق حتى ووصل إلى أهل الربذة^(١) بالأبرق وهناك جماعة من بني عبس وذبيان ، وطائفة من بني كنانة ، فاقتتلوا ، فنصر الله عباده المؤمنين ، وأخذ الحطيئة أسيراً في تلك الموقعة ، وفرت عبس وذبيان ، والتحقوا ببني أسد ، وكان رئيسهم طليحة قد نزل في بزاخة^(٢) .

(١) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أيام ، قريبة من ذات عرق ، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة . وفيها مات أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة رضي الله عنه عام ٣٢ هـ .

(٢) بزاخة : اسم قديم لماء غير معروف حالياً ، واختلف فيه هل هو لطيء أم لبني أسد ؟ ويعتقد أن موقعه جنوب جبل الرمان .

ولما استراح جيش أسامة ركب الصديق رضي الله عنه في
الجيش الاسلامية شاهراً سيفه مسلولاً ، من المدينة إلى ذي
القصة وهناك عقد الألوية لأحد عشر أميراً لقتال المرتدين ، ومن
الذين ساروا إلى نجد خالد بن الوليد ووجهته طليحة الأسدي ثم
بني تميم ، وعكرمة بن أبي جهل ووجهه إلى مسيلمة الكذاب ثم
بعث في أثره شرحبيل بن حسنة .

سار خالد بن الوليد إلى طليحة الذي اجتمعت إليه بنو أسد
وغطفان ومن فرّ من عبس وذبيان كما طلب العون من طيء
وجذيلة إلا أن عدي بن حاتم استطاع أن يقنع قومه طيء
فانضم منهم معه خمسمائة مقاتل وكذلك أقنع جديله فتبع
خالد ألف مقاتل آخرين ومشى خالد حتى نزل بأجا وسلمى
فعبأ هنالك جيشه وسار إلى بزاخة حيث التقى مع طليحة الأسدي .
وانفصل عن طليحة عيينة بن حصن مع قومه فزاره ، فهزم طليحة
ففر إلى الشام ، ثم عاد ، واعتمر وأسلم ، وحسن إسلامه ، وحارب
مع خالد ، فكان يستشيره ولا يؤمره حسب وصية الصديق
..... وهكذا كفى الله المسلمين أمر الجماعة الأولى من
المرتدين

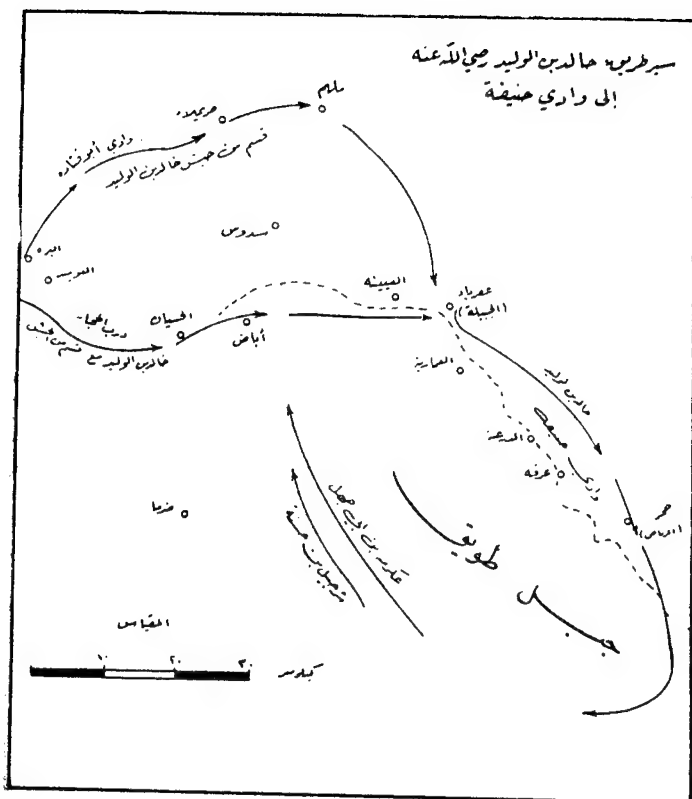
وبعد الانتهاء من أمر طليحة سار خالد إلى بني تميم وكانت
آراؤهم قد اختلفت إذ منهم من امتنع عن دفع الزكاة ومنهم من
أداها ، فلما جاءتهم سجاح بنت الحارث التغلبية من الجزيرة تبعها
بعضهم ومنهم مالك بن نويرة اليربوعي التميمي واتجهت

سجّاح بعدها إلى مسيلمة الكذاب لتأخذ بلاده إلا أنها اتفقت معه
وتزوجها وندم مالك بن نويرة على اتفاقه معها فلما
وصلت جيوش خالد بن الوليد إلى البطاح^(١) من أرض بني تميم ،
وكان على مقدمته ضرار بن الأزور ، فقتل ضرار مالكا وقد جلب
إليه أسيراً ثم تزوج خالد بن الوليد زوجة مالك أم تميم
ابنة المنهال بعد انقضاء عدتها ... أما بنو تميم فقد استقبلوا ضراراً
بالسمع والطاعة ، وقد انتهى أمرهم . وكان الصديق قد استدعى
خالداً إلى المدينة فقدمها

وأما بنو حنيفة فكان أبو بكر قد أرسل إليهم عكرمة بن أبي
جهل - كما مر معنا - وأمدّه بشرجيل بن حسنة إلا أن عكرمة
قد أسرع في قتالهم قبل وصول المدد إليه فهزم أمامهم فلما جاء
شرحبيل لم يستطيعاً أيضاً المقاومة لأن بني حنيفة كانوا في ٤٠ ألفاً
من المقاتلة

ولما رضي أبو بكر الصديق رضي عنه عن خالد أرسله إلى
بني حنيفة وعباً معه المسلمين ولما علمت سجّاح بقدوم جيش
خالد تركت اليمامة ، وعادت إلى بلادها في أرض الجزيرة وقد مرّ

(١) البطاح : وإد باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، بين الرسيس
والرس ، ويصب الوادي في وادي الرمة . والريس منطقة معروفة
الآن فيها بساتين ولا عمران فيها . بينما الرس بلدة عامرة مشهورة .



خالد بخيول لأصحاب سجاح فشردهم ، وأمر بإخراجهم من جزيرة
 العرب كما أرسل الصديق رضي الله عنه سرية خلف خالد
 تكون رداء له أما مسيلمة فقد عبأ بني حنيفة في عقرباء
 وكان على مقدمة جيش خالد شرحبيل بن حسنة ، وعلى ميمنته أخوه
 زيد ، وهو أكبر منه ، وعلى يسارته أبو حذيفة هاشم بن عتبة بن
 ربيعة من المسلمين الأوائل ، ومن أصحاب بدر ، وراية المهاجرين
 مع سالم مولى أبي حذيفة ، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن
 شماس ، وبدأت الجولة الأولى فانهمزمت الأعراب الذين مع
 المسلمين ، ووصلت بنو حنيفة حتى خيمة خالد بن الوليد ...
 وحمل المسلمون حملة واحدة قتل أثناءها شهيداً زيد بن الخطاب
 رضي الله عنه ، وتراجع بنو حنيفة ، ودخلوا حديقة الموت
 ودخل الحديقة البراء بن مالك ، وقاتل من فيها ، وفتح الباب ،
 فدخل المسلمون ، وقتل وحشي - قاتل حمزة - مسيلمة الكذاب ،
 كما ضربه بالسيف أبو دجانة ... وانتصر المسلمون بعد أن
 خسروا أكثر من خمسمائة شهيد ، فيهم كبار الصحابة والقراء منهم
 ثابت بن قيس بن شماس حامل راية الأنصار ، وزيد بن الخطاب ،
 وسالم مولى أبي حذيفة ، وهو من كبار القراء - وكان يصلي
 بالمدينة بمن فيها وفيهم عمر بن الخطاب - وأبو دجانة ، والطفيل بن
 عمرو الدوسي ، وعباد بن بشر الأنصاري ، والسائب بن عثمان بن
 مظعون ، والسائب بن العوام أخو الزبير ، وعبد الله بن سهيل
 ابن عمرو ، وعبد الله بن أبي بكر الصديق ، وعبد الله بن
 عبد الله بن أبي ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، ومعن بن عدي ،

ولحكم بن سعيد بن العاص ، وصفوان بن أمية ، وسليط بن عمرو العامري أخو سهيل ، ويزيد بن ثابت أخو زيد ، وغيرهم كثير ، وهكذا انتهى أمر بني حنيفة ودانوا للصلح الذي فرضه عليهم خالد ابن الوليد رضي الله عنه ، ودعاهم إلى الاسلام فأسلموا عن آخرهم . ورجعوا إلى الحق ، وردّ عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السبي ، وساق الباقي إلى الصديق رضي الله عنه ، وقد تسرى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بجارية منهم ، فولدت له ابنة محمد الذي عرف باسم محمد بن الحنفية ، وكان ذلك في أواخر السنة الحادية عشرة وأوائل الثانية عشرة .

ولم يكن بنو حنيفة كلهم من الذين ارتدوا عن الاسلام ، فقد بقي ثمامة بن أثال رضي الله عنه متمسكاً بعقيدته ومعه جوع من قومه وقد قاتل بهم مسيلمة الكذاب ، وساعده عكرمة بن أبي جهل الذي كان ينتظر وصول خالد إليه . . . ثم جاء الأمر لثمامة بأن يلتحق بالعلاء بن الحضرمي في البحرين لقتال أهلها المرتدين هناك فسار طائعاً ولقي الشهادة هناك رضي الله عنه .

ويبدو أن خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما وصل إلى منطقة (العويند) وبلغه تجمع قوات مسيلمة في (عقرباء) قسم جيشه إلى قسمين : سار الأول في وادي الشعيب والذي يعرف باسم وادي أبي قتادة وقد مرّ على (البرة) و (حريملاء) و (ملهم) ثم نزل إلى (عقرباء) ، بينما سار الثاني بقيادته عن ضريق وادي (الحسيان) أو الاحيسى فمرّ على (أباض) و (العينة) ثم سار إلى عقرباء ، ويبدو أن معارك جانبية جرت

بين الجيشين وعدوهما في كل من (ملهم) و (أباض) ويظهر هذا
من خلال ما قيل من شعر •

يقول ضرار بن الأزور :

فلو سئلت^٥ عنا جنوب لأخبرت
عشية سالت عقرباء وملهم

وسال بفرع الواد حتى ترقرت
حجارثه فيه من القوم بالدم

عشية لا تغني الرماح مكانها
ولا النبل إلا المشرفي المصمم

فأن تبغى الكفار غير مسيلمة^٦
جنوب فأني تابع الدين مسلم

إجاهد إذ كان الجهاد غنيمه^٧
والله بالمرء المجاهد أعلم

وقال رجل من بني حنيفة في يوم أباض :

فلله عينا من رأى مثل معشر
أحاطت بهم آجالهم والبوائق

فلم أر مثل الجيش جيش محمد^٨
ولا مثلنا يوم احتوتنا الحقائق

أَكْرَّ وَأَحْسَى مِنْ فَرِيقَيْنِ جُمِعُوا
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبَاضِ الْبَوَارِقِ

وَتَسْمَى (أَبَاض) الْيَوْمَ (بُؤْضَى) وَهُوَ شَعِيبٌ تَوَوَّلَ مِيَاهَهُ
إِنِّي وَادِي الْجَبِيلَةِ •

وَبَعْدَ مَعْرَكَةِ الْحَدِيقَةِ تَابَعَ خَالِدٌ سِيرَهُ فِي وَادِي حَنِيفَةَ حَتَّى
حَجَرَ ، ثُمَّ • خَرَجَ مِنْ ثَنِيَّةِ (لَحَا) الَّتِي يَمُرُّ مِنْهَا الْآنَ طَرِيقُ الرِّيَاضِ
إِلَى الْحِجَازِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - •

* * *

الفصل الثالث

نجد في العهد الراشدي

بعد فتح نجد سار عكرمة بن أبي جهل حسب أوامر الصديق رضي الله عنه الذي لأمه على تسرعه في قتال مسيلمة قبل وصول خالد بن الوليد إليه مما ألحق بالمسلمين قرحاً ، وقال له : لا أرينك ولا أسمع بك إلا بعد بلاء ، وأمره أن يسير إلى عثمان لقتال المرتدين ، فاذا فرغتم منها ، فاذهبوا إلى مهرة ، فاذا فرغتم منها فاذهب إلى اليمن وحضرموت فكن مع المهاجر بن أبي أمية ، ومن لقيته من المرتدة بين عمان وحضرموت فنكّل به ، فسار عكرمة لما أمره به الصديق •

وسار خالد بن الوليد إلى العراق لمناصرة جيوش المسلمين فيها حسب أوامر الصديق أيضاً ، وقد ترك على نجد والياً عليها من بعده (سرّة بن عمرو العنبري) من بني تميم • ثم ولّى عليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه (سليط بن قيس) •

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولّى على نجد حذيفة بن محصن في بداية الأمر ، ثم الحقت بالبحرين ، فكان

ولاية البحرين ولاة لها وهم : عثمان بن أبي العاص الثقفي ،
والعلاء بن الحضرمي ، وأبو هريرة ، ثم عاد إليها عثمان بن أبي
العاص .

وقد اتجه أهل نجد إلى الفتوحات والانضمام إلى الجيوش
الاسلامية التي انطلقت تحرر الأرض من الطواغيت ، وقد سار
أكثرهم إلى الجهة الشرقية في العراق وفارس ، وقد كان لهم
دور كبير في هذه الفتوحات وقيادة الجيوش وبخاصة بنو تميم ،
ويكفي أن نذكر الأحنف بن قيس التميمي فاتح خراسان ، وعاصم
ابن عمرو التميمي فاتح سجستان ، وأخاه القعقاع بن عمرو
التميمي ، فاتح خانقين وهمدان وحلوان ، الذي قال عنه أبو بكر
رضي الله عنه : صوت القعقاع في الحرب خير من ألف فارس .
وجزاء بن معاوية التميمي ، وسلمى بن ألقين التميمي ، وحرملة
ابن مريظة التميمي ، وزهرة بن الحوية التميمي فاتح ما بين
القادسية والمدائن ، وعطارد بن حاجب التميمي ، وحنظلة بن
الربيع التميمي ، والأقرع بن حابس التميمي ، وربعي بن عامر
التميمي ، والأشعث بن قيس الكندي ، وحذيفة بن اليمان
العبسي ، وكلهم من قادة الفتح .

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت نجد تتبع
البصرة ، وواليتها عبد الله بن عامر بن كريز ، ويظهر أن ذلك
لمد الجيوش بالسرايا والرجال وكانت البصرة قاعدة لذلك .

وفي خلافة علي بن أبي طالب يظهر أن نجداً عادت تتبع البحرين إذ توقفت الفتوحات بسبب الفتنة الكبرى التي أصابت المسلمين آنذاك ، وكان ولاية البحرين عمر بن أبي سلمة ، وقدامة بن العجلان ، والنعمان بن العجلان الأنصاري •

وعندما توقفت الفتوحات عاد أكثر من امتدت به الحياة الى ديارهم الأولى في نجد ، ولعبوا دورهم في تلك الفتنة العمياء ، ويظهر أن الأعراب إذا أخذوا أخذ السلمة ووجهوا التوجيه الصحيح استقام أمرهم ، وعملوا لما اعتقدوا بكل إخلاص ، وضحوا في سبيل ذلك بأموالهم وأنفسهم ، فهم يأخذون الأمور بطواهرها ولم يقتنعوا بأمر من الأمور بسهولة ، وإذا اقتنعوا يصعب إزالة ما دخل نفوسهم ولو كان خاطئاً خطأ واضحاً وباطلاً ظاهراً ، أما إذا تركوا وشأنهم أو ضعف أمر حكمهم كان بأسهم بينهم شديداً ، ومالوا إلى الفتنة وعملوا لها ، وهذا واضح خلال فترات التاريخ كلها ••••• فما من حكم قوي إلا وأتتجوا فيه ، وقدموا له ، وما من حكم ضعيف إلا وأكثروا من الفتن حتى أكلتهم •••

لقد اشترك أهل نجد في الحروب التي دارت أيام الفتنة الكبرى بين المسلمين وكان أكثرهم بجانب علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفين ، وكان من الذين شهدوا التحكيم من جيش علي منهم : الأشعث بن قيس الكندي ، وحجر بن يزيد

الكندي ، ويزيد بن جحفة التميمي وليس التحكيم على الصورة التي ترويها لنا كتب التاريخ المشوهة .

وخرج الأشعث بن قيس الكندي فمّر على نفرٍ من بني تميم فقرأ عليهم كتاب التحكيم فقام إليه غروة بن أدية ، وأدية أمه اشتهر بها ، وهو ابن جرير بن ربيعة بن حنظلة التميمي وأخو أبي بلال مرداس بن حرير ، فقال : أتحكمون في دين الله الرجال ؟ ثم ضرب بسيفه عجز دابة الأشعث بن قيس ، فغضب الأشعث وقومه ، وجاء الأخنف بن قيس التميمي وجماعة من رؤوساء تميم يعتذرون إلى الأشعث من ذلك

ولما رجع علي بن أبي طالب إلى الكوفة اعتزله اثنا عشر ألفاً وهم الخوارج حيث اجتمعوا بمكان يقال له حروراء ، لذا عرفوا باسم الحرورية ، كما عرفوا بالمحكمة ، لأنهم قالوا : لا حكم إلا الله ، وانكروا على علي بن أبي طالب أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها ، فبعث إليهم علي رضي الله عنه عبدالله بن عباس فناظرهم ، فرجع أكثرهم ، وبقي بقيتهم ، وأكثرهم من الأعراب ، منهم : حمزة بن سنان الأسدي ، ومرداس بن أدية التميمي ، ونافع بن الأزرق الحنفي ، وزيد بن حصن الطائي ، وحرقوق ابن زهير السعدي ، وشريح بن أبي أوفى العبسي و عبد الله بن وهب الراسبي وهم الذين طلبوا من علي رضي الله عنه وقف القتال في صفين عندما رفع أصحاب معاوية المصاحف لما بدت

الهزيمة عليهم كما تروي كتب التاريخ ، فقاتلهم علي رضي الله عنه وقتل معظم رؤوسهم السابق ذكرهم آنفاً • وأخيراً تسكن أحدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله - من قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عام أربعين للهجرة وهو يصلي صلاة الفجر في مسجد الكوفة ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وكان قد تذاكر ثلاثة من الخوارج وهم : عبد الرحمن بن ملجم الكندي حليف بني حنيفة ، والبرك بن عبدالله التميمي ، وعمر بن بكر التميمي أيضاً في قتل علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص في ليلة واحدة ، فنجح عمرو حيث لم يحضر الصلاة ، وجرح معاوية ، وقتل علي

الفصل الرابع

نجد في العصر الأموي

تسلم معاوية بن أبي سفيان رضي عنه الخلافة ، وكان مشغولاً في تثبيت دعائم الملك ، وبخاصة في الحجاز حيث كان الرأي للصحابة وأبنائهم رغم وجود الوالي الأموي في المدينة وكذا الوضع أيام يزيد بن معاوية وهذا ما جعل الأمر في نجد غير واضح تمام الوضوح ، ويظهر أنه من الناحية الرسمية كان يتبع البحرين ومن الناحية العملية فللمدينة المنورة ومن فيها هذا بالإضافة إلى وجود الآراء الخارجية والعناصر المؤيدة لها .

وعندما قام عبدالله بن الزبير رضي الله عنه يدعو لنفسه كانت نجد بجانبه بل جزيرة العرب كلها حتى أن الخوارج قد قدموا إليه ، ليدافعوا عن الحرم ضد جيش مسلم بن عقبة المري الذي أرسله يزيد بن معاوية لتأديب عبدالله بن الزبير ، وقاتلوا عسكر الشام في جيش ابن الزبير ، إلى أن مات يزيد بن معاوية سنة أربع وستين وانصرف الشاميون ، وبويع ابن الزبير بالخلافة ، وأراد الخوارج أن يعلموا رأي ابن الزبير بأرائهم ، فقال له خطيبهم « عبيدة بن هلال الشكري » بعد أن حمد الله وذكر

بعثة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأثنى على سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : « واستخلف الناس عثمان ، فأثر القربى ، ورفع الدرة ووضع السوط ، ومزق الكتاب ، وضرب منكر الجور ، وآوى طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب السابقين بالفضل ، وحرّمهم ، وأخذ الفيء فقسّمه في فساق قريش ومجان العرب ، فسارت إليه طائفة ، فقتلوه ، فنحن لهم أولياء ومن ابن عفان وأصحابه برآء ، فما تقول أنت يا ابن الزبير ؟ فقال : « قد فهمت الذي ذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو فوق ما ذكرت وفوق ما وصفت ، وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر ، وقد وفقت وأصبت ، وفهمت الذي ذكرت به عثمان ، وإنّي لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره مني ، كنت معه حيث تقم عليه الناس ، واستعتبوه فلم يدع شيئاً إلا أعتبهم ، ثم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه يأمر فيه بقتلهم ، فقال لهم : ما كتبت ، فإن شئتم فهاتوا يبتئكم ، فإن لم يكن حلفت لكم ، فوالله ما جاءوه ببينة ولا استخلفوه ، ووثبوا عليه فقتلوه ، وقد سمعت ما عبته به ، فليس كذلك ، بل هو لكم خير أهل ، وأنا أشهدكم ومن حضرني أني ولي لابن عفان وعدو لأعدائه » . فلم يرض الخوارج عن هذا الرأي ففارقوه . . . وخرج نافع بن الأزرق الحنفي إلى البصرة ، وتخلف عبد الله بن اباض التيمي . . .

استطاع أحد الخوارج وهو أبو طالوت من بني زمان من بني بكر بن وائل أن يقود ثورة وأن يستولي على نجد عام ٦٤ هـ •

وفي عام ٦٥ هـ استولى على نجد بعد خلع أبي طالوت (نجدة ابن عامر الحنفي) وكان قد سار إلى البصرة مع نافع بن الأزرق ، ثم خلفه ورجع إلى نجد فاستولى عليها ، واستقل بها ، ثم سار إلى البحرين ، واستولى عليها ، واستقر بها عام ٦٦ هـ ، وتسمى باسم أمير المؤمنين ، ووجه إليه مصعب بن الزبير جيشاً بعد آخر فهزمهم ، وكانت دولته تشمل نجداً والبحرين وعمان وأخيراً نقم عليه أصحابه فخلعوه ، ثم قتلوه عام ٦٩ هـ ، وقام مكانه أبو فديك بن ثور في البحرين ثم ضمَّ إليه نجداً ، فبعث إليه أمير البصرة خالد بن عبدالله القسري أخاه أمية بن عبدالله القسري ، وكانت العراق قد خلصت لبني أمية وزال عنها حكم ابن الزبير ، إلا أن الخوارج قد انتصروا على القسري وجيشه ، فكتب والي البصرة إلى عبد الملك يستحثه على قتال الخوارج ، فأمر بنسب الناس مع أهل الكوفة والبصرة لقتالهم ، فزحف عليهم جيش كثيف يزيد على عشرة آلاف مقاتل ، فصمد أبو فديك لهم ولكنه هزم في النهاية ، وقتل من جنده أكثر من ستة آلاف رجل ، وأسر ثمانمائة آخرون ، كما لقي مصرعه هو أثناء القتال •

وبعد هزيمة الخوارج عادت نجد إلى حظيرة الدولة الأموية

وتوالى عليها الولاة من دمشق ولكن الدولة الأموية لم تلبث أن ضعفت ، وقام أبناء الأسرة الحاكمة على بعضهم بعضاً حيث قتل يزيد بن الوليد ابن عمه الوليد بن يزيد وتولى مكانه ولكنه لم يلبث حتى مات ، فحكم بعده أخوه ابراهيم ، ثم جاء مروان ابن محمد فدخل دمشق وقتل ابراهيم وأخذ الخلافة لنفسه وأثناء هذه الأحداث طمع بنو حنيفة في الانفصال والاستقلال بنجد، وطلب (المهير بن أبي سلمى بن هلال الحنفي) من والي بني أمية على المنطقة وهو (علي بن المهاجر) مغادرتها فرفض ، فجمع المهير جيشاً ، وسار به إلى الوالي في (حجر) قاعدة المنطقة ، فانهزم الوالي ، وفرّ إلى المدينة المنورة ، وحكم المهير بن أبي سلمى الحنفي ، وعند موته استخلف عبدالله بن النعمان ، إلا أنه كان ضعيفاً فاستطاع يزيد بن عمر بن هبيرة أن يخضع نجداً له ، وأن يرسل والياً عليها ابنه المثني وذلك عام ١٢٨ هـ وقد بقي فيها حتى زالت دولة بني أمية وقامت دولة بني العباس .



الفصل الخامس

نجد في العصر العباسي

لما قامت الدولة العباسية بالأمر عام ١٣٢ هـ عيّن الخليفة العباسي الأول (السفاح) عمه داود بن علي والياً على جزيرة العرب كلها ، إلا أن هذه الولاية كانت اسمية فعلاً وبخاصة على نجد إذ كان فيها (المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة) الوالي الأموي صاحب الكلمة الفعلية . ولما توفي (داود بن علي) في سنة ١٣٣ هـ ، عين السفاح مكانه (زياد بن عبيد الله الحارثي) وهو خال السفاح ، فلما وصل الوالي الجديد (زياد) إلى المدينة المنورة لتسلم مهمته كان في نجد (المثنى بن يزيد) فأرسل (زياد) جيشاً بقيادة (ابراهيم ابن حسان السلمي) إلى نجد قتل المثنى وصحبه ، وبهذا دانت نجد فعلاً للدولة العباسية ، وكانت تتبع الوالي في الحجاز . وتوالى الولاة على المنطقة .

وفي عام ٢٣١ هـ عين الواثق (اسحاق بن ابراهيم بن أبي حميضة) والياً على اليمامة والبحرين ، وفي عهده تمردت قبيلة بني نمير ، وقطعت الطريق ، وأغارت على البلاد ، فأرسل الواثق القائد المعروف (بغا الكبير) فأدب هذه القبيلة عام ٢٣٢ هـ .

إن الدعوة التي نشأت في أواخر العهد الأموي كانت تطالب بالأمر لآل البيت فلما نجحت وأخذها العباسيون ، وتفردوا بالأمر نقم عليهم أبناء عمومتهم من آل علي ، وقاموا بحروب كثيرة ضدهم ، فشلت كلها ، وفي الوقت نفسه فقد قاموا بجهات متعددة وأسسوا دويلات محلية اتسع نفوذها في بعض الأحيان واقتصر على رقعة صغيرة أحياناً أخرى ، ولم تكن هذه الدويلات أو تلك الحركات لتوحد جهودها ، وتضم قوتها ضد خصومها ، وإنما كانت كل حركة لها شخصيتها المستقلة ولها أسرتها التي تتزعمها وتدعو لأفرادها مما يدل على أن هذه الحركات كانت ذات أطماع شخصية أكثر مما كان لها فكرة معينة أو عقيدة واحدة

ومن هذه الحركات بنو الأخيضر الذين قاموا في الحجاز ، وأولهم اسماعيل السفاك بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالله بن موسى (الجون) ابن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقد قام عام ٢٥١ هـ منتهزاً فرصة انشغال العباسيين بحربهم الأهلية بين المستعين والمعتز ، ولما توفي في العام التالي ٢٥٢ هـ ، قام بالأمر من بعده أخوه محمد بن يوسف الملقب بالأخيضر ، ولما كثرت تعدياته بعث إليه الخليفة العباسي المعتز جيشاً بقيادة (أبو الساج الاشروسي) فانهزم الأخيضر أمامه وفر إلى نجد واستولى عليها ، وأسس هناك الدولة الاخيضرية وكانت قاعدتها الخضرمة ، التي بدأت تتقوى ويتسع نفوذها حتى عاد إلى الحجاز وتوالى

عليها سبعة أمراء حتى عام ٣٥٠ هـ حيث قام القرامطة فأنهوا حكمها في الحجاز أما في نجد فقد بقي الأخيضيون أداة بيد القرامطة حتى ما بعد منتصف القرن الخامس الهجري .

وبعد موت محمد - الأخيضر - تولى ابنه يوسف بن محمد . ثم اسماعيل بن يوسف بن محمد الذي عاصر القرمطي أبا طاهر (سليمان بن أبي سعيد الجنابي) ، ويبدو أنه كان على علاقة ودية معه ، فإن أبا طاهر لما استولى على الكوفة وأراد العودة إلى الاحساء سلمه إمرة البلاد ، بل ذهب بعض الباحثين إلى أن حصن الأخيضر الذي لا تزال أطلاله باقية إلى اليوم في صحراء العراق على بعد ٢٥ ميلاً من كربلاء ربما سمي باسم اسماعيل بن يوسف عندما عهد إليه أبو طاهر بإمارة الكوفة عام ٣١٥ هـ (١) .

الأخيضيون شيعة على مذهب الزيدية ويقولون في ندائهم :
(محمد وعلي خير البشر ، وحيّ على خير العمل) .

أما سياستهم الداخلية : فكانت سيئة اتسمت بالجور وسوء السيرة كما توحى بذلك النصوص التاريخية ومن بينها :

١ - « وصادف ذلك دخول محمد بن يوسف الحسني الأخيضر اليمامة ، وانتشاع أهلها من جوره إلى مصر والعدن (٢) »

(١) الدولة الأخيضرية - عبد الله بن يوسف الشبل - مجلة كلية اللغة العربية بالرياض عام ١٣٩٦ هـ .
(٢) جنوب شرقي المدينة المنورة .

في آلاف كثيرة ، وغلبوا على من كان بها من أهل الحجاز
لستهم وفورهم « (١) .

٢ - وفيها يعني سنة ٣١٠ هـ انتقل أهل قرآن (٢) من اليمامة
إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخير في مقاسماتهم (٣)
ولم تكن الدعوات الشيعية وحدها هي التي قامت في وجه
العباسيين ، وإنما قامت دعوات أخرى أشد منها خطراً وأبعد
أثراً منها حركة الزنج والقرامطة والحشاشين وغيرهم كثير
وكلها لبست ثوب الشيعة واتخذته رداءً لها ، بل ادعى زعماءها
تسبباً لأنفسهم وصلوه إلى آل البيت مستفيدين من قوة الشيعة
ومن قوة العوام الذين تسيطر عليهم البسطة وتغلب عليهم العاطفة
الدينية فيظنون أن تأييد آل البيت زلفى لهم حتى ولو كان زعماً
على حين ليس للنسب أي أثر في الاسلام : « ولقد قرر الاسلام أن
اتساب ولد إلى نبي مرسل وانحداره من صلبه لا يفيد ساحبه شيئاً
إن لم يكن هو متحلياً بما يرفعه ويقدمه من فضائل » .

وما أروع قصة نوح التي ساقها القرآن مبيناً أن ولده لم

(١) المصدر السابق عن ابن حوقل في كتابه صورة الارض .

(٢) قرآن : واد كبير فيه اودية وقرى وهو المعروف الآن

بالشعيب وقاعدته (حريملاء) ومن قراه « القرنية » المعروفة قديماً
باسم « قرآن » .

(٣) المصدر السابق عن ياقوت الحموي .

يُتقد من نسبه شيئاً ... حتى إن عاطفة الأبوة عندما تحركت في نفس نوح الوالد ردّه الوحي إلى الحق الذي جاءت الشرائع لإقراره: (ونادى نوح ربه فقال : رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين • قال : يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) (١) • وجاء في الحديث الصحيح : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (٢) • إن النفس الصغيرة هي التي تستلئ بالعصبية للقبيلة أو البلدة ، أما النفس المؤمنة فهي التي تستسك بالمثل وتعيش لها وتموت من أجلها ، وتطأ كل ماسواها بالأقدام (٣) •

لقد استغل بعض شياطين الانس غرائز الانسان وحاجاته وضعفه ووضع المادي وعاطفته الدينية ونقمته على بعض الاوضاع فأعلنوها حرباً مبطنه مخفية في جوانبها المخزية ومعلنة في بعض الجوانب الاخرى ومن هؤلاء القرامطة •

قدم رجل إلى القطيف عام ٢٨١ هـ يقال له يحيى بن المهدي ، فدعا أهل البلد الى بيعه المهدي وساعده على ذلك ضعف الدولة العباسية آنذاك ، وقيام عدد من الدويلات انفصلت

(١) سورة هود الآيتان ٤٥ و ٤٦ •

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة •

(٣) سعيد بن العاص ص ١٢ لمحمد الصباغ. نشر المكتب الاسلامي

في شرقي الخلافة وغربها ، فاستجاب له رجل يقال له علي بن
 الغلاء بن حمدان الزيايدي وساعده في الدعوة إلى بيعة
 المهدي ، وجمع الشيعة الذين كانوا بالقطييف فاستجابوا له ، وكان
 من جيلة من استجاب أبو سعيد الجنابي ، واسمه الحسن بن
 بهرام ، كان دقاقاً ، من أهل (جنّابة) بفارس ونفي منها ،
 فأقام في البحرين تاجراً ، وأصبح على رأس جناعته ، فقتلوا وسبوا
 في بلاد هجر وأفسدوا كثيراً ، فجهز إليهم الخليفة العباسي جيشاً
 كثيفاً عليه (العباس بن عمرو الغنوي) فانتصر القرامطة عليه ،
 وأسروا الجيش كله ، وقتل أفرادهم إلا أميره .. فقد أرسل
 إلى الخليفة . فخاف الناس خوفاً شديداً حتى إن أهل البصرة
 قد أرادوا الفرار من مدينتهم إذ اقترب القرامطة منها ، وبدؤوا
 يتوسعون في كل الجهات بل قام في كل ناحية زعيم قرمطي ..
 وفي عام ٣٠١ هـ قتل أبو سعيد الجنابي ، وعهد بالامر من بعده
 لولده سعيد ، فغلبه على ذلك أخوه سليمان أبو طاهر ، فقطع
 طريق الحج على المسلمين ، ودخل البصرة عام ٣١١ هـ ،
 وهجم يوم التروية على المسلمين عام ٣١٧ هـ ، وقتل ما شاء له
 هواه أن يقتل في الحرم ، وأخذ الحجر الاسود إلى هجر بلده
 في المنطقة الشرقية ، وقد كان هؤلاء القرامطة ممالئين للفاطيين
 الذين ظهروا في هذه السنة ببلاد المغرب ، ويلقب أميرهم بالمهدي ،
 وهو أبو محمد عبيد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن

ميمون اتقداح ، وقد كان صباغاً في (السلمية) ببلاد الشام ، وكان يهودياً فادعى أنه أسلم ، ثم انتقل إلى المغرب ، وادعى أنه شريف فاطمي ، فصدق على ذلك الجهلة ، وصارت له دولة ، وكان هؤلاء القرامطة يرأسونه ويدعون له ويظهر أن ذلك تقية وسياسة لاحقيقة .

واضطرب امر القرامطة عام ٣٢٦ هـ ، وقتل بعضهم بعضاً ، وانكفؤوا بسبب ذلك عن التعرض للفساد في الارض ، ولزموا بلدهم هجر في البحرين الايرومون منه انتقلاً إلى غيره .

وفي عام ٣٣٢ هـ مات أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي زعيم القرامطة ، وخلفه في رئاسة عصابته إخوته الثلاثة (سعيد أبو القاسم) و (الفضل أبو العباس) و (يوسف أبو يعقوب) وكانت كلمتهم متفقة .

وفي عام ٣٣٩ هـ ردّ القرامطة الحجر الاسود إلى مكة ، وقد بقي بأيديهم اثنتين وعشرين سنة .

وهكذا فبعد أن كانت البحرين أيام الدولة الاخيرية تتبع نجد « إن جابي اليمامة يجبي البحرين ، وإن منبر الاحساء يدعى عليه لحاكم اليمامة ، وعامل الاحساء يعين من قبل عامل اليمامة » (١) أصبحت فيما بعد اليمامة تتبع البحرين منذ أن سيطر القرامطة على الوضع ، وأصبح الاخيشريون يديرون شؤون البلاد ، والكلمة العليا فيها للقرامطة ، وهذا ما جعل

(١) بلاد العرب - الاصفهاني ص ٣٢٥

عدداً من المؤرخين يظنون أن القرامطة لم يسيطروا على نجد أبداً أمثال الهمداني والمسهودي وغيرهم ... إلا أن الواقع يخالف هذا الرأي فعن أي طريق سار القرامطة إلى الحجاز وسيطروا عليه ، واستمروا في قطع طريق الحجيج العراقي ؟ ... الواقع ان الدولة الاخشورية بقيت قائمة حتى منتصف القرن الخامس الهجري ولكن تحت هيمنة القرامطة الذين كانت وظيفتهم الفساد في الارض لتحقيق الاستقرار وتسيير شؤون الحكم وإدارة البلاد ... وإنما أوكلوا ذلك كله إلى الذين رضوا بهم وبخاصة أنهم كانوا هم الذين يحكمون البلاد من قبل .

وقد لاحظنا هذا فيما سبق إذ عهد أبو طاهر القرمطي لأmir الاخشريين بأمرة الكوفة ، كما ان العلاقة بينها كانت ودية من قبل .

كان القرن الرابع الهجري والنصف الاول من الخامس فترة سيطرة للشيعة على العالم الاسلامي تقريباً إذ كانت بغداد مركز الخلافة تحت إشراف البويهيين الذين يعتبرون من غلاة الشيعة ، وكانت مصر والمغرب بيد الفاطميين وهم كذلك ، وكانت بلاد الشام بين الحمدانيين في الشمال والفاطميين في الجنوب إضافة إلى القرامطة الذين حكموا الجزء الأكبر من جزيرة العرب ، وقامت لهم دعوات في الجناح الشرقي من العالم الاسلامي ... وكان البويهيون يسكتون عن كثير من الحركات التي كانت تتعاطف معهم أو تتفق معهم في الأفكار وبعض الآراء ،

ولهذا طال حكم هذه الدويلات ومنها الاخيضرية والقرامطة •
 فما أن اتصف القرن الخامس الهجري حتى استطاع السلاجقة
 وهم من أهل السنة أن ينتصروا على البويهيين ، ويدخلوا بغداد
 عام ٤٤٧ هـ ، وتصبح بغداد بالتالي تحت اشرافهم • لقد عمل
 السلاجقة للقضاء على الحركات الشيعية سواء أكانت من المتطرفة
 والتي تعيث في الارض الفساد أمثال القرامطة أم كانت من المعتدلة
 أمثال الاخيضرية ••• بل ربما نستطيع أن نقول : إن القرامطة
 قد ادعوا التشيع إدعاء سياسيا للافادة من العامة وتأبيدهم وهم
 ليسوا من الشيعة ، لكننا وضعناهم ضمن هذا التصنيف حسب
 دعواهم لا حسب حقيقتهم •

ولاشك فإنه مع الايام قد بدأ القرامطة يضعف أمرهم في
 منطقة نفوذهم ، كما كانت الدولة الاخيضرية تحتضر ، مما مهد
 السبيل لقيام خصومهم بحركات للتخلص منهم ، ومادام
 الاخيضريون تحت سلطة القرامطة فإن زوال القرامطة سيكون
 زوالا للأخيضريين ، بل إن الحركات إنما كانت تهدف الأصل
 وتحضر لاستلام مركز الحكم ربزوال الرأس يموت الذنب •
 هذا الوضع في نجد أما في المناطق الاخرى من جزيرة العرب
 وبخاصة التي كانت لها علاقة بنجد فقد كانت كما يلي :

١ - البحرين :

كانت القبيلة المشهورة في البحرين منذ القديم (عبد

القيس) والانتظار تتجه نحوها بصفتها القبيلة الكبيرة التي لها جذور في المنطقة وبالواقع فقد استطاع زعيمها (عبد الله بن علي العيوني) أن يستعين بالخليفة العباسي القائم الذي وجد تجاوباً كبيراً في نفسه لما يعلم من اعمال القرامطة وتاريخهم الحافل بالفساد ، كما استعان بالسلطان السلجوقي (ملكشاه) الذي وجد لديه تجاوباً أيضاً لأن هذا من ضمن مخططه ، وبهذا فقد جاءت القوات العباسية ونصرت (عبد الله بن علي العيوني) ففُتِى على حكم القرامطة عام ٤٦٧ هـ .

ومع انتهاء حكم القرامطة زال الاخيزيون في بلاد نجد وتجزأت المنطقة إلى عدد من الامارات ، يتلقى بعضها العون من حكام البحرين أو يتبعون لهم ، ولم يكن حكام البحرين آنذاك يرغبون في مد نفوذهم إلى خارج بلادهم لضعفهم ، وقلة عددهم ، وبعد المفازة بينهم وبين بلاد نجد ، فلما اشتد ساعدتهم وقوي أمرهم ، وغنيت دولتهم ، توسع نفوذهم فشمس بلاد نجد أيام الامير (محمد بن أحمد بن عبد الله بن علي العيوني) . وهكذا عادت نجد تتبع مرة أخرى البحرين .

في منتصف القرن السابع الهجري أُنْزِعَ بنو عامر بن عقيل حكم البحرين من العيونيين ، وقد استمر حكم بني عامر بن عقيل حتى عام ٩٣٢ هـ ، وفي هذه المدة توالى ثلاث أسر على الحكم ، وكلها تنتمي إلى بني عامر بن عقيل وهي : بنو عصفور ، وبنو جروان ، والجبريون (الاجوديون) والآخرين منهم اصطدموا

مع البرتغاليين وقتل (مقرن بن أجود بن زامل) عام ٩٢٧ هـ في حربه مع البرتغاليين الذين جاؤوا الى المنطقة مستعمرين بعد أن التفوا حول إفريقية عن طريق رأس الرجاء الصالح في سبيل ملاحقتهم للمسلمين وتطويقهم بعد أن استطاعوا إخراجهم من بلاد الأندلس .

كان حكم بني عامر بن عقيل يمتد إلى نجد في فترات القوة، ويتراخى عنها في أوقات الضعف ، مما دعا الى وجود إمارات صغيرة في نجد لا تشمل أرض بعضها إلا عدة قرى متجاورة ، وقد تستمد قوتها من اتصالها بالدويلات الصغيرة التي نشأت في المنطقة . وقد يتقاتل بعضها مع بعض بسبب تعدي بعضها على بعض، أو بسبب اعتداء على حدود الإمارة يحدث من جوارها... كما لا تخلو المنطقة من غارات مستمرة للبدو والقبائل المتنقلة في تلك الأجزاء أو قطع الطرق من قبل بعض الخارجين على الحكم أو المضطرين بسبب الحالات السيئة التي كانت تتعرض لها المنطقة بين الحين والآخر .

انتهى حكم بني عامر بن عقيل على يد آل مغاس عام ٩٣٢ هـ وأسس راشد بن مغاس إمارة في المنطقة إلا أن حكم هذه الأسرة لم يطل إذ جاء العثمانيون واستولوا على المنطقة .

٢ - الحجاز

كانت الحجاز مركز الخلفاء الراشدين ، ولما انتقل الحكم

الى دمشق أيام الخلافة الاموية وإلى بغداد في عهد الدولة العباسية
دانت الحجاز لهما ٠٠٠ وفي عام ٢٥١ هـ استولى على حكم الحجاز
الاخيزريون فنهبوا البيت الحرام وأموال الدولة ، وارتكبوا
الكثير من المظالم ٠٠٠ وعندما جاءهم جيش الخليفة بقيادة أبي
الساج الاشروسي فرّ الاخيزر - كما رأينا - إلى اليمامة
وأقام دولةً هناك ٠٠٠ توسع نفوذها مع الزمن حتى عاد إلى
الحجاز إلا أنه انتهى هناك بفتنة القرامطة .

بعد زوال القرامطة من الحجاز انقضت أسرة شيعية ثانية على
الحكم هي أسرة بني موسى ، وقد استمر حكمها الى عام ٤٥٣ هـ ،
وتنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب أيضاً مثل الاخيزريين .
واستطاع بنو هاشم (بنو فليته) أن يحكموا الحجاز بعد
بني موسى ، ومؤسس دولتهم هو أبو هاشم محمد من أحفاد
الإمام علي أيضاً ، وكانت سيرتهم حسنة في بداية الامر ، إلا أنها
ساءت في أواخرها إذ قاموا بنهب قوافل الحجاج ، وأكثروا الفساد
في الارض ، وانتهى عهدهم عام ٥٩٨ هـ .

وجاء أمير ينبع وهو أبو عزيز من بني قتادة فقضى على حكم
بني هاشم ، وأسس أسرة حكمت الحجاز حتى عام ١٣٤٢ هـ ،
وكان آخر حكامها الشريف الحسين بن علي وابنه علي ، وينتمون
أيضاً إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، ويعرفون لذلك باسم
الاشراف لا تنمائم الذي ذكرناه ٠٠٠

كان أمراء الحجاز جميعاً حكاماً محليين ، ويتبعون السلطة

القوية سواء أكانت في بغداد أيام قوة الدولة العباسية أم في مصر أثناء حكم الدويلات . وعندما وصل السلطان العثماني سليم إلى مصر فاتحا ، أرسل شريف مكة من أسرة بني قتادة وهو الشريف (بركات) ابنه « أبو نبي » إليه ، فأقره السلطان سليم على الشرافة ، وأصبح الشرفاء يرتبطون بالدولة العثمانية عن طريق • لاتها في مصر •

كانت سلطة أشراف مكة تمتد إلى عسير ، أو يستعلي أمراؤها عليهم ، أو يختلفون عليها مع أئمة صنعاء ، أو على مناطق تهامة في أوقات أخرى ، أو عندما يريد كل مدّ نفوذه على ما جاوره من أرض ، وأحيانا كثيرة يختلف أبناء الاسرة الواحدة على الشرافة ويقع بينهم القتال ، فيغادر بعضهم المنطقة إلى جهة ثانية ، وقد يغادرون إلى عسير يطلبون منها النجدة أو يلجؤون إليها •

وكذا كانت سلطتهم تمتد إلى نجد ، وتدين لهم بعض الإمارات وتقف في وجههم أخرى ، وقد يصلون إلى البحرين من طريق نجد • ولما كانت حاصلات نجد تباع في الحجاز وبخاصة في موسم الحج فكان لابد من أن تكون هناك علاقة ... وبخاصة لقوة أشراف مكة المدعومين من الدولة فيمدون أنصارهم في نجد ومن يؤيدونهم ، فإذا أراد أمير أن يشق عصا الطاعة ساروا إليه مؤدبين حيث كانت لديهم آنذاك القوة اللازمة •

٣ - عسير

كانت الكلمة الاولى في مرتفعات عسير تعود إلى أمراء من آل يزيد إلى أن نشب بينهم خلاف على الزعامة فانزوى قسم منهم في الشعف ، وبقي الفرع الآخر في منطقة أبها يدير شؤون قبيلته باسم أشراف الحجاز ، وأحياناً أخرى ينتفض بعض الأمراء على الاشراف ، ويمد سلطته إلى بعض جهات تهامة ، وربما وصلت سيطرة أهل اليمن إلى مرتفعاتهم • واستمر وضع عسير على هذه الحالة حتى كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية في نجد ، وكانت الدولة السعودية في الدرعية •

٤ - تهامة

تهامة : هي المناطق الساحلية والسفوح الغربية لجبال السروات ، يقطنها أهل السنة وكلهم من الشوافعة ، وقد خضعت هذه المنطقة لحكم أسر محلية كانت تدير شؤون إمارتها باسم الحكومات القوية التي كانت تسيطر على المنطقة سواء آكانت في مصر أم كانت في بلاد اليمن ، وأحياناً قليلة كان تفوذ أشراف مكة يصل إلى أرضهم أو يستجدون بهم على غيرهم أو بالعكس يستعينون بغيرهم عليهم ، ومن هذه الاسر :

أسرة الحكمي : التي أسسها سليمان بن طرف الحكمي والتي
دام حكمها حتى عام ٣٩٣ هـ .

الاسرة السليمانية : التي أسسها سليمان بن داود الذي
استولى على المنطقة بمساعدة يحيى بن الحسن الهادي . وكانت
تحكم باسم آل زياد في زبيد . ثم كان نفوذ بني نجاح والصليحيين
والمهديين وغيرهم من دول اليمن .

ومن الاسر الاخرى آل القطبي والذرورات والخواجيون ،
وأخيراً جاء آل الخيرات إلى المنطقة ، وقد أسس إمارتهم محمد بن
أحمد الخيراتي وتولى الإمارة من بعده أبنائه ، فوقع بعضهم في
خلاف مع بعض منذ وفاته ، وكان بعضهم يستعين بجنود مرتزقة
من قبائل اليام في نجران ضد بعضهم الآخر ، أو يستنجد بإمام
صنعاء ، وقد عمت الفوضى المنطقة وساد الاضطراب حتى
انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية في نجد ، ووصل
إلى الإمارة في تهامة آنذاك حمود بن محمد وهو الذي عرف
بأبي مسمار .

وآل الخيرات فرع من أشراف مكة انتقلوا إلى تهامة لما
حصل خلاف بين الأسرة على شرافة مكة .

٥ - اليمن

إن بُعد اليمن عن قاعدة الخلافة وطبيعة أرضها الجبلية

قد جعلها قاعدة للتشرد وقيام عدة حكومات محلية ظهرت منذ وقت مبكر لضعف الدولة المركزية ، ومن هذه الحكومات :

• بنو زياد في زبيد وقد أسسوا إمارتهم عام ٢٠٤ هـ .
وسيطر القرامطة بقيادة علي بن الفضل على أجزاء واسعة من اليمن عام ٢٩٢ هـ ونهبوا زبيداً ومدن اليمن الأخرى .
وقام بنونجاح ممالك بني زياد يديرون شؤون زبيد وملحقاتها منذ عام ٤١٢ هـ .

• وحكم بنو يعفر صنعاء منذ عام ٢٤٧ هـ وحتى عام ٣٨٧ هـ .

• وسيطر بنو صليح على صنعاء عام ٤٢٩ هـ وحتى ٤٩٢ هـ .
وجاء بنو همدان بعد بني صليح ، واستمر حكمهم في صنعاء حتى عام ٥٦٩ هـ .

• وآل أمر زبيد إلى بني مهدي من ٥٥٤-٥٦٩ هـ .
• وتسلم آل زريع إمارة عدن من عام ٤٧٦-٥٦٩ هـ .
• ثم جاء الأيوبيون وتسلموا المنطقة من عام ٥٦٩-٦٢٦ هـ .
• وحكم بنو رسول بعد الأيوبيين من ٦٢٦ - ٨٥٨ هـ .
• وسيطر بنو طاهر على اليمن من ٨٥٥-٩٣٢ هـ حيث جاء المماليك إلى المنطقة لطرد البرتغاليين ثم لم يلبث أن جاء العشانيون للغاية نفسها .

كما كانت صعدة في الشمال عاصمة دولة بني رس الشيعية التي قامت عام ٢٨٠ هـ ، وقد استطاع حكامها الاستيلاء على صنعاء عدة مرات ، واستمر حكمهم للمنطقة عدة قرون ، وهم

يعودون بنسبهم الى الحسين بن علي بن أبي طالب • وزالت دولتهم بعد قيام بني رسول وبني طاهر •

وعندما استولى العثمانيون على اليمن كان بعض الأئمة الزيديين الذين ينتسبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب على أحسن حال مع الولاة على حين لم يسترج بعضهم الآخر معهم أبدا ، وظلوا معاكسين لهم حفاظا على استقلالهم • وتفرد الامام الطهر من بين هؤلاء الأئمة بأنه كان هو واولاده من بعده من أشد من أبدى عداوة للولاة العثمانيين ، وأكثرهم ضراوة في مقاومتهم ، وقد بدأت هذه المقاومة منذ عام ٩٦٤ هـ ، وقد استطاع عام ٩٧٥ هـ أن يستولي على صنعاء ، وآلت البلاد كلها إلى اضطراب ، وهذا مادعا إلى مجيء سنان باشا العثماني إلى المنطقة واحتلالها • ولكن بعد ذهاب سنان باشا عن اليمن وحوالي العام ١٠٠٠ هـ ظهر القاسم المنصور بالله بن محمد ، وكان من أعظم الأئمة الزيود ، إذ استطاع أن يجمع حوله رؤساء القبائل وشيوخها كلهم ، وأن يؤسس حكومة مستقلة في المناطق المرتفعة من اليمن حيث يقيم الزيديون ، بينما المناطق المجاورة لها من الجهات كلها يسكنها أهل السنة ، وهم من الشوافعة ، وقد استطاع القاسم أن يمالئ العثمانيين وأن يعقد معهم اتفاقا عام ١٠٢٨ هـ يحكم بموجبه المرتفعات ، وقد جدد هذا الاتفاق من بعده ابنه محمد المؤيد • وسيطر الأئمة الزيود من أسرة القاسم على أكثر أراضى اليمن عام ١٠٤٢ هـ بسبب الخلاف الذي وقع بين

الجند العثمانيين حتى إن الوالي العثماني (قانصوه باشا) الذي تولّى أمر اليمن عام ١٠٣٩ هـ اضطر أن يلتجئ إلى الامام الحسين ابن القاسم عام ١٠٤٥ هـ بعد أن حوَصر في قلعته ، ثم ترك اليمن ، وفرّ إلى مصر ، وهكذا انتهى الحكم العثماني في اليمن ، واستمرت أسرة القاسم الزيدية تدير شؤون المنطقة ، ويعتبر كثير من المؤرخين أن دولة صنعاء الزيدية ليست إلا امتداداً لدولة بني رس في صعدة إذ أن القاسم يعود في نسبه إلى أحد حكام دولة بني رس .

كان الأئمة الزيود يحاولون دائماً مدّ نفوذهم إلى تهامة وكثيراً ما خضعت لهم ، وحكمها بعض الأمراء باسمهم ، وفي الوقت نفسه كان أهل عسير يحاولون أحياناً مدّ نفوذهم إلى تهامة ويجدون عوناً لهم من أهلها الذين يلتقون معهم في المذهب حيث يتبعون مذهب أهل السنة ، وكلاهما أيضاً من الشوافعة ولذلك كانت تقع الحروب بين الأطراف المتنافرة ، وتكثر الغارات بينهم .

٦ - عمان

انتشر المذهب الإباضي في عمان ، ويرجع هذا المذهب إلى عبد الله بن اباض المري التميمي ، وكان من الخوارج ثم انفرد عنهم برأيه ، وقد توفي عام ٨٦ هـ .

انتخب الاباضيون (جلندي بن مسعود) إماماً لهم في عمان عام ١٠٧ هـ أيام هشام بن عبد الملك الأموي ، وتعرضت البلاد

لعدة هجمات قام بها العباسيون ، ثم القرامطة في القرن الرابع الهجري ، واستولى عليها الايرانيون ٦٦٤ هـ ، وامتد نفوذ اليمن إليها عام ٦٧٧ هـ ، وحكمها البرتغاليون ٩٢١ هـ وعام ١٠٩١ هـ ، كما وصل إليها الحكم السعودي إبان توسعه عام ١٢١٨ وعام ١٢٢٦ هـ . وكان الحكم أحياناً ينقلب إلى ملك وراثي ، كما حدث أيام أسرة بني نبهان عام ٥٤٩ - ٨٠٩ هـ ، وأسرة بني يعرب ١٠٣٤ - ١١٥٤ هـ ، وكذلك الأسرة البوسعيدية التي جاءت إلى الحكم بعد بني يعرب عام ١١٥٤ هـ ، وكان الإمام في بعض الفترات ينتخب انتخاباً .

ومنذ عام ١١٩٣ هـ تغير لقب الحاكم من إمام إلى سيد . وكانت (نزوى) عاصمة الحكم حتى عام ١١١٢ هـ ، ثم انتقلت إلى (رستاق) عام ١١٩٧ هـ ، وأخيراً استقرت في (مسقط) .

كان العمانيون يجوبون المحيط الهندي تجاراً ، وقد استطاعوا حكم زنجبار عام ١١٩٩ هـ ، وأسسوا فيها إمارة مستقلة تولاهها (سيد) هو ماجد بن سعيد بن سلطان ، وبقيت الأسرة تحكم زنجبار حتى عام ١٣٨٤ هـ ، عندما حدث فيها انقلاب ، وضمت إلى تانجانيكا ، وقامت دولة جديدة عرفت باسم تانزانيا .

وقد امتد نفوذ زنجبار في عهد الأسرة العمانية ، وشمل أراضي واسعة داخل إفريقية ، وصلت إلى شمال شرقي الكونغو (زائير) . وفي عام ١٣٠٩ هـ ، وضعت عمان تحت الحماية الانكليزية ، وحمل (السيد) لقب سلطان مسقط .

الأئمة السعيدة

أحمد بن سعيد	١١٥٤ هـ
سعيد بن أحمد	١١٨٨ هـ
حميد بن سعيد	١١٩٣ هـ
سلطان بن أحمد	١٢٠٦ هـ قتل
سالم بن سلطان	١٢١٩ هـ قتله وإخوته عمهم السلطان بدر بن أحمد
سعيد بن سلطان	١٢١٩ هـ ابنه ماجد في نجبار
تويني بن سعيد	١٢٧٣ هـ
سالم بن تويني	١٢٨٣ هـ ثار عليه عزان بن قيس
عزّان بن قيس بن أحمد	١٢٨٥ هـ
تركي بن سعيد	١٢٩١ هـ
فيصل بن تركي	١٣٠٥ هـ
تيمور بن فيصل	١٣٣٢ هـ
سعيد بن تيمور	١٣٩٠ هـ
قابوس بن سعيد	حالياً

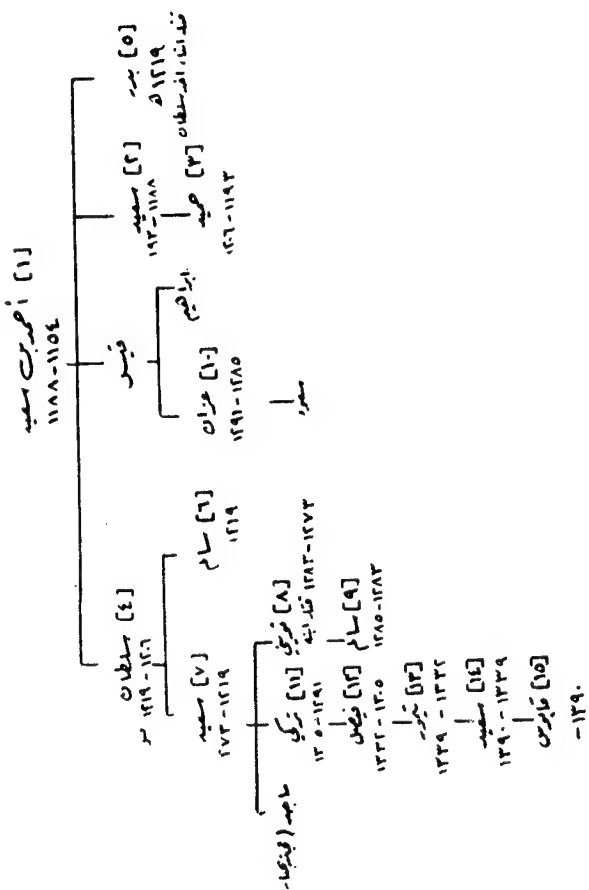
والواقع أنه مع ظهور القوة البريطانية في منطقة الخليج ، فقد انقسمت الأسرة السعيدية إلى قسمين : أحدهما : رضي الحكم الوراثي ، وتعاون مع الانكليز ، وحمل لقب سلطان مسقط ،

وكان زعيمه آنذاك سلطان بن أحمد ، واستقل في المنطقة الساحلية ،
واتخذ مدينة مسقط عاصمة له • والثاني : احتفظ بلقب الامام ،
واستقل في الداخل ، واتخذ مدينة (نزوى) مركزاً له •

كانت بريطانية بجانب سلطان مسقط ، وترفض أن تستعمل
الامامة في نزوى سلطاتها الشرعية ، وعندما حاول (عزان بن قيس)
توحيد عمان ومسقط باسم الامامة تدخلت بريطانية ضده لصالح
شخص آخر هو تركي بن سعيد وفرضته سلطاناً على مسقط
وعمان •

وفي عام ١٣٧٥ هـ غزا سعيد بن تيمور الداخل ، وسقطت
الامامة ، وإن شكلت حكومة في المنفى برئاسة غالب بن علي •
ويحكم الآن عمان السلطان قابوس بن سعيد بن تيمور •

* * *



الفصل السادس

نجد في العهد العثماني

أصل العثمانيين قبيلة تركية جاءت من أواسط آسيا، واتجهت نحو الغرب إلى أن حطت بها الرحال وسط آسيا الصغرى، وهناك اعتنقت الاسلام، وبدأت تتوسع على حساب الدولة البيزنطية حتى شملت أراضيها أكثر أراضي تركية اليوم عدا مساحة صغيرة قرب القسطنطينية وحولها ٠٠٠ ثم انتقل العثمانيون إلى أوروبا يمدون نفوذهم في جنوبها الشرقي حتى توسعت أملاكهم هناك، ثم عادوا فالتفتوا إلى القسطنطينية فدخلوها فاتحين وقضوا على الدولة البيزنطية نهائياً عام ٨٥٧ هـ ٠٠٠ واستمر توسعهم في أوروبا وفي الوقت نفسه كان الاسبان والبرتغاليون يشددون الخناق على المسلمين في الأندلس، وتدعمهم أوروبا التي عجزت عن مجابهة العثمانيين ٠٠٠٠ وأخيراً استطاع الاسبان والبرتغاليون طرد المسلمين من الأندلس نهائياً عام ٨٩٧ هـ بل وملاحقتهم في بلاد المغرب ٠٠٠٠٠ ثم محاولة الاطاحة بالمسلمين من كل جهة وقتالهم ٠٠٠٠٠ وقد تقاسم الاسبان والبرتغاليون طرق التطويق ٠٠٠ فأخذ الاسبان السير بالاتجاه نحو الغرب للوصول إلى شرقي بلاد

المسلمين بصفتهم الأكثر عدداً ، والأقوى جنداً ٠٠ وأخذ البرتغاليون طريق الوصول إلى جنوبي بلاد المسلمين عبر إفريقية ٠٠٠٠ وبالواقع فقد كتب النجاح للفريقين ، والتف البرتغاليون حول إفريقية ، وطلعوا إلى جنوبي بلاد المسلمين ، فاحتلوا شرقي إفريقية ، وسيطروا على طريق الهند ، وأخضعوا مالاقا ٠٠٠ ثم التفتوا إلى جنوبي بلاد العرب فاحتلوا عدن عام ٩١٩ هـ ، وعمان ٩٢١ هـ ، وتقدموا إلى البحرين وقد لاحظنا كيف قتل (مقرن بن أجود بن زاحل) عام ٩٢٧ هـ أثناء صدامه مع البرتغاليين ٠ وقد وجد البرتغاليون تساهلاً من قبل الصفويين الذين بدأ حكمهم لبلاد فارس منذ مدة قصيرة ٠٠٠

أمام هذا لم يكن لدى العثمانيين سوى طريق واحدة وهي ترك القتال في أوربة والاتجاه نحو المشرق والبدء في قتال الصفويين لكشف البرتغاليين ثم العمل على توحيد بلاد المسلمين جهة واحدة للوقوف في وجه البرتغاليين ومشروعاتهم الخبيثة ، ومن رغب عن ذلك من المسلمين لا بدّ من قتاله ٠٠٠٠ وبخاصة أن المماليك قد عجزوا عن مثل هذا الوقوف بل هزموا أمام البرتغاليين في عدة مواقع ومنها معركة « ديو » البحرية التي جرت قرب سواحل الهند عندما استعان الهنود المسلمون بالمماليك ضد البرتغال ٠ وفي الواقع فقد تمّ هذا المخطط ، وانتصر السلطان سليم العثماني على الصفويين ، ووحد جهود المسلمين بضم بلادهم في دولة واحدة ٠٠٠٠ وعمل وأسلافه على طرد البرتغاليين حتى تم لهم الأمر ٠

ويمكن أن نلاحظ فرح المسلمين بما حدث مما نقله إلينا المؤرخ عثمان بن بشر في كتابه « عنوان المجد في تاريخ نجد » إذ صور المؤرخون نصر العثمانيين تأييداً من الله ، وهزيمة الصفويين نقمة منه ، وأنهم ملحدون مارقون وأعظامهم صورة بشعة للغاية فيقول : « ذكر صاحب الأعلام عجيبة » ، وهي ظهور شاه اسماعيل ابن حيدر بن جنيد الصوفي ، فأردت أن أذكر قوله ملخصاً قال : كان له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم يعدّ من الأعاجيب ، فتك في البلاد وسفك دماء العباد ، وأظهر مذهب الرفض والالحاد ، وغير اعتقاد العجم إلى الانحلال والفساد ، والله سبحانه يفعل في ملكه ما أراد ، وتلك الفتنة باقية إلى الآن في جميع تلك البلاد . وكان شاه اسماعيل من بيت يعتقدون فيهم العجم ، يتصوفون ، ويدعون الاسلام ، ويظهرون شعار أهل السنة وهماً من رؤسائهم : فظهر شاه اسماعيل ^(١) في بيت صائف يقال له (نجم) في بلاد الاهجان ، وبلاد الاهجان فيها كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحرورية والزيدية وغيرهم ، فتعلم اسماعيل منهم في صغره مذهب

(١) الواقع ان شاه اسماعيل هو سليل الشيخ صفى الدين الأردبيلي الذي يقول عنه مؤرخوه : إنه من أحفاد الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وكان حيدر والد الشاه اسماعيل شيعياً متعصباً ، وقد اوجد لجماعته قلنسوة حمراء ذات اثنتي عشرة ذؤابة رمزاً للائمة الاثني عشر . ولهذا سموا (القزلباشية) .

الرفض ، ولم يظهر الرفض غير شاه اسماعيل ، وكان في بيت ذلك الصائغ ، وكان يأتيه مريدو والده خفية ، ويأتون بالنذور ، ويعتقدون فيه ، ويطوفون بالبيت الذي هو فيه ، إلى أن كثرت داعية الفساد ، فخرج ومن معه من الاهجان ، وأظهروا الخروج لأخذ ثأر والده وجده ، وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة ، وكلما سار منزلاً كثر عليه داعية الفساد ، واجتمع عليه عساكر كثيرة ، وقصد مملكة شروان شاه قاتل أبيه وجده ، وخرج لمقاتلته ، فانهزم عسكر شروان ، وأسر شروان ، وأتوا به إلى اسماعيل ، فأمر أن يضعوه في قدر كبير ، ويطبخوه ، ويأكلوه ، ففعلوا .

ثم حصل له وقعات كلها انتصر فيها ، واستولى على خزائن عظيمة ، ولم يكن يمسك شيئاً من الخزائن بل يفرقها في الحال . ثم صار لا يتوجه إلى بلاد إلا أخذها ، ويقتل جميع من فيها ، وينهب أموالهم ، إلى أن ملك تبريز ، وأذربيجان ، وبغداد ، وعراق العرب ، وعراق العجم ، وخراسان . وكان يدعي الربوبية . وكان يسجد له عسكره ، ويأتمرون بأمره ، وقتل خلقاً لا يحصون ، بحيث لا يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية ولا في الأمم السابقة من قتل من النفوس مقدار ما قتله شاه اسماعيل ، وقتل عدة من أعظم العلماء بحيث لم يبق أحد من أهل العلم في بلاد العجم ، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم . وكلما مرّ بقبور المشايخ نبشها ، وأحرق عظامها . وإذا قتل أميراً من الأمراء أباح زوجته وأمواله لشخص آخر . وسقط مرةً منديل من يده إلى البحر ، وكان على

جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فرمى نفسه خلف المنديل من عسكره فوق ألف نفس ، كلهم تحطموا ، وتكسروا ، وأغرقوا ، وكانوا يعتقدون فيه الألوهية ، وأنه لا ينكسر ولا يهزم إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة .

ولما وصلت أخباره إلى السلطان سليم خان اتدب إليه ، فتهماً لقتاله ، وجمع الجموع لجلاده وجداله ، وجرّ الجيش العرمرم ، والتقى العسكران بمكان يقال له (جالديران) بقرب تبريز ، ورتب السلطان سليم عسكره ، واستنزل النصر من الله ، فتجالد الفريقان بجالديران ، فانهزم شاه اسماعيل وولى فراراً ، وقتل غالب جنده وأمرائه ، وسأقت العساكر العثمانية ما خلف وراءه ، وكادوا يقبضون عليه ، ففر من بين أيديهم ، وهم ينظرون إليه ، فغنم السلطان سليم عسكره ، واستنزل النصر من الله فتجالد الفريقان لا نظير له ، وأعطى الرعية الامان ، وذلك في نيف وعشرين وتسعمائة .

وفي سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة بعدما دخل السلطان سليم مصر وأخذه من قانصوه الغوري الجركسي ، ولى بمصر قضاء الحنابلة أحمد بن النجار الحنبلي قاضي قضاة مصر ، وهو والد الشيخ تقي الدين محمد صاحب المنتهى (١) .

فتح العثمانيون مصر عام ٩٢٣ هـ ، فأرسل شريف مكة

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر ج ١ ص ٢٠-٢١
طبعة مكتبة الرياض الحديثة .

« بركات » ابنه « أبو نمي » - كما مر معنا - ليقدم للسلطان سليم الطاعة ، وسلمته مفاتيح الحرمين الشريفين دليل الطاعة والتسليم ، وبهذا امتد سلطان العثمانيين إلى الحجاز وعسير ، ثم وصل إلى اليمن ، واستطاع العثمانيون دخول عدن عام ٩٤٢ هـ واخراج البرتغاليين منها ٠٠٠ ومن جهة ثانية فقد وصل العثمانيون إلى البحرين عام ٩٦٣ بقيادة فاتح باشا وقضوا على دولة راشد ابن مغمس ، وقد زال أثر البرتغاليين أيضاً من البحرين ، ولم يبق لهم نفوذ إلا في عمان .

ومع وصول النفوذ العثماني إلى الحجاز من جهة الغرب والبترين من جهة الشرق ، فإن امتداده كان طبيعياً إلى نجد لأن الحجاز والبحرين كان لهما نفوذ أو بعض النفوذ على نجد مع غياب الدول ، وزوال الوحدة بين أجزائه منذ أن دالت الدولة الاخيرية ، إلا أن هذا النفوذ كان اسمياً

كان نفوذ شرفاء مكة في نجد في بداية الأمر هو القوي بالنسبة إلى نفوذ البحرين ، وعندما يشعرون بقوتهم أو يرون محاولة للعصيان من قبل بعض الأمراء يجردون حملاتهم لإقرار نفوذهم أو لاختضاع من يفكر في التمرد وإعلان الاستقلال . وقد كثرت هذه الغزوات .

ففي عام ٩٨٦ هـ غزا شريف مكة حسن بن أبي نمي معكال^(١) .

(١) معكال حي من الرياض اليوم ، عند شارع آل فريان ، جنوبي دخنة ، وقد كان قرية خاصة .

وبقي فيها مدة • كما عاد بعد ثلاث سنوات فغزا الخرج والعارض ،
وتجمع له أثناء عودته جماعة من بني خالد إلا أنه هزمهم •
وغزا ابنه ابو طالب بن حسن بن أبي نسي نجداً عام ١٠١١ هـ ،
باسم أخيه ادريس الذي كان شريف مكة • وعند موت ادريس بن
أبي نسي استبد ابن أخيه محسن بن حسين في بلدة ياطب من
نواحي جبل شمر • ثم غدا شريفاً لمكة فغزا نجداً عام ١٠١٥ هـ ،
وقتل أهل بلدة القصب [الرقيية] من نواحي الوشم • ثم عاد مرة
أخرى حتى وصل إلى البحرين •

وغزا زيد بن محسن نجداً عام ١٠٤١ هـ ، ووصل في غزواته
إلى روضة سدير عام ١٠٥٦ هـ ، وإلى العيينة والخرج عام ١٠٥٧ هـ ،
ونزل التويم وجلجل عام ١٠٦٩ هـ •

وضعت الدولة العثمانية ، وطمعت القبائل في ولايتها ، وظهرت
قوة بني خالد في البحرين ، واستطاع زعيمهم وهو (براك بن غرير
ابن عثمان بن مسعود الخالدي آل حميد) من السيطرة على البحرين ،
واخراج الحامية العثمانية منها عام ١٠٨٠ هـ ، وذهب الوالي العثماني
منها وهو عمر باشا رابع الولاية وآخرهم :

١ - فاتح باشا الذي دخل البحرين •

٢ - علي باشا أبو الوند •

٣ - محمد باشا •

٤ - عمر باشا •

امتد نفوذ بني خالد حتى وصل إلى الكويت ، كما وصل إلى

نجد عام ١٠٨١ هـ عندما غزاها (براك بن غرير الخالدي) •
وهكذا وجدت أيام الدولة العثمانية سلطتان تتنازعان على
نجد الأولى في الحجاز ويقودها شرفاء مكة من بني قتادة ، والثانية
في البحرين ويتزعمها بنو خالد •

ففي عام ١٠٩٧ هـ سار الشريف أحمد بن زيد بن محسن إلى
نجد ونزل عنيزة • وكذلك سار أخوه سعد بن زيد بن محسن عام
١١٠٧ هـ ، ووصل إلى سدير •

بركات شريف مكة عام ٩٢٣ هـ يوم دخل السلطان سليم مصره .

أبو نبي الذي قابل السلطان سليم وسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين

حسن غزا نجداً عام ٩٨٦ هـ و ٩٨٩ هـ .

حسين ادريس أبو طالب غزا نجداً عام ١٠١١ هـ

محسن غزا نجداً عام ١٠١٥ و ١٠١٦ هـ .

زبيد غزا نجداً ١٠٤١ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٦٩ هـ

سعد غزا نجداً عام ١١٠٧ هـ . أحمد غزا نجداً ١٠٩٧ هـ

ويبدو أنه في الفترة الأخيرة طغت قوة بني خالد على قوة شرفاء مكة ، وكان نفوذهم في نجد أقوى •

وكانت نجد إمارات صغيرة متفرقة لا رابط يجمعها ولا جامع يربطها لذا كانت دائماً في صراع مستمر ، وتنافس على السلطة ، ومرابطة دائمة ، وثأر لا ينقطع ، يتحين أهل كل قرية الفرصة للانقضاض على القرية الأخرى ، بل تطور الأمر إلى صراع داخل القرية الواحدة وبين أفراد الاسرة الواحدة •

إن هذا الوضع الاجتماعي يفرض قيام مجموعات قبلية جديدة إذ لا بد من تحالفات تنشأ بين القبائل ليقوى ساعدها ويمتن عودها وتستطيع الوقوف في وجه خصومها • لهذا نرى قبائل جديدة تحمل أسماء جديدة لم تكن معروفة في صدر الاسلام مثل غنيية ومطير وغيرها على حين بقيت القبائل الكبيرة موجودة مثل بني تميم ••• كما زالت أسماء بعضها إذ تحالفت مع غيرها مثل بني حنيفة الذين أصبحوا جزءاً من عنزة •

وتسكن نجد الآن عدة قبائل ينتمي بعضها إلى عدنان ، وبعضها الآخر ينتسب إلى قحطان ، ويتألف بعضها من عدة قبائل تحالف بعضها مع بعض ، إذ أن نجد مركز التقاء القبائل العربية المختلفة سواء أكانت خارجة من اليمن ومتجهة نحو الشمال الشرقي وهي القبائل القحطانية أم منطلقة من الحجاز ومنقلة نحو الشرق أو الشمال الشرقي أيضاً وهي العدنانية ، وهناك تحالف أو يختلط

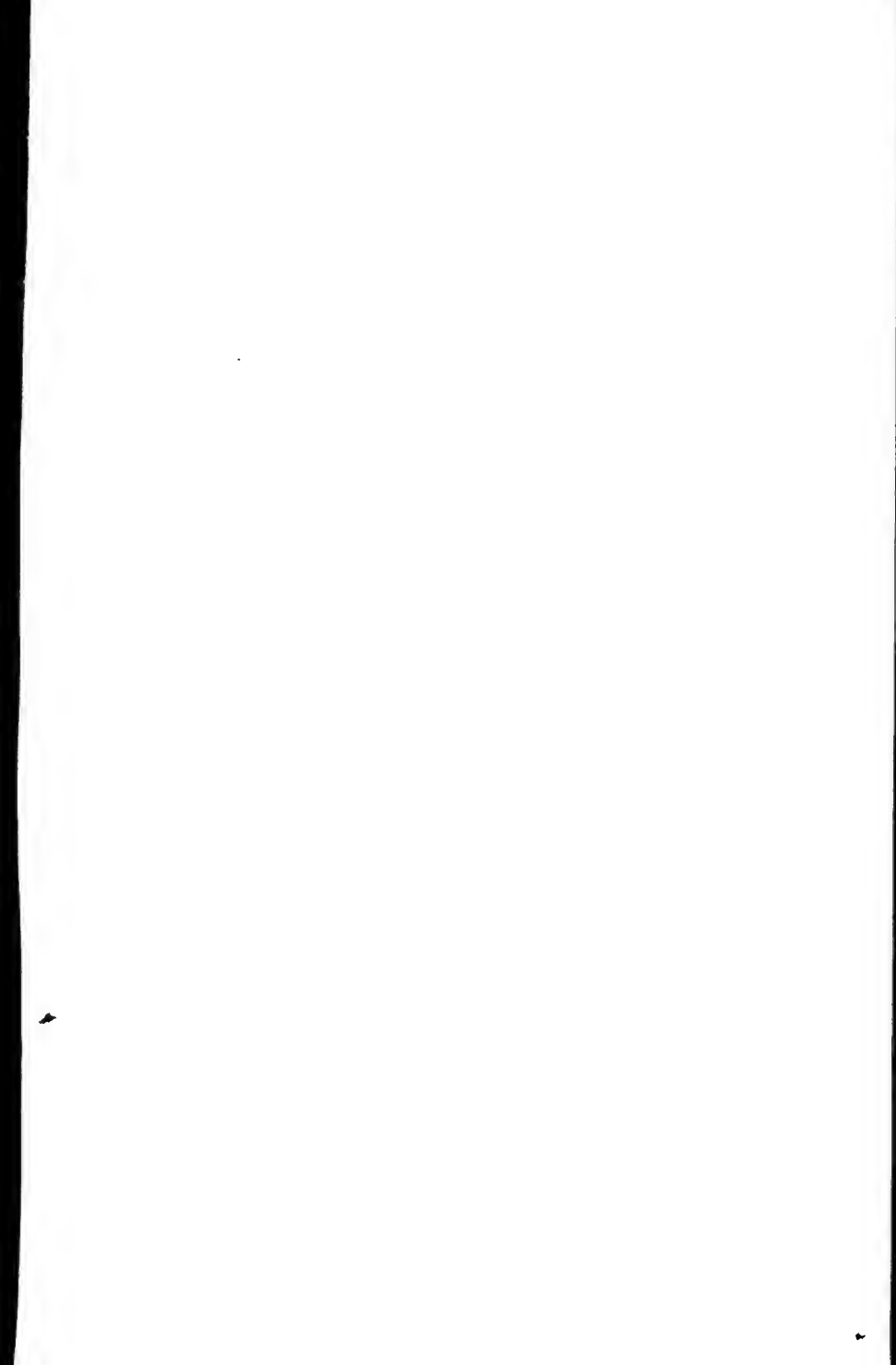
بعضها مع بعض ، وأخيراً تندفع خارج الجزيرة العربية تحمل إسماً جديداً لقبائل متحالفة أي أن أرض نجد هي البقعة التي تنصهر فيها القبائل ، ثم تخرج منها على شكل موجات وهذا ما حدث على مدار التاريخ •

وإننا لنرى الجزء الجنوبي من نجد وهو الذي يقع جنوب طريق الحج تكثر فيه القبائل القحطانية على حين تكثر شماله القبائل العدنانية إذ لم تنصهر القبائل في هذا المكان بعد مع بعضها بعضاً ، أما في المناطق الشرقية والشمالية الشرقية فتنتقل فيها قبائل مؤلفة من عدنانيين وقحطانيين ، إذ تكون منهما تحالف مع الأيام وعلى مرور الزمن ، ولكن لا يعني هذا عدم وجود قبائل قحطانية في الشمال من هذا الخط ، وعدم وجود قبائل متحالفة أو عدنانية في جنوبيه ، لا ، لكن هذا هو الخط العام إذ نجد بني تميم في حوطة بني تميم في الجنوب كما نجد الدواسر وهي قبيلة متحالفة من قحطانيين وعدنانيين وغير ذلك

وهكذا نرى أن نجداً له طابع بشري معين يمتاز به عن غيره من أقاليم شبه جزيرة العرب التي دخلها غرباء على نطاق أوسع ، كما له سمة طبيعية تميزه عن بقية أقسام تلك الجزيرة •

الباب الرابع

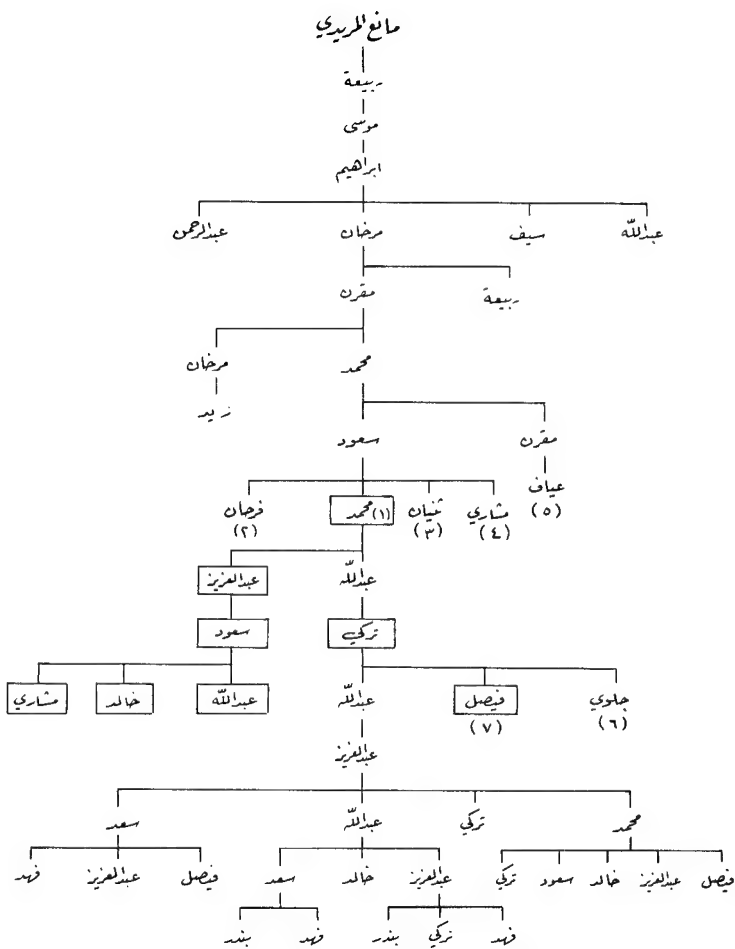
السُّعُودِيُّونَ



الفصل الأول

الدولة السُّعُودِيَّة الأولى

ينتسب السعوديون إلى بني حنيفة الذين سكنوا الوادي الذي عرف باسمهم « وادي حنيفة » منذ قبل الاسلام بما يقرب القرنين ، وكانت لهم قوة في عهدهم الأول ، ثم تفرقوا في البلاد مع الزمن ، وتحالفوا مع قبيلة عنزة ، وفي عام ٨٥٠ هـ قدم إلى حجر (الرياض) مانع بن ربيعة المريدي من بني حنيفة من منطقته الدرعية قرب القطيف بالمنطقة الشرقية بناء على طلب ابن عمه (ابن درع) زعيم بني حنيفة في واديهم ، ولعل هذا الأخير قد شعر بقلّة عدد قبيلته وتفرقها مع الزمن على حين تتجمع بقية القبائل ولا شك فانها ستطمع في السيطرة على المنطقة ، كما يطمع في ذلك حكام البلاد الأخرى ، والأمراء الذين يكثرون عددهم ، ويتنافسون فيما بينهم — كما مرّ معنا ذلك — وعندما جاء (مانع) اقطعه ابن عمه منطقة في الوادي في مكان يدعى اللييد و غصيبة) فنزل مانع فيها ، واستقر بها ، وبدأ بإعمارها ، وعرفت باسم (الدرعية) نسبة إلى أسرته (الدروع) أو نسبة لبلدتهم التي خرجوا منها وهي (الدرعية) وهي بالأصل سميت باسم الأسرة . وتولّى أحفاده أمرها ، وكانوا الأمراء فيها حتى كان عهد محمد بن سعود حيث أصبح الأمير فيها ، وحوله أمراء عدة في المدن القريبة والمجاورة .

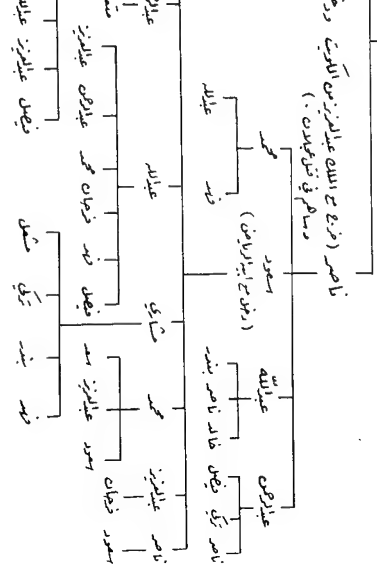


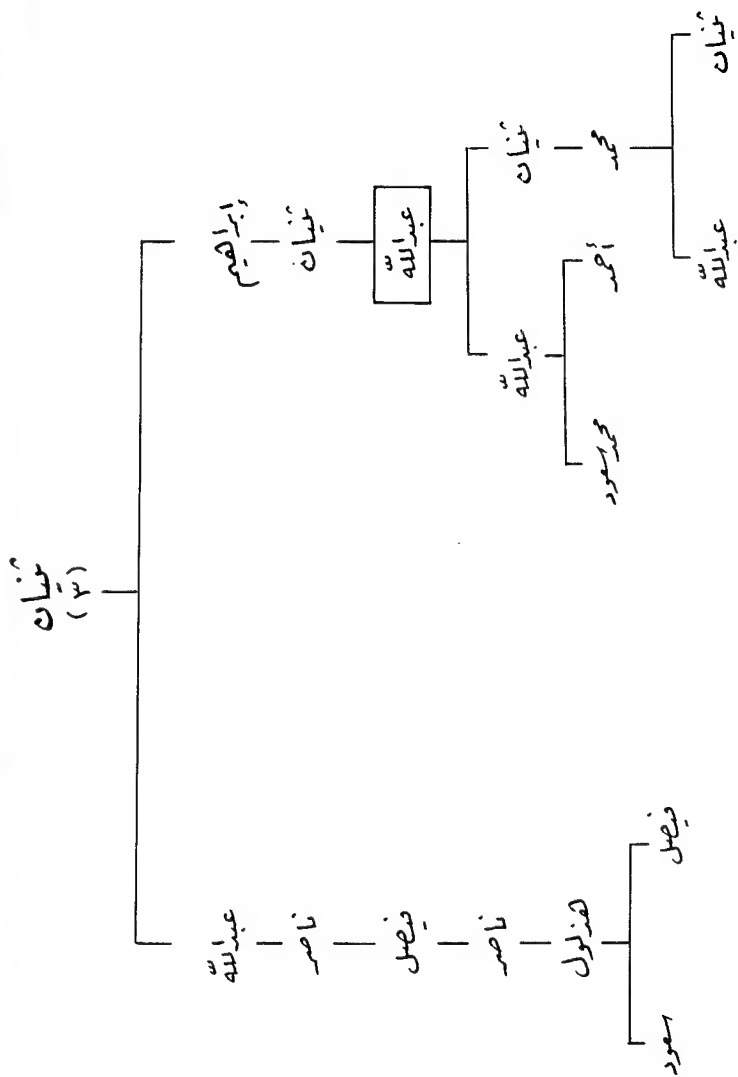
(١١) الاسماء بصورة باين قوسين سألوا اللهم

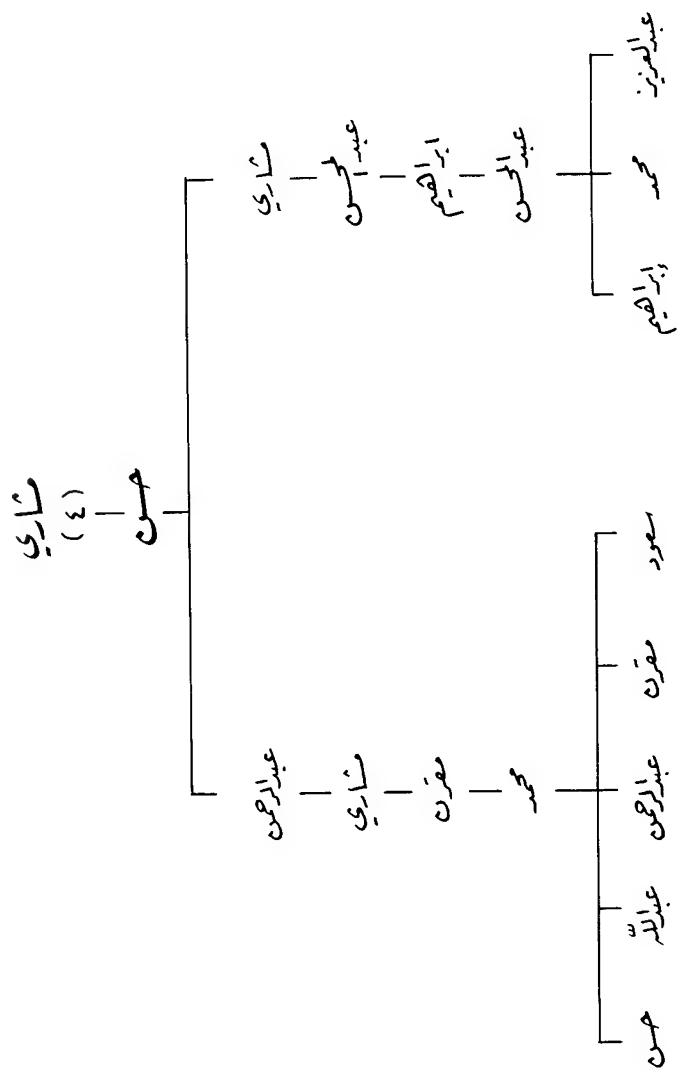
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله

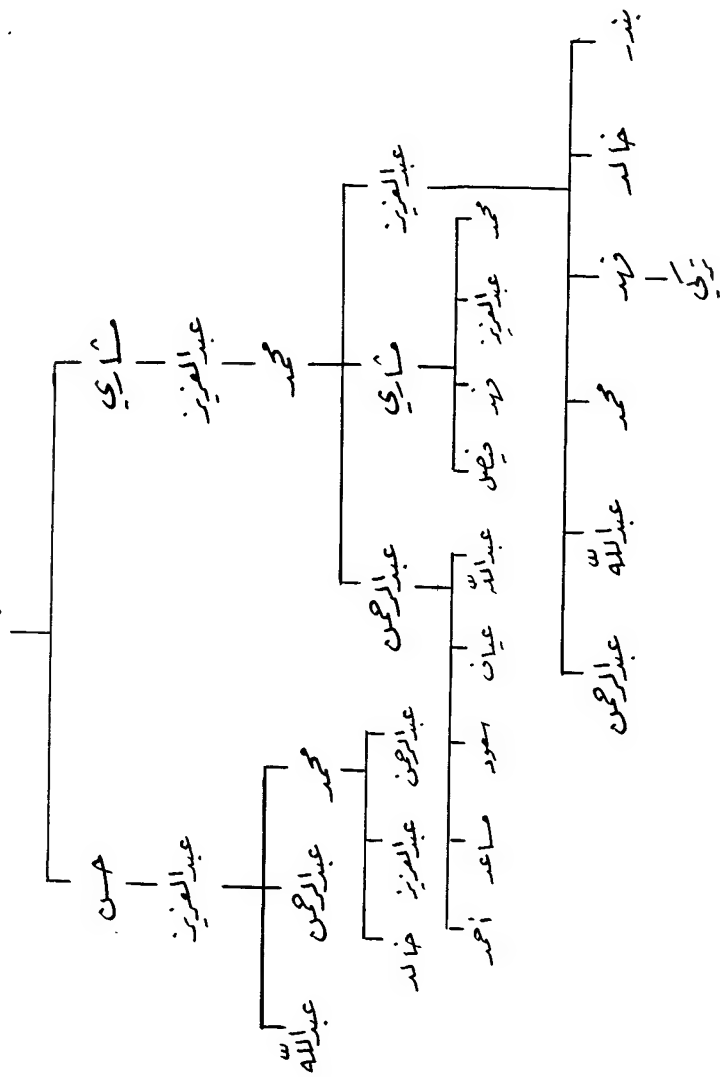
اسم



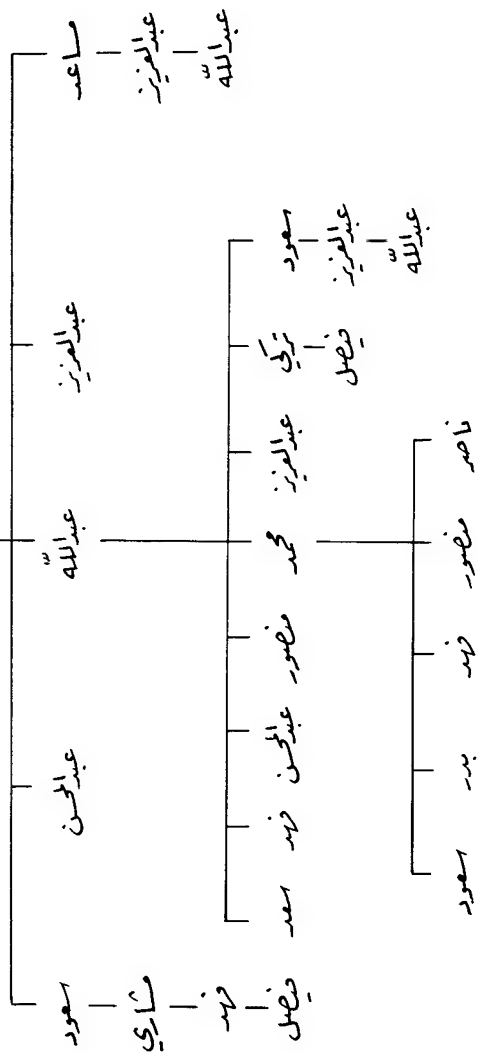


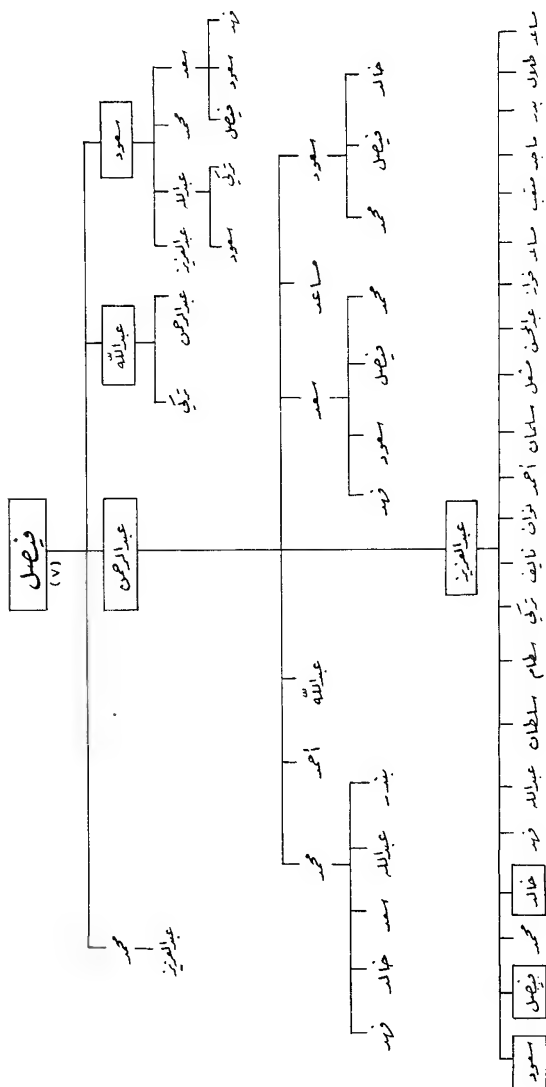


५३



جہوی
(۶)





عندما تولى محمد بن سعود إمارة الدرعية عام ١١٣٩ هـ ، كانت أوضاع نجد كافة تحتاج إلى دعوة للإصلاح عامة فقد عم الاختلاف كل الجهات ففي كل بلد أمير ، وفي كل ناحية حاكم يأخذ مايحلوه له من ثمار ، وقد يأتي شريف مكة فيدخل البلاد ، كما قد يسير حاكم الإحساء فيخضع الأمراء لسلطانه ، وهم يتبعون له ، هذا إضافة إلى غارات البدو التي لاتنقطع ، وتسلب القبائل وشيوخها على الحضر ، وانتشار اللصوص في كل مكان ، ووجود الحرابا في الدروب والطرق ، هذا من ناحية الأمن اما من ناحية الدين فتقديس القبور والمظاهر الخاصة ، والتعامل بالربا ، وارتكاب الفواحش ، والإكراه على تزويج البنات ، وانتشار الخرافات والتوسل بغير الله من أضرحة الصالحين والأولياء ، والاعتقاد ببعض الأحجار والأشجار بأنها تكون سبباً في الإنجاب وإيجاد الزوج وحفظ الولد ، إذا قام الطالب عندها ببعض التصرفات . كل هذا كان يثير النفوس ، ويدكي روح التمرد على هذه الأوضاع ، ويحرق القلوب التي فطرت على حب الأمن والطمأنينة والسلام . وما يرى عاقل شيئاً من هذا إلا ويهوله ماوصل اليه الامر . وكان لابد من مناد للإصلاح ، وشاء الله أن يكون هذا الداعية هو محمد بن عبد الوهاب التميمي الذي ولد عام ١١١٥ هـ في بلدة العيينة^(١) ، وعاش في بيئة صالحة إذ كان أبوه عالماً ،

١ - العيينة : بلدة تقع شمال الرياض الى الغرب قليلا وتبعد عنها مسافة ٤٠ كيلو مترا تقريبا .

وقاضياً في العيينة وحرملاء^(١) ، كما كان جده مفتي نجد وإماماً في الفقه ، وكذا عمه ، فنشأ في بيت علم ودين ، وكان شغوفاً لتحصيله ، واهتم بكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ثم قام برحلات إلى الحجاز والبصرة ومر بالإحساء ، فالتقى بالعلماء في هذه الرحلات أولاً ، ورأى ماعليه أوضاع المسلمين في تلك الامكنة ثانياً ، وقد وضع الكتب وكتب الرسائل •

رحل والده من العيينة إلى حرملاء عام ١١٣٩ هـ لخلافه مع أمير العيينة الجديد ، فرحل ابنه ، وأراد أن يدعو هناك إلا أن والده قد منعه من ذلك فانصرف إلى التأليف ، فلما توفي والده عام ١١٥٣ هـ ، أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رأيه ، وبدأ يدعو الناس إلى ترك مادخل على الدين من بدع وخرافات والتمسك بما كان عليه السلف الصالح ... وقد وجد أن جو (حرملاء) لا يناسب الدعوة فقرر العودة إلى العيينة ، وساعده أميرها عثمان ابن معمر في نشر دعوته ، التي انتقلت إلى الناحية العملية ، إذ قطعت الاشجار التي يتبرك بها الناس ، وهدمت القبة التي فوق قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه ، ورجمت الزانية ...

انتقلت أخبار الدعوة خارج المنطقة ، وكانت بين منتقد حيث لم يعتد تطبيق الامور الشرعية ، وبين مشجع فاهم لأمور دينه

(١) حرملاء : بلدة تقع شمال الرياض إلى الغرب قليلاً
وتبعد عنها مسافة ٧٢ كيلو متراً تقريباً .

وراض عن استتباب الامن ، ووصلت الاخبار إلى الإحساء فخاف منها الأمير (سليمان بن محمد بن غرير) حاكم المنطقة فكتب إلى عثمان بن معمر حاكم العيينة أن يترك نصرة الشيخ ودعوته وأن يقتله ، وكان تابعاً له ، ويتقاضى منه مرتباً شهرياً ، وهدده أيضاً ، فطلب عثمان من الشيخ أن يغادر بلده ، فانتقل إلى الدرعية (١) ، وكان أميرها محمد بن سعود وكان الامن مستتباً فيها مما يساعد على الدعوة ، فاستقبله أميرها ، ووعد أنه يمنعه ، وكان ذلك عام ١١٥٧ هـ . وابتدأ النشاط ، وغدت الدرعية مركزاً دينياً ، ومقرّاً للنشاط ، وقاعدة للجهاد ، وسارت الجيوش في الاتجاهات كافة تنشر الدعوة وتطبق تعاليم الاسلام .

توسعت إمارة الدرعية إذ ضمت العيينة وحريملاء وبعض المناطق ، ووقعت في صدامات متكررة مع الرياض التي حملت هذا الاسم بعد أن كانت تعرف باسم (حجر) ، وكذلك مع حاكم الاحساء (عريعر بن دجين) ، وحاكم نجران ، والإمارات الصغيرة الأخرى ، وكان قائد جيوش الغزو عبدالعزيز بن محمد بن سعود .

توفي محمد بن سعود عام ١١٧٩ هـ بعد أن فرض حكمه على بلاد العارض (عدا الرياض) واكثر بلاد الخرج وحائل والوشم والمحمل وسدير .

(١) الدرعية : بلدة تقع شمال الرياض على بعد ١٠ كم منها .

تولى عبد العزيز بن محمد بن سعود حكم الدرعية، واستطاع أن يفتح الرياض عام ١١٨٧ هـ ، ثم القصيم وقد استمرت حروبه فيه من ١١٨٨-١٢٠٢ هـ ، كذلك فتح الاحساء عام ١٢٠٨ هـ ، ومكة والطائف عام ١٢١٧ هـ بعد حروب طويلة مع الشريف غالب ابن مساعد شريف مكة

كذلك غزا عبد العزيز جنوبي العراق ، ودخل كربلاء ، وهدم قبر الحسين ، وأخذ الكنوز التي كانت عند الضريح وهذا مادعا الى قدوم أحد المتعصبين من الشيعة إلى الدرعية ، وطعن عبد العزيز وهو يؤدي صلاة العصر عام ١٢١٨ هـ مما أدى إلى موته . وكان ابنه سعود قائد جيوش الدرعية في عهده .

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد توفي عام ١٢٠٦ هـ . حكم الدرعية بعد وفاة عبد العزيز بن محمد ابنه سعود، ولقب بالكبير ، وكان أول عمل قام به غزو جنوبي العراق وذلك في أواخر عام ١٢١٨ هـ ، إلا أنه قد عجز عن فتح البصرة والزيير ، ثم أعاد الغزو مرة ثانية عام ١٢٢٠ هـ ، فحاصر النجف والسماوة والبصرة والزيير ، ونال كثيراً من الاسلاب . وكرر الغزو عام ١٢٢٣ هـ ، ثم أرسل ابنه عبد الله عام ١٢٢٥ هـ .

أما من ناحية الحجاز فقد غزاها عام ١٢١٩ هـ ، وسارت إليها الجيوش من قبل عسير التي كان أميرها عبد الوهاب بن عامر (أبو نقطة) تابعا للدرعية ، ويعمل للدعوة السلفية . ثم إن شريف

مكة غالب بن مساعد قد طلب الصلح من سعود ، وتم على الشروط التالية :

- ١ - يأذن الشريف غالب للوهابيين في الحج ، وبعد أداء المناسك يتوجهون مباشرة إلى بلادهم .
- ٢ - يدخل أهل مكة وكل من كان تحت حكم الشريف في الطاعة .

٣ - يكون أمر مكة وأحكامها تحت نظر الشريف .
وقد اشترط الشريف غالب أن يعيدوا إليه (الحسينية) وأثمان ما أخذوه وأتلفوه فيها وحتى دية القتلى (١) .
وكان القتال على أطراف الشام أيضا ، وكان الحجيج الشامي قد منع من الحج منذ عام ١٢٢٠ هـ ، ثم في عام ١٢٢٥ هـ قام سعود بقارة على أطراف الشام فوصل (مزيرب) و (بصرى) ، وقد ربح في هذه الغارة كثيراً من الخير والمتاع والاثاث والطعام . وكانت المعارك في عمان ، إذ خاف سلطان مسقط السيد سلطان بن أحمد على نفسه من السعوديين فاتجه عام ١٢٠٦ هـ إلى البصرة ليتفق مع والي بغداد ممثلاً للسلطان العثماني ضد سعود ، وقد تم ذلك ، واعترف سلطان مسقط بسيادة الدولة العثمانية على ممتلكاته في الجزيرة العربية وشرقي إفريقية لقاء

١ - تاريخ البلاد العربية السعودية - الدولة السعودية الاولى
عهد سعود الكبير - منير العجلاني .

حمايته من أعدائه . . . وهذا ما أثار الحكومة الانكليزية، فقتل سلطان مسقط وهو في طريق عودته إلى بلاده . وسار والي بغداد لمحاربة نجد ولكن السعوديين سبقوه بالإغارة على العراق .
• تولى أمر مسقط بدر بن أحمد شقيق سلطان فزار في الحكم سيرا موالياً للدرعية ، وطلب حمايتها إلا أنه قتل، وقام بالأمر بعده ابن أخيه سالم ثم سعيد بن سلطان . ثم حدث قتال انتصر فيه السعوديون ، فطلبت عمان المبايعة على السمع والطاعة وأصبحت تحت ولاية السعوديين •

استنجد سعيد بن سلطان بالانكليز فأرسل سعود حملة إلى عمان عام ١٢٢٥ هـ انتصرت على خصومها • واستنجد سعيد مرة ثانية بالانكليز فلم ينجدوه ، فاتجه إلى الفرس ، وجرى القتال بين الطرفين فانتصر السعوديون • إلا أن الامر تأزم فيما بعد في عمان بين أنصار السعوديين وخصومهم ، ولم يستطع سعود إرسال التجادات حيث كانت الحملة المصرية قد نزلت على سواحل الحجاز •
كما وصلت الدعوة أيام سعود إلى تهامة فقد امتولى طامي ابن شعيب أمير عسير على تهامة ، وقاتل حمود أبو مسمار ووصل إلى الحديدة . . . كما أن إمام صنعاء المنصور وابنه المتوكل قد هادنا سعوداً واستجابا بشيء إلى الدعوة السلفية •

أما المنطقة الشرقية فقد دخلت في طاعة آل سعود عام ١٢٠٨ هـ ، ولكن أهلها كانوا يحاولون الانفصال ، فقاموا بحركة

عام ١٢١٠ هـ ، إلا أنهم قد أخضعوا ، فاتصل كبارهم الذين فقدوا السلطة بالوالي العثماني في العراق يطلبون منه المساعدة فأمدهم بجيش هزم عام ١٢١١ هـ ، فأردفه بثانٍ عام ١٢١٣ هـ فتمّ الصلح بين الطرفين ٠٠٠ ومن ثم عاد الصدام وكان غزو السعوديين لجنوبي العراق عام ١٢١٦ هـ ، وهدموا قبة قبر الحسين في كربلاء ٠

وهكذا دانت أكثر الجزيرة العربية إلى سعود ، ولم يبق منها سوى جزيرة البحرين وبعض مراكز النفوذ الانكليزي ٠٠٠

الحملة المصرية

تضايقت الدولة العثمانية من الوضع الذي آلت إليه الجزيرة العربية إذ غدت أكثرها تحت سيطرة سعود بن عبد العزيز ، وتسيّر كلها من الدرعية ، وهذا ما يضعف نفوذها ، ويقلل من شأنها ، بل ربما ادعى آل سعود الخلافة وهنا تكون الطامة الكبرى بالنسبة إليها فهم أولا من العرب ، والمسلمون يدينون للعرب أكثر مما يدينون لغيرهم حيث نزل القرآن بلغتهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم نشأ بين ظهرانيهم ، وبعث بينهم ، وهم كانوا حملة الدين الأوائل ، ورسله إلى العالم كله ٠٠٠ ومن جهة ثانية فإن الأماكن المقدسة بأيديهم ، وهي مهوى الأقدسة ، ويمكن أن ييشروا بدعوتهم بين الحجيج ، ومعنى هذا كله أن تزول الخلافة العثمانية ، وتنتهي الزعامة منهم ، وحسب السلطان أقوى من أي شيء آخر

عند الكثير من الناس وبخاصة أولئك الذين مارسوا الحكم وزاولوا
السلطة • ولكن السلطان العثماني آنذاك كان ضعيفاً بسبب كثرة
الحروب التي تخوضها جيوشه ، وكثرة الحركات داخل بلاده ، في
الوقت الذي كانت تصله كتب الأشراف في مكة والعلماء يحرضونه ،
ويستنجدون به ، ويستشيرون به الهمم ، ويغالون من أثر الحركة
السعودية ومخالفتها لأوامر الدين وما اعتاده الناس من أعمال.....
وإضافة إلى طرد الموظفين وعدم الدعاة للسلطان وحرمانه من لقب
حامي وخدام الحرمين الشريفين •

فكر السلطان العثماني بتكليف ولاية الشام والعراق في حرب
السعوديين إلا أنهم لم يقووا على ذلك ، كما أنهم لم يكونوا
جادين في ذلك خوفاً على أنفسهم وعلى أموالهم في الأعداد...
ثم كلف محمد علي باشا والي مصر المعروف بتطلعاته التوسعية
ولكنه في الوقت نفسه كان مشغولاً في التخلص من خصومه في
الداخل من مماليك وألبان وعلماء..... مما جعله يتأخروى ما ظل •
وكان السلطان العثماني يعتقد أن تكليف محمد علي فيه
فائدتان التخلص من محمد علي والتخلص من السعوديين في وقت
واحد إذ أن محمد علي عند السلطان لا يقل خطراً عن السعوديين
ولذا فضرب أحدهما بالآخر فيه مصلحة واضحة للعثمانيين •

أعطى السلطان ولاية جدة إلى محمد علي باشا ليصبح على
احتكاك مباشر مع السعوديين • وقد وصل في هذه الأثناء إلى
مركز السلطنة العثمانية محمود الثاني وكان قوياً بالنسبة لسلفه ،

وقد تخلص من الانكشاريين فشعر بنشوة الظفر ، وأراد اشغال الناس في حوادث السعودية فجدد الطلب لمحمد علي بالسير إلى الجزيرة العربية ، وكان محمد علي قد انتهى من وضعه الداخلي ...

أرسل محمد علي مندوبا خاصا له إلى الجزيرة العربية ، يدرس الأوضاع الداخلية عن كثب ، ويتعرف على نوايا الشريف غالب بن مساعد الذي صالح السعوديين ووادهم وأقر بالطاعة لهم ، ويظهر أن ذلك كان تقية . كما يتعرف على أوضاع القبائل والأهالي عامة ، وقد جاء بنية العمرة ، واتصل بكل الأطراف ، وعاد يحمل كل ما يشجع محمد علي إلى تسيير الجيوش ... إذ أبدى الشريف غالب تجاوبا كبيرا ، وأبدى الكثير من الاستعداد لمناصرة المصريين .

سارت الحملة المصرية بقيادة (أحمد طوسون) ابن محمد عني الثاني وعمره لا يزيد على السادسة عشرة من عمره ، وكان ذلك في عام ١٢٢٦ هـ من شهر شعبان . ويزيد عدد الحملة على عشرة آلاف ٨٠٠٠ من المشاة و ٢٠٠٠ من الفرسان إضافة إلى ما يتبعهم من عمال وصناع وطهاة وفنيين .

سار الفرسان مع القائد طوسون برا ، وانتقل المشاة بحرا ، وسقطت بأيديهم مدينة ينبع ومال الشريف غالب إلى الحملة ... وقدم خدماته ...

أما من جهة السعوديين فقد جهزوا جيشا قوامه خمسة عشر

الفا انضم إليه كل من أمير الطائف عثمان المضايقي ، ثم جاء أمير عسير طامي بن شعيب منضمًا إليهم أيضا ، وكان القائد العام للجيش هو عبدالله بن سعود .

سار طوسون نحو المدينة حسب نصيحة الشريف غالب . واستولى في طريقه على بدر . إلا أنه هزم بعدها في الصفراء ، ولم يتابعه السعوديون ، مما جعله يأخذ شيئا من الراحة ، وطلب النجدة التي جاءت فعلا ، وبدأ يوسع نفوذه حتى وصل إلى بدر والصفراء ثم حاصر المدينة وفتحها في نهاية عام ١٢٢٧ هـ ، ثم استولى على مكة المكرمة وجدة بالتواطؤ مع الشريف غالب عام ١٢٢٨ هـ . وقد أسر عثمان المضايقي بالقرب من الطائف وهو ختن الشريف ، غالب ، وكان عليه مع السعوديين ، وقائد جيوشهم ضده .

وجاء محمد علي باشا والي مصر إلى الحجاز في أواخر عام ١٢٢٨ هـ ليرضي السلطان ، ويشجع جنده ، ويكسب السمعة بعد دخول جنده مكة والمدينة . ووصل إلى مكة المكرمة ، وأقام فيها مدة متعبداً ، واستخدم الشريف غالبا ، ثم قبض عليه ، وأمر بنقله إلى مصر ، ثم نقل إلى سالونيك وبقي فيها حتى مات .

وعندما أراد طوسون التوسع نحو نجد عن طريق الطائف هزم في (تربة) مرتين ، كما هزم أتباعه في الحناكية قرب المدينة المنورة . وهزمت الحملة التي أرسلت إلى عسير عن طريق القنفذة . وفي جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ توفي سعود بن عبدالعزيز ، وقام بالأمر مكانه ابنه عبدالله . . .

ويمكن أن نقول هنا : إن الانكليز لم يكن ليسرهم انتصار محمد علي الذي كان أقرب إلى السياسة الفرنسية بل كانوا يخشون وجوده في الجزيرة العربية كما كانت صلتهم بالسعوديين ضعيفة مع رضى عن مقاومتهم لتوسعات محمد علي .

عبدالله بن سعود

سُرَّ محمد علي لوفاة سعود ، ووجد تبايناً في الامكانات بين بين سعود وخلفه ، فصمم على القضاء على الحركة السعودية ، فطوق عسير من الشمال والغرب وهي تتبع الدرعية ، وكان أميرها طامي بن شعيب ، فهزم المصريون أمام عسير في الجبهتين . وكان عبدالله قد شغل ببعض الحركات الداخلية فولى أخاه فيصلاً قيادة الجيوش فهزم شرقي الطائف في (بسل) هزيمة منكرة بعد قدوم مدد للجيوش المصرية على رأسه محمد علي نفسه فاستغل محمد علي هذا النصر ، وبدأ يطارد السعوديين ، ويشن حرباً لاهوادة فيها على القرى مما جعلها تستسلم لجرد اقترابه منها ، فتقدم في بلاد شهران ، وانتصر على عسير ، وأسر طامي بن شعيب خدعة ، فحمله محمد علي معه مكبلاً حتى عاد إلى مصر حيث صلبه هناك .

في هذه الاثناء كان طوسون في المدينة المنورة فتقدم أيضاً نحو الشرق ووصل إلى الرس ، واستقر في الخبر ، وجاءت جيوش

عبدالله بن سعود ، إلا أن صلحا قد تم وعرف باسم (صلح الرس) وينص على :

١ - أن تضع الحرب أوزارها بين الجانبين •

٢ - انسحاب المصريين من نجد ، ويستقل آل سعود بحكمها •

٣ - يبقى الحجاز تحت حكم محمد علي سيّره باسم
العثمانيين •

٤ - عدم اعتراض سبيل أي حاج من الجانبين •

٥ - تأمين النقل في نجد ، وبينها وبين الشام ومصر
وتركيا والحجاز •

وبموجب الصلح رحل المصريون عن نجد ، وسافر طوسون الى مصر ، إلا أن محمد علي قد رفض الصلح ، وسير حملة بقيادة ابنه الكبير (ابراهيم باشا) ، والتقى الطرفان ، فانتصر المصريون في المعركة الأولى ، في شرقي المدينة ثم دخلوا الخبرا والرس وعنيزة بعد معارك جانبية ، ثم وصلوا الى الدرعية ، ورغم دفاع أهلها المستميت عنها ، فقد اضطر عبدالله بن سعود لتسليم نفسه في ١١ ذي القعدة عام ١٢٣٣ هـ إلى ابراهيم باشا ، حيث أرسل إلى مصر ، ومنها إلى استانبول حيث أعدم هناك ، وأمر ابراهيم باشا أسرتي آل سعود وآل الشيخ بالرحيل إلى مصر إلا من اختفى منهم أو هرب • • كما هدّم مدينة الدرعية ، وقطع نخيلها ، ثم عاد إلى القاهرة فوصل إليها في صفر ١٢٣٥ هـ •

وهكذا انتهت الدولة السعودية الأولى بعد أن دامت ست
وسبعين سنة ، وحكمها أربعة حكام هم :

محمد بن سعود ١١٥٧ - ١١٧٩ هـ

عبد العزيز بن محمد بن سعود ١١٧٩ - ١٢١٨ هـ •

سعود بن عبد العزيز ١٢١٨ - ١٢٢٩ هـ

عبد الله بن سعود ١٢٢٩ - ١٢٣٣ هـ

وبزوال الدولة السعودية من الجزيرة العربية ، عادت
الامارات الصغيرة إلى الظهور في نجد مثل الرياض والخرج
وحريملاء وبريدة • وعاد إلى الاحساء كيائها ، وإلى أشرف مكة
استقلالهم ••• وخاف الانكليز من قوة محمد علي المعادية لهم
فتطلعوا إلى منطقة الخليج حيث لم تصل قوة محمد علي بعد
وكذا الجنوب •

الفصل الثاني

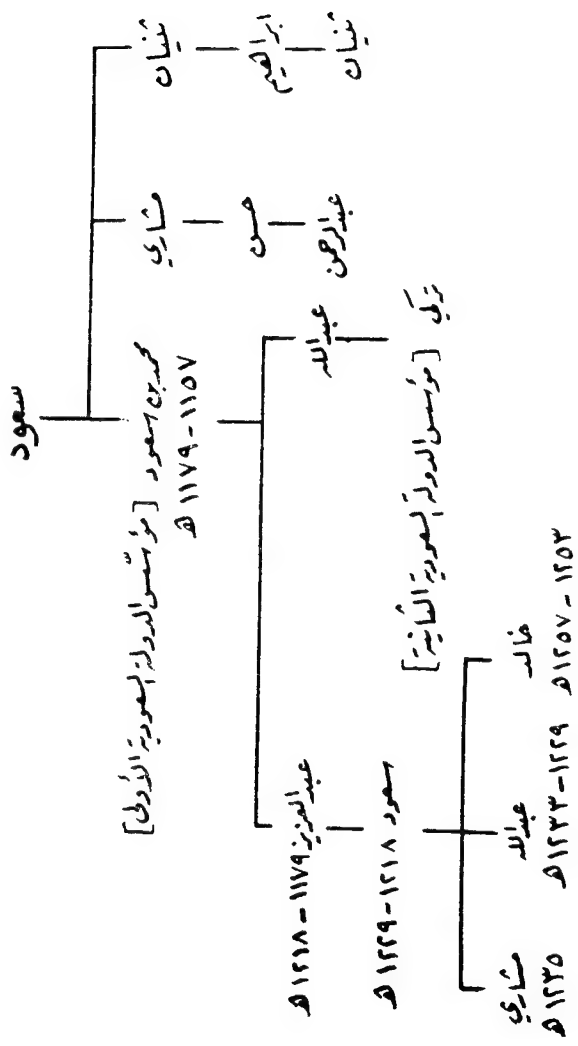
الدولة السُّعُودِيَّة الثانية

بعد رحيل ابراهيم باشا عن الدرعية انقضَّ عليها قادما من العيينة محمد بن مشاري بن معمر ، فأخذ البيعة من الكثير من البلدان عدا الرياض وحريملاء والخرج ، وحاربه أمير الاحساء ماجد بن عريعر من بني خالد ، إلا أن الصلح قد تم بينهما ... واستمر حكم ابن معمر حتى عام ١٢٣٥ هـ .

جاء مشاري بن سعود هاربا من قافلة الاسرى المتجهة إلى مصر ، وقد جمع حوله بعض أهالي القصيم والزلفي ... فتنازل له ابن معمر وبايعه ، وخذعه ، ثم كاتب العثمانيين ، وقاتل مشاري ، فاتتصر عليه وسلمه إلى العثمانيين فقتلوه ، وعاد ابن معمر إلى حكم الدرعية .

كان تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود قد لازم بالفرار إلى الخرج ، واعتصم فيها عندما سقطت الدرعية بأيدي ابراهيم باشا ، ثم حكم الرياض أيام تسلم ابن عمه مشاري حكم الدرعية ، فسار إلى الدرعية وقتل خصمه ابن معمر عام ١٢٣٦ هـ . إلا أن القوات التركية جاءت إلى الرياض واضطرتته إلى أن يترك حكمه ، فغادر الرياض عام ١٢٣٧ هـ ثم استطاع ان يعود إليها مرة ثانية ، وأن

يحكمها من جديد ، ويهزم القوات التركية ويخرجهم منها عام
١٢٤٠ هـ ثم وفد عليه أهل نجد كافة معلنين الطاعة ، كما جاءه أهل
عمان عام ١٢٤٤ ، كما أقبل أهل الاحساء بعد انتصاره على بني
خالد الذين هاجموه فبايعه أهلها ، وهكذا عادت الدولة السعودية
من جديد ، وقد أصبحت الرياض قاعدة لها بدلا من الدرعية ، كما
أن الحكم انتقل إلى أسرة عبد الله بن محمد بن سعود .



وعندما وصل خبر إقامة تركي بن عبد الله دولة سعودية في الرياض إلى أسرى آل سعود في مصر شجع ذلك بعضهم فاستطاع أحدهم وهو ابن أخته مشاري بن عبد الرحمن عام ١٢٤٢ أن يفر من السجن ، ثم تمكن الثاني وهو فيصل بن تركي بالذات أن يتخلص من السجن أيضاً وأن يصل إلى نجد عام ١٢٤٣ هـ ، وأن يكون ساعد أبيه الایمن في توطيد دعائم الدولة ، إذ قضى على كثير من الحركات التي قامت في وجه أبيه ، وبينما كان يحاصر القطيف وصل إليه خبر مقتل أبيه في ٢٩ ذي الحجة عام ١٢٤٩ هـ على يد ابن أخته مشاري بن عبد الرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود طمعاً في الحكم ، بعد أن فشل في محاولة سابقة ، ففك الحصار عن القطيف ، وعاد إلى الرياض حيث استطاع إعادة الحكم بعد أن قام عبد الله بن رشيد بقتل مشاري بن عبد الرحمن في مطلع عام ١٢٥٠ هـ ، وكان عبد الله مع فيصل في حصار القطيف ، وكذا هزاع بن عجلان ابن عيفان شيخ قبيلة الدرويش من شمر .

فيصل بن تركي

أصبح فيصل بن تركي إمام نجد منذ مطلع عام ١٢٥٠ هـ ، وليس له من منافس ، وقد قضى على خصمه مشاري ودانت له البلاد كلها ، وتغيرت سياسة محمد علي باشا إذ أصبح يريد تأسيس امبراطورية واسعة له وبخاصة بعد أن نجح في احتلال بلاد الشام على حين كان يريد من قبل توسيع مناطق نفوذه فقط . فعندما

قامت في وجهه حركات في جزيرة العرب أراد أن يخمدھا ، فقد ثار ضده شہف مكة يحيى بن سرور عام ١٢٤٤ هـ ، فاستطاع محمد علي اخماد تلك الثورة وعزل الشريف وتولية الشريف محمد ابن عبد المعين بن عون مكانه . ثم تحركت بعض القوات في جدة ، وظهرت في عسير حركة قادھا آل عائض ، وهزموا قوات محمد علي ، وأرسلوا بعض الغنائم إلى فيصل بن تركي في الرياض مودةً لخصومته للمصريين أيضا . وقامت حكومة آل سعود من جديد ، فرأى محمد علي أن يضرب بعضهم ببعض . فأرسل خالد بن سعود ^(١) مع حملة إلى نجد بعد أن أرسل « دوسري بن عبد الوهاب » ^(٢) يطلب من فيصل بن تركي الخضوع السياسي لمحمد علي فلما رفض فيصل سارت الحملة فاحتلت نجد عام ١٢٥٣ هـ ، وسار فيصل إلى الخرج ومنها إلى الاحساء ، ودخل خالد بن سعود الرياض . . . ووضع اميراً على شمر عيسى بن علي بعد أن كان عبد الله بن رشيد صديق فيصل حاكماً بها .

دخلت نجد في حكم خالد بن سعود عدا الخرج والحوطة والحريق فحاربھا، فهزم أمامھا ، وتقدم فيصل من الاحساء ، وحاصر

١ - خالد بن سعود : هو أخ لعبد الله بن سعود الذي اعدم في استانبول ، وكان امام الدرعية ، وقد قضى عليه ابراهيم باشا .
 ٢ - دوسري بن عبد الوهاب : هو ابن عبد الوهاب بن عامر امير عسير ، وكان موالياً للدعوة السلفية واحد ولائھا في عسير .

الرياض ، إلا أن نجدة جاءت إلى خالد من المصريين ، وكانت في طريقها إلى عسير عن طريق الدواسر أجبرته على فك الحصار والتوجه نحو الخرج إلا أنه هزم هناك أيضا ، فصالح خالد ، ونتيجة الصلح سيق إلى مصر . وكان خالد الحاكم ظاهراً والقائد المصري خورشيد باشا الحاكم فعلاً .

ثار عبد الله بن ثنيان بن ابراهيم بن ثنيان بن سعود على خالد وأيده الاهالي لكرههم خالداً . فهرب خالد إلى الاحساء ، ودخل عبد الله بن ثنيان إلى الرياض وانتقل خالد إلى الكويت فمكة ، وهناك مات .

كانت الظروف مواتية لابن ثنيان إذ أن جيوش محمد علي كانت قد هزمت في بلاد الشام ، واضطر إلى توقيع معاهدة لندن التي قضت أن ينحصر نفوذه في مصر ، مما دعا إلى خروج الجنود المصرية من شبه جزيرة العرب وبالتالي أصبح خالد بن سعود بلا حناة . . . فاستطاع ابن ثنيان الانتصار عليه ، وحكم الرياض حتى عام ١٢٥٩ هـ .

وجاء فيصل بن تركي من سجنه في مصر بعد أن قضى فيه ما يقرب من خمس سنوات ، فأتجه إلى حائل ، ونزل عند عبد الله ابن رشيد ثم سار نحو الرياض فحاصرها ثم فتحها وسجن ابن ثنيان الذي مات في السجن عام ١٢٥٩ هـ ، واسترد فيصل ملكه .

وفي عام ١٢٦٠ ملك الإمام فيصل الاحساء والقطيف . وبعد

ثلاثة أعوام وصل الشريف محمد بن عون الى نجد ، فلما وصل مدينة عنيزة ، صاحبه الامام فيصل ، وقدم له هدية فرجع من حيث أتى .

استطاع فيصل أن يوطد الامن ، وأن يؤسس حكومة قوية ، لها كل صفات الدولة ، وكانت أكثر جزيرة العرب تخضع له ، فنجد كلها ، والجبل كان يحكمه عبد الله بن رشيد حكماً شبه مستقل فيه مع التبعية الرسمية للامام فيصل ، أما الحجاز فكانت تتبع العثمانيين ، وقامت في عسير حكومة آل عائض وقد شملت عسير وتهامة وأكثر أرض اليمن ، وهي على وئام مع حكومة الرياض ، وترسل بعض الغنائم إليها أثناء انتصاراتها على العثمانيين حيث يجمع بين الطرفين عدو واحد ، والاحساء تبعت الرياض ، كما أن عمان كانت تدفع الزكاة للامام فيصل . . . ولم يكن هذا ليهم الانكليز مادام لهم نفوذهم في عمان فليدفع أهلها ماشاؤوا أن يدفعوا ، وهكذا امتدت الدولة السعودية الثانية من الربع الخالي جنوباً حتى النفود شمالاً ومن الحجاز وعسير غرباً حتى الخليج العربي شرقاً ، وكان الامام فيصل يظهر أحيانا التبعية الاسمية للدولة العثمانية بدفع بعض الاموال في بعض الاوقات إلا أن الانكليز لم يعترفوا على هذه التبعية وكان اتصالهم مباشرة بالسعوديين .

وقد حاولت الدولة العثمانية عام ١٢٨٠ هـ الاستعانة بالامام فيصل ضد حكومة آل عائض في عسير ، وأرسل الخديوي في مصر

إلى فيصل كتاباً ذكر فيه : « إنه لا يخفى على حضرتكم ما حلَّ بجهة اليمن من تمرد بعض الاشقياء... وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وتلك الجهة وإن لم تكن تحت حكومة هذا الطرف (يعني الخديوية) لكن بالنظر لوصلة الارتباط بالدولة العلية يجب الاجتهاد من كل طرف بقدر ما يمكن في تأديب من تعدى ... والمهم سيرسل من هذا الطرف مأمور مخصوص وعساكر تقمع هذه الفتنة ... ومن القديم مؤكد ومثبوت انتساب حضرتكم للجهة المصرية ، والقيام بقضاء ما يلزم لها من الاشغال ، وغاية المأمول أن ما يلزم إلى العساكر المرسلة من هذا الطرف من المساعدات من جهة جنابكم سواء كان في تسهيل أمورهم أو قضاء لوازمهم يشير إجراؤه بوقته وما يبرز من هممكم في هذا المقصد المستحسن» (١) ويبدو ان فيصل لم يقدم أي مساعدات تذكر لأنه كان على علاقة طيبة مع حكومة آل عائض .

توفي الامام فيصل عام ١٢٨٢ هـ وترك أربعة اولاد هم : عبد الله ومحمد وسعود وعبد الرحمن .

الفترة الاولى ١٢٥٣ - ١٢٥٠
 فيصل
 الفترة الثانية ١٢٨٢ - ١٢٥٩

والد الملك عبد العزيز	محمد	سعود	عبد الله
١٢٩٣-١٢٩١	١٢٨٩-١٢٨٨	١٢٨٩-١٢٨٨	١٢٨٩-١٢٨٨
١٣٠٩-١٣٠٧	١٢٩١-١٢٩٠	١٢٩١-١٢٩٠	١٢٩٠-١٢٨٩
			١٣٠٢-١٢٩٣
		محمد	
		١٣٠٢-١٣٠٢	

عبد الله بن فيصل

بويج عبد الله بن فيصل إماما في نجد وهو الولد الأكبر لأبيه، إلا أن أخاه سعوداً الذي كان واليا على الخرج قد ثار عليه عام ١٢٨٣ هـ ، والتجأ إلى أمير عسير محمد بن عائض ، وطلب منه المساعدة والتأييد . . . فكتب عبد الله بن فيصل إلى محمد بن عائض يطلب منه عدم مساعدة أخيه لأن ذلك يعكر صفو الصداقة، وأعلمه أن ثورة أخيه هذه لا لسبب إلا أن مراده كان قطيعة الرحم والشقاق، وفي الوقت نفسه كتب رسالة إلى أخيه سعود فيها الكثير من التودد لعله يقنعه بالعدول عن رأيه في الثورة كما وعده بتحقيق كل ما يطلب . . . وفشل سعود في تأييد آل عائض له فغادرهم متجهاً إلى قبائل (يام) في نجران حيث وجد هناك دعماً من المكرمي وآل مرة ، فجمع جمعاً واتجه نحو أخيه إلا أنه هزم وجرح ، فالتجأ إلى المنطقة الشرقية ومنها إلى البريمي . وحشد الحشود من أنصاره فانتصر على قوات أخيه الذي غادر الرياض ثم عاد إليها بعد مدة لأن سعوداً لم يدخلها قبل أن يقوى ساعده، وحاول أن يطلب العون من أمير حائل عبد الله بن رشيد الذي كانت ابنته تحت عبد الله بن فيصل ، وكذا من والي بغداد العثماني .

زحف سعود بن فيصل إلى الرياض واحتلها عام ١٢٨٨ هـ ، وفرّ أخوه عبد الله منها إلى قبائل قحطان في الجنوب ، وحاول العودة إلى مقره إلا أنه هزم ، فبدأ يفكر في مساعدة آخرين ، كان منها طلب العون من العثمانيين الذين كانوا قد احتلوا الأحساء .

ثار أهل الرياض على سعود، فعزلوه، وولوا مكانه عمه عبد الله بن تركي إلا أن أخاه عبد الله الذي كان في المنطقة الشرقية مع العثمانيين قد جاء إلى الرياض فتنازل له عمه بعد أن حكم شهرين وهكذا عاد عبد الله بن فيصل إماماً في الرياض ، إلا أن سعود الذي هرب إلى الخرج قد التفت حوله أعوانه فسار إلى أخيه وانتصر عليه عام ١٢٩٠ ، وفر عبد الله بن فيصل إلى الكويت ، وعاد سعود يحكم الرياض .

حاول سعود استعادة الاحساء ، وطلب مساعدة الانكليز فلم يتدخلوا ، وأرسل إلى الترك يطلب منهم الانسحاب إلا أنهم ساعدوا أخاه عبد الله

اتفق سعود وعبد الله على مهاجمة العثمانيين إلا أنهما فشلا في ذلك .

انسحبت القوات العثمانية من الاحساء عام ١٢٩٠ هـ بسبب الامراض التي انتابتها ، وبقيت الاحساء يتولاها رؤساء محليون يتبعون رسمياً للوالي العثماني في البصرة . وثار فيها عبد الرحمن ابن فيصل وهو في طريق عودته من بغداد إلا أنه فشل .

توفي سعود في اواخر عام ١٢٩١ هـ فاختر اهل الرياض أخاه الصغير عبد الرحمن الذي كان يؤيده في اواخر حياته .

اختلف عبد الرحمن مع أولاد أخيه سعود بعد أن أيدوه في البداية ، وتمكنوا من الاستيلاء على الرياض .

اتفق أبناء فيصل وعادوا الى حكم الرياض ، وخرج منها
أبناء أخيهيم سعود ، وتولى عبد الله الامر للمرة الثالثة •

وفي عام ١٣٠٢ هـ عاد أبناء سعود فانتصروا على أبناء عمومتهم
فدخلوا الرياض • وحكم محمد بن سعود نجد • اتجه محمد بن
عبد الله بن علي بن رشيد من حائل نحو الرياض بحجة إعادة الحكم
لعبد الله بن فيصل بعد اخراجه من السجن الذي ألقاه فيه ابن أخيه
محمد ••• فاستولى على الرياض ، وترك فيها حامية بعد أن عاد ،
وجعل محمد بن سعود يحكم برأيه ورأي الحامية التي كانت برئاسة
(سالم السبهان) ••• كما حمل معه إلى حائل عبد الله وعبد الرحمن
ابني فيصل •••

سمح ابن رشيد لابني فيصل بالعودة إلى الرياض وبعد
يومين من وصولهما توفي عبد الله في ٨ ربيع الآخرة ١٣٠٧ هـ ،
وسحب ابن رشيد حاميته وأصبح الامير عبد الرحمن إماما في
الرياض إلا أن ابن رشيد عاد فأرسل حملة انتصرت على أهل
القصيم مما جعل عبد الرحمن يخرج من الرياض إلى الاحساء
فالتطيف فالكويت فقطر فالبحرين ثم سمح له أمير الكويت بالاقامة

فيها فانتقل اليها وذلك عام ١٣٠٩ هـ وأصبح آل رشيد حكام نجد.
صفا الجولال رشيد في نجد حيث كانت الكويت التي يعيش
فيها الامير عبد الرحمن بن فيصل مسرحاً للاحداث ... لم تمكنه
من استعادة نفوذه في الرياض ، كما أن آل رشيد كانوا على درجة
من القوة لا بأس بها .



الفصل الثالث

الدولة السُّعُودِيَّة الثالثة

اختلف أمراء الكويت على حكمها حيث ثار أبناء إخوة الشيخ (مبارك) عليه ، ولجئوا إلى العراق يطلبون العون من الدولة العثمانية عن طريق ولايتها ضد عمهم الشيخ (مبارك) الذي تفاهم مع الانكليز ... فأوكل الولاة أمر المساعدة إلى أمير حائل من آل الرشيد ، وكان يومذاك عبد العزيز المتعب ، فاستعد ، واستعد الشيخ مبارك ، وقبل الصراع ، استغل الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود هذا الصراع ، وأراد أن يفيد منه قبل وقوعه ، فاقترح على الشيخ مبارك الذي يحلّ عنده ضيفا ارساله بقوة يحتل بها الرياض من آل الرشيد مما يضعف قوتهم التي ستلتقي مع الشيخ مبارك ، فوافق ، وسار عبد العزيز بقوته حتى وصل إلى الرياض ، فحاصرها عام ١٣١٨ هـ ، إلا أن هزيمة الشيخ مبارك اضطرتة إلى العودة من حيث أتى ... إلا أنه عاد في العام التالي ١٣١٩ هـ ، ونجح في احتلال الرياض وقتل أميرها من قبل آل الرشيد ، وهو (عجلان بن محمد) ولم يكن مع ابن سعود سوى ستين رجلا .

استولى عبد العزيز على الوشم وسدير ١٣٢١ هـ وعلى
 عنيزة وبريده ١٣٢٢ هـ وعلى بقية القصيم ١٣٢٤ هـ بعد مقتل أمير
 حائل في المعركة (روضة المهنا) ، وقد أضله الظلام عن رايته ، ثم
 تنازل ابنه متعب بن عبدالعزيز آل الرشيد عن القصيم بالصلح
 إلا أنه قتل من قبل ابن عمه سلطان الذي قاتل ابن سعود ...
 إلا أن أخاه سعود قد قتله ثم قام سعود بن عبد العزيز المتعب فقتل
 سعود بن حمود ثم عقد صلح بين الطرفين ١٣٣٧ هـ . ثم جدد
 القتال عام ١٣٣٨ هـ وقتل ابن رشيد ابن عمه الذي قتل وتولى
 الامارة عبد الله بن متعب الذي دخل في حرب طويلة مع ابن سعود
 انتهت باستسلام ابن رشيد عندما فر أمام ابن عمه محمد بن طلال
 آل الرشيد الذي حارب ابن سعود واضطر إلى الاستسلام عام
 ١٣٤٠ هـ .

كما أنه استولى على الاحساء عام ١٣٣١ هـ عندما ضعفت
 الدولة العثمانية بعد حروب البلقان .

وكذلك فقد اصطدم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود
 مع شريف مكة الحسين بن علي الذي ثار على الاتراك واستولى
 على المدينة ، وأخذ معدات القوات التركية منها ، وشعر بالقوة بعد
 هزيمة الترك ووجود أولاده في الاردن والعراق ، وتلقب باسم
 ملك العرب ...

هزم الشريف حسين في (تربة) ثم دخل السعوديون الطائف

١٣٤٣ هـ ، وفي العام نفسه دخلوا مكة بعد انسحاب الملك علي بن الحسين إلى جدة بعد سفر أبيه الذي تنازل له عن الملك ٠٠٠ ثم جدة والمدينة عام ١٣٤٤ هـ بعد حصار دام ما يقرب من عام لكلتا المدينتين ، وتنازل الملك علي عن الحجاز، وسافر الى العراق حيث أقام عند أخيه فيصل ، وانتهى حكم الاشراف .

وارسل السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حملة بإمرة الأمير عبد العزيز بن مساعد إلى عسير عام ١٣٣٨ هـ ٠٠٠ وخرج آل عائض من قلعتهم أبها لمواجهة ابن مساعد، ومما أضعف مركزهم ابقاء قسم من جيشهم في الغرب لمواجهة الادريسي فدارت عليهم الدائرة ، ودخل ابن مساعد مدينة ابها ٠٠٠ ونقل حسن بن علي آل عائض وابني عمه عبد الرحمن وهما محمد وعبد الله إلى الرياض ، ثم سمح لهم بالعودة إلى عسير على ان تكون تابعة اسماً لنجد ٠٠٠ ولكن آل عائض شعروا أن الاحترام لهم غير موجود من قبل الحامية النجدية فانتفضوا من جديد ، وتحصن الامير حسن آل عائض في حرملة ، واحاطت القبائل بأبها بقيادة محمد بن عبد الرحمن آل عائض ، ثم نزل الامير حسن لقيادة المعركة ، وجرى الصلح على خروج الحامية السعودية من عسير ٠٠ وجاءت حملة إلا أنها هزمت ٠٠٠

ثم تقدم جيش كثيف من نجد بقيادة الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، وجرت معركة في (حجلة) عام ١٣٤٠ هـ ، دخل

إثرها الامير فيصل أبها وتحصن الامير حسن آل عائض في
(حرمة) إلا أنه فر أخيرا بعد قدوم قوة سعودية إلى حرمة .
ووصلت قوة حجازية من الشريف حسين لمساعدة آل عائض إلى
أبها وحاصرتها ، واحتمت الحامية السعودية في قلعتها وكادت
تستسلم إلا أن حملة سعودية وصلت إليها ، وكان قد انسحب
الجيش الحجازي إلى الطائف لمساعدة بقية القوات هناك ، وانسحب
آل عائض إلى حرمة . ثم جرى الصلح ونزل الامير عائض من
حصنه حيث أرسل إلى الرياض عام ١٣٤١ هـ ، وبقي فيها حتى وافاه
الاجل عام ١٥٣٧ هـ (١) . وهكذا أصبحت عسير جزءاً من
المملكة العربية السعودية .

كما ضم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود منطقة
تهامة التي كان الادارة قد استقلوا فيها عن الدولة العثمانية ،
وتحالفوا مع الطليان ، ثم مع الانكليز حيث عقدت بين الطرفين
عام ١٣٣٣ هـ معاهدة صداقة ثم جددت بعد عامين . وكان
مركز المنطقة (صبيا) قاعدة محمد علي الادريسي الذي توفي عام
١٣٤١ هـ ، وتولى مكانه ابنه (علي) الذي كان ضعيفا إذ مهد
ذلك لاستيلاء إمام صنعاء على الأجزاء الجنوبية من تهامة .
ثار سكان تهامة على (علي الادريسي) فالتجأ إلى آل سعود

(١) يرجع إلى كتابنا الاول من شبه جزيرة العرب ، نشر
المكتب الاسلامي .

في نجد ، وأقام في الرياض ، وبويع عمه الحسن ، فاوض الحسن
انكلترا ، وأعطاه حق التنقيب عن البترول في جزر فرسان ، كما
فاوض ايطاليا ثم إمام اليمن ، والسعوديين ، ونجحت سفارته إلى
آل سعود عام ١٣٤٥ هـ ، وضمت تهامة بعد ذلك إلى المملكة
العربية السعودية .



المملكة العربية السعودية (١)

عندما دخل الأمير عبد العزيز الرياض عام ١٣١٩ هـ بويع أميراً على نجد ، ولكن عندما دخل حائل عام ١٣٤٠ هـ بويع سلطاناً على نجد وملحقاته ، ولما دخل الحجاز ١٣٤٤ هـ صار لقبه « ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاته » ، ثم صدر مرسوم ملكي في ٢٥ رجب ١٣٤٥ بتغيير اللقب فأصبح « ملك الحجاز ونجد وملحقاته » ، وأخيراً في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ أصبح اللقب « ملك المملكة العربية السعودية » واستقر على ذلك .

أسس الملك عبدالعزيز جماعة اسمها « الاخوان » وتضم المتدينين من رجال البادية « الذين استقروا في الهجر التي أسسها لهم ، وقد كانت هذه الجماعة جيشاً تسيطر عليه الروح المعنوية العالية بسبب الايمان الذي يدفع الفرد منهم الى الاستشهاد في سبيل الله من أجل نشر الدعوة الاسلامية وقد تحمسوا فعلاً لنشر الدين والاحذ على أيدي الخارجين عليه وغير المطبقين لاحكامه وقد أفاد منهم ابن سعود فائدة جلى في قتاله مع خصومه ، وتضحياتهم في سبيل تطبيق الشريعة فلما وصلت المملكة إلى حدودها الحالية تقريباً وقع الخلاف بينهم وبين ابن سعود وقد اتقل حماسهم للعمل ضده إذ أخذوا عليه مأخذ منها : عمله من أجل

(١) سنفرد لها بحثاً في كتيب خاص - إن شاء الله - بعد الانتهاء من الحجاز والبحرين .

الملك ... وتقليد الغرب في استعمال المخترعات الحديثة ...
والاتفاق مع الانكليز ... وعدم الاستمرار في نشر الدعوة إشارة
إلى الاتفاق مع من لا يرضون عنه ... وأخذ عليهم هو تعصبهم في
رأيهم ، وتشددهم في التطبيق ، وعدم معرفتهم مجريات الأحداث بل
وحتى مصالحهم ...

ونشط الخلاف ، ودارت المعارك بين الطرفين بعد مؤتمر عام
في الرياض تخلف عنه قادة الاخوان وهم فيصل الدويش زعيم
مطير ، وسلطان بن بجاد زعيم عتيبة ، وضيدان بن حثلين زعيم
العجمان ، وكانت أولى المعارك « السبلة » شرق (الزلفي) ١٩
شوال ١٣٤٧ هـ ، انتصر تيجتها الملك عبدالعزيز على خصومه ،
وجرح فيصل الدويش واستسلم فعفا عنه ، وأسر ابن بجاد فدخل
السجن مع بقية زعماء الاخوان و ...

ثم كانت معركة ثانية (أم رضة) ٤ ربيع الثاني ١٣٤٨ هـ ،
هزم فيها الدويش أيضا ، وتوالت الهزائم على الاخوان ، ووجد
الدويش في الكويت ، فسلمه الانكليز لابن سعود ، ومعه جاسر
ابن لامي ، ونايف بن حثلين ، وقد أحضروا على متن طائرة ،
فوضعوا في السجن مكبلين و ...

وكان مما لقيت المملكة في أول عهدها من صعوبات وجود
حزب عرف باسم (حزب الأحرار الحجازي) وكان يدعمه الامير
عبدالله بن الشريف حسين أمير الاردن ... إذ قام بالحركة (حامد
ابن سالم بن رفاة) من مشايخ قبيلة (بلى) مع بعض مشايخ

قبيلة (الحويطات) ، إلا أن المعركة عام ١٣٥١ هـ بين الطرفين قد أنهت هذه الحركة وقضت على ابن رفاة •

ومن المشكلات التي اجتازتها المملكة وهي في أول تأسيسها حركة الادراسة التي تلقت الدعم من حزب الاحرار الحجازي، إذ قام الحسن الادريسي بحركة عصيان ، إلا أن الملك عبدالعزيز أرسل لهم حملة طاردهم إلى أن اضطروا الدخول في أرض اليمن والالتجاء إلى الامام يحيى حميد الدين ... الذي طلب من الملك العفو عنهم •

وجرى خلاف على الحدود مع اليمن ، وجرت مفاوضات بين الطرفين لحل هذه المشكلة ، وأثناء المفاوضات احتل اليمنيون جيزان وما حولها ، فأرسل الملك عبدالعزيز جيشا بقيادة ابنه فيصل ، فاحتل (ميدي) و (الحديد) في محرم ١٣٥٣ هـ ، واقترب من صنعاء ، إلا أن الدول تدخلت في الأمر فتوقف القتال وعقدت معاهدة الطائف في صفر ١٣٥٣ هـ ، وقد قضت بتسليم نجران الى المملكة العربية السعودية ، وتسليم الادارسة إلى حكومة الرياض ، وتعيين الحدود الحالية بين الدولتين •

وهكذا قامت المملكة العربية السعودية وثبتت أمام الاهواء التي كادت تعصف بها •

وقبل أن تنتهي من هذا الموضوع لابد من القاء لمحة «خاطفة» عن بعض الامارات التي قامت في جزيرة العرب ، وعاصرت قيام المملكة ، وكانت لها معها بعض المواقف •

شرافة مكة

ذكرنا فيما سبق أن الاخضرين حكموا مكة المكرمة ،
وزال حكمهم بفتنة القرامطة عام ٣٥٠ هـ ، ثم آل حكم الحجاز
إلى آل موسى ، واستمروا حتى عام ٤٥٣ هـ ، حيث خلفهم
بنو هاشم « بنو فليته » ، ودام أمرهم حتى عام ٥٩٨ هـ ، إذ جاء
أمير (ينبع) أبو عزيز قتادة وحكم مكة ، وأسس أسرة استمرت
في حكم الحجاز حتى عام ١٣٤٤ هـ ، وكان آخرها الشريف حسين
ابن علي وابنه علي ، وكانت الأسر جميعها تنتسب إلى الامام علي ،
ويعرف أمراؤها باسم الاشراف .

وكان أشراف الحجاز كلهم يتبعون السلطة القوية سواء
أكانت في بغداد أيام قوة الدولة العباسية أم كانت في مصر أثناء
حكم الدويلات الانفصالية . وعندما وصل السلطان العثماني
سليم الاول إلى مصر فاتحاً ، كان الشريف مكة آنذاك « بركات »
من أسرة قتادة ، فأرسل الشريف ابنه « أبو نمي » إلى مصر ،
يقدم للسلطان سليم الطاعة ، ويسلمه دلالة على تلك الطاعة مفاتيح
الحرمين الشريفين ، فأقر السلطان الشريف في مكانه ، وأصبح
الشرفاء يرتبطون بالدولة العثمانية عن طريق ولايتها في مصر .
وكثيراً ما غزوا نجداً - كما مر معنا - .

عندما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية

في نجد ، كان شريف مكة آنذاك أحمد بن سعيد ، وكان يكره
 العثمانيين لوضع واليهم محمد أبو الذهب الذي كان قد عزله عن
 شرافة مكة وولى مكانه حسين بركات ، إلا أن أحمد هذا قد قام
 على حسين وقتله ، وتمسك لنفسه بالشرافة ، فالتقى مع الدعوة
 السعودية ، وسمح لأهل نجد بالحج عام ١١٨٣ هـ ، وطلب بعد
 عامين من الدرعية إرسال عالم يشرح الدعوة السلفية أمام علماء
 مكة . وقد تم ذلك ٠٠٠٠ ولكن بعض العلماء صعب عليهم -
 على ما يظهر - تهديم القباب لما لها في نظرهم من أثر ، مما حرك
 الأشراف فثاروا على أحمد ، وولوا مكانه ابن أخيه سرور بن
 مساعد ، الذي كان في بداية الأمر على خلاف مع السعوديين ، ثم
 حدث اتفاق بين الطرفين عام ١١٩٧ هـ ، وسمح لهم بالحج ، مما
 سمح للدعوة أن تنتشر . وتوفي سرور عام ١٢٠٢ هـ ، وخلفه أخوه
 عبد المعين بن مساعد ولكنه لم يلبث سوى يوم واحد ، اعتزل
 بعده الأمر ، وتنازل لأخيه غالب بن مساعد .

جاء غالب إلى شرافة مكة ، وكتب إلى الدرعية يطلب منها
 إرسال عالم يوضح حقيقة الدعوة السلفية ، وأظهر رضاه في بداية
 الأمر ، ثم حارب الدعوة ، ومنع الحجيج النجدي ، ووقع الصدام
 بين مكة والدرعية ، واستمر منذ ١٢٠٥ - ١٢١٢ هـ ، كان تيجته
 هزيمة الشريف غالب ، أعقبه صلح دام حتى عام ١٢١٧ هـ ، ثم
 تجدد القتال ، حتى دخل سعود الحجاز عام ١٢١٩ هـ ، وكان قد
 توفي عبد العزيز بن محمد بن سعود عام ١٢١٨ هـ .

وجاءت الجيوش المصرية إلى الحجاز أيام محمد علي باشا ،
 ومال الشريف غالب إليها ، فدخل طوسون بن محمد علي مكة
 عام ١٢٢٨ هـ ، وجاء محمد علي نفسه إلى مكة المكرمة ، وقبض
 على غالب بن مساعد ، وأرسله إلى مصر ، فعاش فيها عدة أشهر ،
 ثم أرسل إلى استانبول ، وتقي إلى سالونيك حيث ملت فيها عام
 ١٢٣١ هـ . وكان شريف مكة يحيى بن سرور ، فثار على محمد علي
 باشا في مكة ، وكانت قد دانت له الجزيرة ، وسعى محمد علي
 باشا والي مصر لدى الدولة العثمانية فعينت محمد بن عبد المعين
 ابن عون شريفاً على مكة عام ١٢٤٣ هـ ، وهو من أبناء عمومة
 الشريف غالب ، وهو جد آل عون من الشرفاء ، وقد نشأ في مصر ،
 وقاتل مع محمد علي في عسير ، واستمر في شرافته حتى عام ١٢٦٧ هـ
 حيث عزل ، وتولى مكانه عبد المطلب بن غالب الذي كان قد
 تولى شرافة مكة خمسة أشهر فقط عام ١٢٤٣ وأعيد إليها عام
 ١٢٦٧ واستمر فيها حتى أعيد إليها محمد بن عون عام ١٢٧٢ هـ ،
 واستمر فيها حتى مات عام ١٢٧٤ هـ . وكان العثمانيون قد عادوا
 إلى الحجاز تنفيذاً لمعاهدة لندن عام ١٢٥٦ هـ والتي انسحب
 المصريون بموجبها من الحجاز ، إلا أن العثمانيين في هذه المرة قد
 حددوا صلاحية الشرفاء ، وقيدوهم بالتبعية للوالي العثماني الذي
 يقيم في المدينة المنورة .

وتوالى على شرافة مكة أولاد مساعد بن سعيد وأبناء عبد

المعين بن عون . . . وفي بداية هذا القرن (الرابع عشر الهجري) كان أمير مكة (عون الرفيق) بن محمد بن عبد المعين بن عون ، فلم يحتمل تدخل ابن أخيه حسين بن علي في شؤون الامارة ، وكان قد قرب به عمه عبد الله ، فطلب نفيه وابعاده عن الحجاز ، فنقل إلى استانبول ، وجعل فيها من أعضاء مجلس « شورى الدولة » ، وأقام إلى أن توفي عمه عون الرفيق ثم عمه الثالث عبد الإله ، فعين أميراً لمكة عام ١٣٢٦ هـ فعاد إليها ، وقاتل الادريسي ، ولما قامت الحرب العالمية الأولى كان على خلاف مع موظفي الترك ، وله الطماع واسعة ، فاتفق مع الانكليز ، وحاصر الترك ١٣٣٤ هـ ، وباتهاء الحرب استولى على الحجاز كله ، وأراد الاستيلاء على نجد فهاجم تربة ١٣٣٧ هـ فهزم هزيمة منكرة ، وكان جيشه بقيادة ابنه عبد الله . ثم هزم مرة أخرى عام ١٣٤٣ هـ ، فتنازل عن الحكم لابنه علي الذي انتخب ملكاً ، ورحل الحسين من مكة إلى العقبة ومنها إلى قبرص ، ثم انتقل مريضاً إلى عمان حيث توفي عند ابنه عبد الله عام ١٣٥٠ هـ .

تابع السعوديون زحفهم نحو مكة ، فانتقل علي بن الحسين إلى جدة ، وحاصر السعوديون المدينة ١٠ أشهر ثم استسلمت عام ١٣٤٤ هـ ، وحاصروا جدة أيضاً مدة سنة كاملة ، فاستسلمت بعد اتفاق انسحب بموجبه الملك علي بن الحسين منها ، واتجه إلى العراق حيث بقي فيها بجانب أخيه فيصل ، الذي أصبح ملكاً على العراق ، حتى توفي . وهكذا انتهى عهد الاشراف في مكة ، وزال حكم هذه الأسرة بعد أن استمر ٧٤٦ عاماً .

إِمَارَةُ آلِ الرَّشِيدِ

ينتمي آل الرشيد - كما ذكرنا - إلى شمرّ التي هي من طيء التي خرجت من اليمن إثر خروج الأزد منها ، وعندما وصلوا إلى الجبل نزلوا في سُميراء وفيد في جوانب بني أسد ثم غلبوهم على أجا وسلمى ، ثم ورثوا بعض أراضيهم وأراضي تميم وغطفان وملّوا السهل والجبل ، وقد أسلمت طيء في السنة التاسعة للهجرة بعد أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه مائة وخمسون من الأنصار فهدم صنهم المسمى (الفلّثس) ، وكان بنجد تعبد طيء ، وقدم وفدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه زيد الخيل ، وهو سيدهم ، وسماه رسول الله زيد الخير ، وحسن إسلام طيء ٠٠٠٠ ولما ارتدت العرب تمسكت طيء بالاسلام ، وحاربت مع المشني بن حارثة الشيباني في العراق ، وناصرت سيدنا علي بن أبي طالب أثناء الفتنة الكبرى •

تسكن شمرّ بلاد الجبل ، تجاورهم من الشرق منازل مطير والظفير ، ومن الغرب عنزة والرولة، ومن الشمال الفضول - وقسم منهم يعيش في العراق وبلاد الشام - ومن الجنوب عتيبة •

كان أمير الجبل عند قيام الدولة السعودية الأولى (الجربا) وهو من عبدة أحد بطون شمر ، وقد هزم في إحدى معاركه ،

فأجلى وعشيرته إلى العراق ، وحلّ محله في إمارة الجبل رجل من آل علي أبناء عم آل الرشيد ، ووقع خلاف بينه وبين ابن عمه عبد الله بن علي آل رشيد وسوء تفاهم اضطر عبد الله إثرهما أن يترك الإمارة ، ويتجه نحو نجد منفياً وهناك يرافق فيصل بن تركي ... وكان الاتجاه نحو نجد وطلب المساعدة والتأييد يعد حاسماً فيما يريد الملتنجيء

استولى تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود على الرياض ولكنه لم يلبث أن قتل بيد ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود طمعاً في الإمارة ، وقام فيصل بن تركي يثار لأبيه ويطلب الإمارة ، وكان عبد الله بن علي بن رشيد شجاعاً ومؤيداً لفيصل فأسرع وقتل خصمه مشاري بن عبد الرحمن وبذا أرضى فيصلاً وحصل على تأييد منه ضد خصمه من آل علي في إمارة حائل ... كما تمكن فيما بعد من قتل ابن عمه من آل علي الذي نفاه إلى نجد ، وبهذا أسس أسرة حكمت الجبل تعرف باسم (آل الرشيد) •

كان عبد الله رجلاً عاقلاً ، وادارياً حازماً ، وشاعراً مجيداً ، قضى مدة في إمارة حائل يعمل للإمام فيصل بن تركي وكان بجانبه أخوه عبيد الذي عرف بشدة تمسكه بالفكرة السلفية ، وشجاعته في القتال وحب له ، وكان معتمد السعوديين في حائل • وادركت عبد الله الوفاة ١٢٦٥ ، وخلف بعده ثلاثة أولاد هم طلال ، ومتعب ، ومحمد •

تولى طلال بن عبد الله الإمارة بعد أبيه ، ثم اختل في أواخر حياته فاتحراً عام ١٢٨٣ هـ . وقد قيل : إنه سحر من قبل خصومه ومنافسيه .

أخذ الإمارة بعد طلال أخوه متعب بن عبد الله ، إلا أن أبناء أخيه طلال قاموا عليه وقتلوه عام ١٢٨٥ هـ وأخذوا الإمارة لهم .

تولى بندر بن طلال حكم إمارة الجبل ، إلا أنه لم يلبث أن قتل بيد عمه محمد عام ١٢٨٨ هـ ، كما أمر محمد بن عبد الله أن يقتل أبناء أخيه طلال جميعهم فذبحوا كلهم في القصر إلا بديراً فقد فر إلى البادية ، ولكن العبيد قد لحقوا به وقتلوه .

أخذ الإمارة محمد بن عبد الله وكان شجاعاً قاسياً اتفق مع آل أبي الخيل من آل مهنا من أمراء بريدة ، واكتسح نجداً ، وكانت الدولة السعودية الثانية قد انتهت ووقع الخلاف بين آل سعود ، وقد فتح الرياض عام ١٣٠٢ هـ ، وأطلق سراح عبد الله ابن فيصل من السجن وأرسله وأخاه عبد الرحمن أسرى إلى حائل وأقام سالم السبهان أميراً على الرياض .

اختلف أهل القصيم مع محمد بن عبد الله آل رشيد ، فكتبوا إلى عبد الرحمن بن فيصل آل سعود يستنصرونه وكان قد اختلف أيضاً مع سالم السبهان أمير ابن الرشيد ، فجاء ابن الرشيد وقاتل أهل القصيم وانتصر عليهم نصراً مبيناً مما جعل عبد الرحمن بن فيصل يعود إلى الرياض ، ويأخذ أهله ، ويتجه إلى المنطقة الشرقية ومنها إلى الكويت . وتوفي محمد عام ١٣١٥ هـ ولم يعقب .

تولى إمارة الجبل ابن أخيه عبد العزيز بن متعب ، فطمع بالكويت ، فاصطدم مع الشيخ مبارك الصباح ، فهزم ابن الرشيد في بداية الأمر أمام شيخ الكويت ومعه قبائل مطير والعجمان وآل مرة وعشائر العراق وأمرء بريدة من آل مهنا وأمرء عنيزة من آل سليم وذلك في القصيم ، وكان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود قد دخل الرياض ٠٠٠٠ ثم انتصر ابن الرشيد في معركة (الصريف) بالقصيم في ذي القعدة عام ١٣١٨ هـ وعادت نجد كلها إليه ٠٠٠٠ إذ أخلى عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الرياض بعد هذه المعركة، وعاد إلى الكويت .

وزحف ابن رشيد نحو الكويت مما حمل صاحبها على أن يستنجد بالحكومة البريطانية ، وطلب حمايتها ، وعندها أدرك أمير شمر أنه لا يستطيع احتلال الكويت .

جاء الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، ودخل الرياض في ستين فارساً عام ١٣١٩ هـ ، وقتل أميرها من قبل ابن الرشيد وهو ابن عجلان . وتابع ابن سعود تقدمه ، وحدثت عدة معارك بين الطرفين ، منها معركة ابن جراد ١٣٢١ هـ ، والبكيرية ١٣٢٢ هـ ، والشنافة في العام نفسه ، وكانت المعارك تدور على ابن الرشيد ، ثم قتل في (روضة مهنا) عام ١٣٢٤ هـ وهو يحرض جيشه ولم يدر أن الجيش قد هزم .

تولى إمارة شمر متعب بن عبد العزيز ، وكان مسالماً فاتفق مع عبد العزيز آل سعود ، على أن يقتصر حكمه على شمر

وملحقاتها ، ولكنه قتل من قبل أبناء عمومته أولاد حمود بن عبيد ... عام ١٣٢٤ هـ .

أخذ إمارة حائل سلطان بن حمود ، وجرت معركة (الطرفية) بينه وبين ابن سعود ، وكان مع الأول شمر وحرب ومطير ، ومع ابن سعود عتيبة وقحطان ، وهزم ابن رشيد ثم قتله أخوه سعود عام ١٣٢٦ هـ .

قام على إمرة شمر سعود بن حمود إلا أنه قتل غدرًا من قبل عبد الله بن طلال الذي قتل أيضاً ، وتولى الأمر عبد الله بن متعب ، وكان صغيراً وخشى ابن عمه محمد بن طلال ... ففر إلى الرياض إلى ابن سعود .

تولى محمد بن طلال الحكم في حائل ، وحدثت معارك بينه وبين السعوديين ، هزم خلالها ، وتحصّن في حائل ، وكان شجاعاً إلا أن الحصار أنهكه فاستسلم بعد أن رأى أن لا خيار له فيه ، إذ أن آل سبهان ، وهم من أمراء حائل أيضاً ولهم دور كبير فيها ، قد وجدوا أن البلد تعجز عن المقاومة ، وتقرب من البؤس يوماً بعد يوم ، فرغبوا في انقاذ الموقف ، وحماية السكان من جيش آل سعود فيما لو دخلوا حائل حرباً ، فعرضوا على ابن رشيد الاستسلام فأبى ، ولكن آل سبهان رأوا أن الهزيمة ستحل بهم قريباً ، فأخذتهم الشفقة على السكان الذين يرون فيهم أنهم سيكونون كبش الفداء ، ولا ناقة لهم في الحرب ولا جمل ، فاتصلوا بابن سعود ، وعرضوا عليه فتح المدينة ، وتسليمها له ، على أن

يرعى حق الله في أهلها فإن فيهم الشيخ والكبير والطفل والمريض فوافق على ذلك . وفي إحدى الليالي جاءه إبراهيم السبهان ، ودخل حائل مع فرقة من جيش ابن سعود ، وكان يأمر حماة المداخل من قبل ابن رشيد بترك أماكنهم ويحل محلهم من جماعة ابن سعود ، ولم يكن الحماة ليرتابوا في الأمر لأن إبراهيم السبهان من أمرائهم ، وكل ما اعتقدوه أن هذا العمل تبديل في الحماية للراحة ، وما أن تنفس الصبح إلا وحماة المدينة كلهم من جماعة ابن سعود ، وعندها عرض التسليم على ابن رشيد فأبى . . . فلما علم بما تم رضح للأمر الواقع . . . هذا ما يقوله آل سبهان . . . أما سكان حائل فيقولون : إن إبراهيم السبهان ابن سالم السبهان حاكم الرياض من قبل آل رشيد ، وقد أذاق أهلها مر العذاب ، فخشي ابنه إبراهيم الانتقام منه إن تمكن السعوديون من الأمر فعاجلهم بالتقرب إليهم .

ودخل السعوديون المدينة وولوا عليها إبراهيم السبهان ، وهو من حائل ومن الأسر المعروفة وكان قد ساعد آل سعود في دخول المدينة بعد أن اشتدت الوطأة عليهم وذلك عام ١٣٤٠ هـ . وبذا زالت أسرة آل الرشيد ، وقد امتازت هذه الأسرة بالشجاعة وقوة الشكيمة إلا أن القتال بين الإخوة قد أزال أكثر أفرادها ورؤساءها كما أنها عرفت بالعدل والذود عن الحياض . . . ولم يكن القتال بين الأقرباء يشترك به الأفراد والمجتمع وإنسا حصروه فيما بينهم .

إِمَارَةُ آلِ عَائِضٍ

فِي «عَسِير»

يعود «آل عائض» في أصولهم الأولى إلى «بني أمية» ، وقد خرج أحد أسلافهم من الشام بعد سقوط دولتهم وقيام بني العباس بالأمر . فقد وصل إلى عسير أحد أحفاد يزيد بن معاوية وهو الأمير : علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد . . . واستطاع أن يكون أحد الأمراء المحليين هناك ، وأن يرتفع مركزه ويعلو شأنه . ثم ثار على الخليفة العباسي الثالث خلفاء بني العباس ، إلا أنه قتل عام ١٦٩ هـ على يد الجيش العباسي الذي كان في طريقه إلى اليمن لإخماد بعض الثورات هناك ، والذي يقوده أميره على «السراة» : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن النعمان الأزدي .

ولكن التاريخ قد أغفل هذه الشخصية لكثرة الأمراء المحليين في المنطقة ، ولبعد عسير عن مسرح الأحداث آنذاك ولابتعاد آل يزيد عن الحكم منذ وفاة معاوية بن يزيد سنة ٦٤ هـ حيث آل الوضع إلى الفرع المرواني من بني أمية .

ورغم مقتل الأمير علي . . الآنف الذكر ، إلا أن آل يزيد ظلوا أمراء المنطقة بجانب إمارات أخرى ، وانقسموا إلى فرعين

أحدهما عاش في (الشعف) والآخر في (أبها) وكانوا قد تحالفوا مع بني مغيد إحدى قبائل عسير الرئيسية حتى عرفوا أنهم منهم وكادت تضيق أصولهم الأولى عند الكثير من المؤرخين .. واستمرت إمرة آل يزيد حتى العصر الحديث .

وقامت دعوة محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في نجد ، ووصل إلى الدرعية بعض أشرف آل يزيد وأخذوا الدعوة وكانوا من جملة حبلتها . إلا أن أمير عسير : محمد بن أحمد آل يزيد خشي على نفوذه في منطقته فقاوم الدعوة .. فقتل . وانتقلت الإمارة في عسير إلى آل المتحيمي الذين حملوا الدعوة ، وهم من زعماء قبيلة ربيعة رفيده العسيرية إحدى قبائل عسير أيضاً ، وتقوم منازلها شمالي مساكن بني مغيد وذلك في سنة ١٢١٥ هـ .

وخاض آل المتحيمي عدة حروب مع الجوار ، ومن أهمها ما كان ضد الأمير حمود أبي مسمار آل خيرات في (أبي عريش) من قرى تهامة ، وما كان ضد جيوش محمد علي باشا والي مصر الذي أرسل قواته لاحتلال الجزيرة العربية والقضاء على دعوة محمد بن عبد الوهاب .. وكان من أمرائهم محمد بن عامر (المتوفى سنة ١٢١٨ هـ) وأخوه عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٢٣ هـ) وابن عمه : طامي بن شعيب (المتوفى سنة ١٢٣١ هـ) وابن عمه الآخر محمد بن أحمد (المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ) وبعد ذلك سيطر المصريون والأتراك العثمانيون على عسير .

ثم ثارت عسير على المصريين بزعامة أمرائها من آل يزيد وتولى القيادة سعيد بن مسلط الذي صمد في وجه الحملات التركية ، واستقل بعسير (١٢٣٣ - ١٢٤٢) ثم جاء ابن عمه الأمير علي بن مجتل (١٢٤٢ - ١٢٤٩) الذي استطاع الاستقلال في عسير وتوسعة رقعة حكمه حتى امتدت سلطته على أطراف نجد والحجاز واليمن ودحر حملات الترك المتكررة .

وهكذا عاد الأمر إلى آل يزيد . ثم قام بالأمر بعد علي بن مجتل ، عائض بن مرعي الذي تنتسب إليه إمارة آل عائض . استطاع عائض . أن يؤسس إمارة قوية امتدت من الأحقاف والربع الخالي ووادي الدواسر وجبال يذيل شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً . ودخل ضمنها جزر : فرسان ودهلك . ووصلت من حدود منطقة الطائف وصحراء بيشة في الشمال إلى جنوب تعز . وشملت تهامة من الليث ، حتى جنوب (مخا) وهضبة اليمن . إذ تبعتها صنعاء وأب وتعز بعض الوقت . وقد عرف هؤلاء الحكام بالدين والتقوى فكانوا أئمة ، قبل أن يكونوا زعماء سياسة . وتولى الأمير عائض حتى عام ١٢٧٣ هـ .

وتولى بعده ، ابنه : محمد . وكانت حروب العثمانيين قد اشتدت على البلاد فقاومها بكل شجاعة وبسالة . وأخيراً تكاثرت عليه الضغوط وأحاطت به الجيوش فانهزم . وقتل عام ١٢٨٩ هـ وسيطر العثمانيون على عسير ، ونقلوا إلى استانبول عدداً من آل عائض ووجهاء المنطقة .

ولم تهدأ الحركات في عسير ضد العثمانيين ، فقد تولى قيادتها الأمير ناصر بن عائض الذي لم تطاله قبضة العثمانيين .. وعندما قتل .. بايع العسيريون أخاه عبد الرحمن .. وكان قد عاد من الأسر في استانبول فقاد الثورات حتى عام ١٣٠٥ هـ حيث وافته منيته .. وأصبح علي بن محمد بن عائض كبير الأسرة .. فترغم الثورة حتى قتل ..

ثم صفا الجو مدة بين آل عائض والعثمانيين ووقفوا معا ضد الإدريسي .. الذي رغب في ضم عسير إلى حكمه القائم في صيبا وما حولها من بعض أجزاء تهامة .. وانسحب الأتراك من الجزيرة ومن ضمنها عسير عام ١٣٣٧ هـ ، وتسلم آل عائض المنطقة ، وتولى الأمر حسن بن علي بن محمد بن عائض .. إلا أن أمره لم يظل حيث كانت إمارته مطمعا .. فأحكم آل سعود الخطة ضده وتحرك جيوشهم نحو عسير .. وكان بالامكان الدفاع عن المنطقة لمناعتها الطبيعية وقوة رجالها إلا أن خروجهم من حصونهم كان سببا لهزيمتهم ..

ودخل السعوديون المنطقة وضموها إلى مملكتهم التي شملت أكثر أجزاء شبه الجزيرة العربية .

ورغم قيام عدة حركات من قبل آل عائض إلا أن مصيرها كان الفشل لطبيعة النفوس التي تضعف عندما تخسر الجولة الأولى ..

وقد امتدت إمارة آل عائض كثيراً في عهد مؤسسها عائض
ابن مرعي وابنه محمد أو من عام ١٢٤٩ - ١٢٨٩ هـ وقد شملت
أجزاء من اليمن والحجاز ونجد ويمكن التعرف على حدودها من
قصيدة علي بن الحسين الحفطي التي حملت مع هدية إلى الإمام
فيصل بن تركي حاكم نجد عام ١٢٦٩ هـ إذ يقول فيها الحفطي :

وفبها رئيس « عايض ^(١) » حول وجهه

حياض المنايا صدرت كل مورد

ومر على أجزاء ظلفع ^(٢) وقف بها

قليلاً وما يغنيك عن ضرب مبعد

على ظهر قبا الكلي ^(٣) لا يريها

حفا حزن منجاة قفر منكـد

تثر الحصا بالخف كالحذف ^(٤) قبلها

وقد ضاق همّاً صدرها للتبعد

(١) عايض : هو أمير عسير وحاكم المنطقة الذي يفخر به
الشاعر .

(٢) ظلفع : موقع شمال شرقي الخرمة على حدود إمارة عسير
آنذاك .

(٣) قبا الكلي : صفة النوق الضامرة القوية والتي تكاد تبدو
كلاها لشدة ضموها .

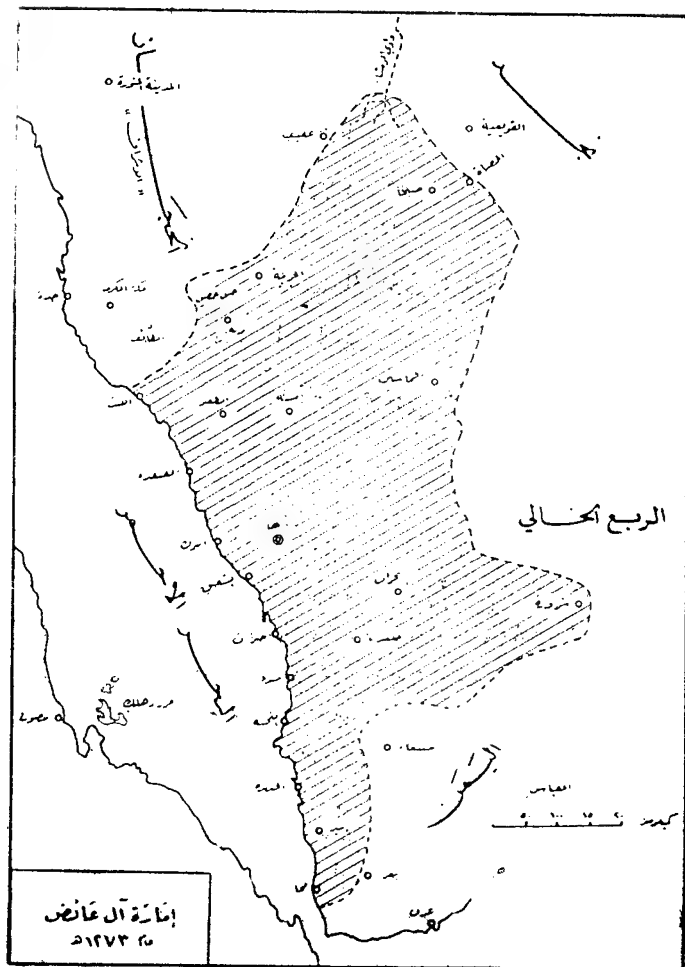
(٤) الحذف : يقصد بها تطاير الحصى من تحت خفها لسرعة
سيرها .

كما ثرّ من عين برملان^(١) وحشه
 يجفله قتّاصه بالترصد
 توسمت الوسمي^(٢) إما بكوره
 فمن نقا الدهناء سعدانها^(٣) التدي
 وأما ثوائيه فإن زال غلغنها
 فمن حضن^(٤) حتى الرشا^(٥) المهد
 تعللها منه غوادٍ فأشظّأت^(٦)
 بقول^(٧) ورمّت^(٨) زهرها ذو تطرد

-
- (١) عين برملان : موقع في وادي بيش ، جنوب غربي أبها حيث
 هناك بئر حفها علي بن مجثل أمير عسير .
 (٢) الوسمي : أشهر الخريف حيث تهطل أمطار يطلق عليها
 محلياً أمطار الوسم ، وتكون سبباً في وجود الكمأة .
 (٣) سعدانها : نبات ترعاه الإبل .
 (٤) حضن : جبل معروف شمال شرقي الطائف . .
 (٥) الرشا : واد يتجه نحو الشمال ، شرقي عفيف ، وكان
 يصل إلى الرمة ، .
 (٦) أشظّأت : انبتت .
 (٧) بقوله : نباتات بقلية .
 (٨) الرمت : نبات .

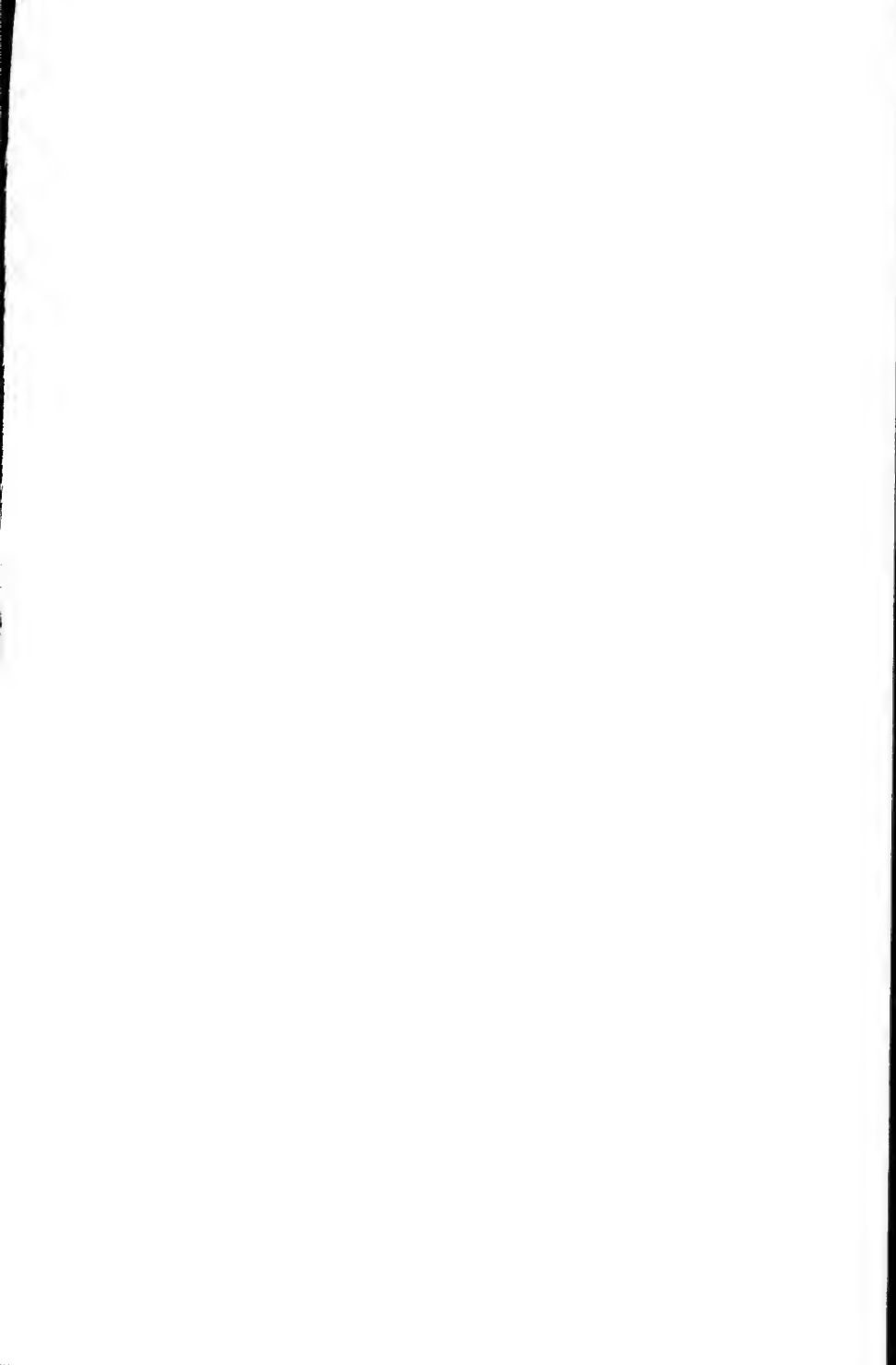
فأضحت تسامى في سنام (١) كأنها
 بخد تليع الهضب (٢) عالي التصعد
 فقل لمعد (٣) لا تغر بسرهما
 فتلقي كماء الحي جنباً بموعد
 بسمر العوالي والمواضي دونها
 ومبيض موزون الحديد المسرد
 وإما أجازتك الدخول (٤) فحوملاً (٥)
 فصبحاً (٦) فعرضاً (٧) فالسراديح (٨) فاعتد
 وسقها على نجدٍ يؤمك ليلها
 بينات نعشٍ والضحى فيه تهتدي

-
- (١) سنام : مكان قرب الروضة التي تقع غربي القويعة .
 (٢) الهضب : مكان بين وادي الدواسر ووادي انية .
 (٣) معد : هو معد بن عدنان ، وإليه تنتسب القبائل العدنانية .
 (٤) الدخول : ماء عذب معروف يقع شمالي الهضب .
 (٥) حومل : جبل قريب من الدخول في جهته الغربية الجنوبية .
 (٦) صباحا : بلدة معروفة جنوب غربي القويعة على بعد ١٠٠ كم منها ، وكانت قديماً تعرف باسم « يذبل » .
 (٧) عرضاً : يقصد عرض ابني شمام أي منطقة القويعة .
 (٨) السراديح : جمع سرداح ، وهو أرض متسعة ، إذ يطلق على مجموع تلك الأودية اسم سراديح ، وهي في المنطقة الفاصلة بين عرض ابني شمام وقرى الروضة .



الباب الخامس

مع الحياة الاجتماعية



لكل بيئة طريقة في البناء ، ولكل أمة أسلوب في الحياة ،
ولكل مجتمع عاداته وتقاليده ، وكل هذا يختلف حسب العقيدة
ومدى تطبيقها ، ويتباين حسب الوسط ، ويتميز حسب التطور
وطراز المعيشة وأسلوب العمل .

البناء : في كل مدينة بل في كل قرية من قرى نجد نلاحظ
نوعين من البناء ، طراز قديم يقوم على مادة الطين ، وهي المادة
التي تقدمها الطبيعة بسخاء ، وتكون الغرف فيها صغيرة وضيقة
حتى لا يصعب عمل السقف باتساعها إذ أن الخشب قليل ويكاد
يكفي سقف المنازل ، والنوافذ صغيرة تعتمد على الخشب القليل
وقد لا تستعمله أبداً وهو الشائع في القديم ، كما يراعى فيها
الجانب العسكري ، إذ أن المنطقة كانت تتعرض باستمرار إلى
الغارات والغزوات . وتنفذ الغرف على صحن الدار لاحتجاب
العائلة كما لا يخلو الأمر نفسه من الجانب الحربي . ولا يعلو
البناء إلى أكثر من دورين ويستفاد من الدور الثاني في عمل
أبراج تطل على الحارات لقتال المداهين إذا ما تعرضت لغزو،
إضافة إلى أبنية ومرسمات هندسية لا تزيد على المتر يمكن أن
يقاوم من خلفها الرجل ، ويتقي بها ، وتحيط سقف الدار كله
فتحجب الذين عليها من الجوار إذ تتخذ مقراً في الليل هرباً من

الحر الشديد وتخلصاً من الهواء الخانق داخل الحجرات فهي
تجد الساكن ومكان أهل الحضر •

والأزقة ضيقة ومتعرجة للعمل العسكري أيضاً ، ولا مجاري
مائية فيها لقلة الأمطار وشدة التبخر ، وقلة الاهتمام •

ويحيط بالقرية والمدينة سور لها منافذ قليلة تفتح في النهار
ووقت الرخاء ، وتغلق في الليل وأيام القتال ، وفوق هذه المنافذ
أبراج للدفاع • والأزقة غير مرصوفة لقلة الأحجار الصالحة
لذلك ، وكثرة الطين التي تغطي الأحجار بسرعة فيما لو رصفت ،
لأن البناء كما قلنا من الطين وهو من النوع اللزب ، إضافة إلى
كثرة الأتربة والغبار فالمنطقة صحراوية بالدرجة الأولى •

ووسط القرية أو المدينة يبنى المسجد ••• وهو بسيط
لاتعقيد فيه فالأذان على سقفه أو في منارة قليلة الارتفاع مبنية
من المادة نفسها التي أقيمت منها جدران المسجد وهي الطين ••••
وهذا لعدم وجود المادة التي يمكن أن تعلو فيها المنارة ، ولقصر
المنطقة في امكانية بنائها من الحجر فإن هذا يكلف كثيراً ، والفقر
في القديم أهم سمة للمنطقة ، وقد غدا هذا البناء شائعاً في نجد بل
أصبح طرازاً خاصاً ••• كما أن المسجد كثير الأعمدة لتقل معه
المساحة التي تسقف بالخشب لأن قطع الأخشاب عادة من النوع
القصير •

ولشدة البرد الجاف الذي يصل إلى العظم في فصل الشتاء
يشعر ، الانسان بوطأته فيبني مكاناً في الاسفل يقال له « الخلوة »

وتقام الصلاة فيه مدة البرد ، وبهذا الأمر يحال دون وصول البرد الشديد إلى المصلين ، أما في الصيف ، فتقام الصلاة في النهار وهي صلاة الظهر والعصر في الأعلى تحت سقف مفتوح من أحد جوانبه حتى يهوى المسجد ، إذ لو أقيم هذا الجانب ووضعت الأبواب لكان من الصعوبة بمكان المكوث فيه ولو مدة إقامة الصلاة حيث يكون الجو خائفاً لا أثر للريح ولم تكن المراوح قد عرفت ، ولا المكيفات قد وجدت . أما صلاة المغرب والعشاء والفجر فتقام في العراء وتكون فوق (الخلوة) وخلف المكان المسقوف ، والمكان هنا فسيح ، وربما صعد المصلون بعض الأيام إلى سقف المسجد حيث يكون له درج واسع يصعد عليه المصلون وذلك وقت الحر الشديد حيث يلتبس البراد . وجريان التيار الهوائي إذ يسكن الهواء تماماً ويكون الجو خائفاً في المكان السفلي .

ولما كان المسجد مفتوحاً من أحد جوانبه ، وكانت الأتربة كثيرة في مثل هذه البوادي، وكان الغبار كثيراً أيضاً مما تصعب معه نظافة المسجد ، لذا تستعمل الحصر فقط وفي أكثر الأحيان ، فهي أقل حملاً للأتربة وأسهل للنظافة مع أنه يداس عليها ولهذا تبلى بسرعة . . . وكانت إمكانية التجديد صعبة لذا عرف المسجد ببساطته ، وعدم نظافته ، وسوء مده . . .

ولما كانت المياه قليلة في هذه البيئة الصحراوية فإن دورات المياه بالأحياء بعامة وفي المساجد بخاصة غير معروفة . . . ولذا فالغريب — وقلما وجد في القديم — يصعب عليه الاستعداد للصلاة

في مثل هذا المكان ولا بد له من دخول دار صديق أو النزول عند كريم .

وأمام المسجد يقوم سوق البلد حيث يتجمع الناس وبخاصة بعد صلاة الجمعة يشترون حاجاتهم ، أو يتبادلون بعض السلع وقلما تتنوع أو يكثر عليها الطلب لقلّة الضرورة لها ، وسوء حالة أوائك السكان المادية في ذلك الوقت .

أما طراز البناء الحديث فقد أصبح إلى جانب القديم رخارجه بشكل عام ، ويعتمد على الاسمنت المسلح ، ويمتاز باتساع الغرف وكثرة النوافذ واتساعها أيضاً ، حيث زاد الثراء ، واستتب الأمن . وعم الرخاء ، واستقر السكان وأصبحت المساجد تغلق جوانبها كلها حيث وجدت المكيفات ، وزادت المراوح ، وكلها تعطي الجو المطلوب المريح كما أن النظافة أصبحت متوفرة ، ومدت الأرض بشكل مقبول كما أن بعض المساجد قد أقيمت بجانبها دورات المياه ، وإن كان هذا لا يزال قليلاً ، إلا أن نظافة القرى والمدن على حد سواء لا تزال غير متوفرة وذلك بسبب أن البناء المقام من الطين لا يزال موجوداً من القديم ، والمجاري المائية لم تنته بعد والأتربة كثيرة ، بل إن المدن وحتى الكبيرة منها فالأبنية الحديثة لا تشغل إلا جانب الشوارع وبمجرد أن تترك أبناء المجاور للشارع تدخل الأتربة القديمة وبين الأبنية الطينية ، ويمكن أن نضيف أن نهضة البلاد السريعة لا تستطيع تأمين مساكن حديثة للسكان وإهمال البيوتات غير الصحية

اللباس : اللباس في نجد بسيط لا تعقيد فيه ، وقد أنتشر حتى أصبح يعمّ المملكة العربية السعودية ، إذ يلبس الرجل ألبسة داخلية من القطن لاتتعدى القميص والسروال القصير ، وفوقها الثوب الأبيض في فصل الصيف ، والملون الصوفي في فصل الشتاء ، وقد كان قصيراً إلى ما فوق الكعب بحدود عشرة ساتمترات تطبيقاً للسنة إذ روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله لا ينظر إلى من يجر إزاره بطراً » . كما جاء عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » قال : فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرار . قال أبو ذر : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : « المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » (١) . أما الآن فقد طال الثوب حتى مس الأرض أو كاد . والرأس مغطى بطاقيه فوقها « غترة » والفترة بيضاء صيفاً ، وملونة حمراء في الشتاء وتسمى « شماخاً » . ويضع الرجل أحياناً « العقال » والأسرة السعودية جميعها تضعه ، بينما آل الشيخ لا يتخذونه أبداً . وأصبح النعل عاماً بين جميع السكان تقريباً بعد أن كان نادراً ، وهو حذاء في الشتاء ، ومكشوف في فصل الصيف ، ويسمى « صندل » وأحياناً « شبشب » إن كان من النوع البسيط ، هذا في الوقت الحالي ، أما في الماضي فكان النعل هو (الزرابول) وهو من وبر الابل ، وفي الأسفل من الجلد

(١) صحيح مسلم بتحقيق فؤاد عبد الباقي ص ١٠٢ .

ويخفف بعضه مع بعض •

كما يلبس الرجل العباءة ، ولكن يسمونها « مشلح » أو « بشت » أما كلمة عباءة فخاص بما تلبسه المرأة ، وهي من النوع الرقيق في فصل الصيف ، والصوفي السميك في فصل الشتاء ، ونستورد عادة من الشام أو من المنطقة الشرقية • وحولها شريط من القصب يختلف عرضه ، فالعريض ما يلبسه الأغنياء والوجهاء عادة والرفيع ما يتخذه الفقراء إذ يختلف « المشلح » بسعره حسب القصب • والعباءة هي اللباس الرسمي ، لذا تجد الرجل يحملها على يده مطوية أينما سار فإذا دخل إلى مكان رسمي أو عند ذي مكانة لبسها • وقديماً كانت العباءة من النوع الرديء تصنع إما من الوبر أو من الشعر أما الآن فكلها من الصوف ، ولم يبق من أثر الماضي الا عند المسنين وفي القرى والبادية •

أما المرأة فتلبس الثوب الفضفاض الذي يجز على الأرض ، ولم يبق هذا إلا عند المسنات ، وقد حل مكانه الثوب الأكثر ضيقاً ، ويسمى « المقطع » ، ويصل حتى الأرض ، وهو من النوع الجميل وتلبس فوقه العباءة التي تجز على الأرض أيضاً ، ولكن بدأت ترتفع حتى أصبحت لاتصل إلا إلى الخصر ، كما أصبحت من النوع الرقيق الذي يشف ما تحته ، كما أن « المقطع » أصبح بنصف كم •••• وقد شاع هذا كثيراً حتى عم المدن ، ولكن في القرى لم ينتشر بعد بصورة واسعة ، والرأس مغطىً بمنديل سميك لا يظهر منه أي أثر للوجه ، ولكنه بدأ يرق أيضاً • وقد يكون في المنديل السميك ، وهو ما تلبسه المسنات ، فتحات عند العيون

نرى من خلالها المرأة طريقها • كما تلبس الأحذية العادية ، وإن كانت الآن من النوع ذي الكعب العالي الذي تتمايل المرأة فيه

والمرأة النجدية مشوقة القوام ، فارهة الطول ، رفيعة الخصر تميز كالعروس في الشوارع وقد رفعت عباءتها ، وأبدت ثوبها الجميل ، وأظهرت جزءاً من أيديها إلى الكوع ، وكان اليد غير عورة • وتمايلت بحذاءها ذي الكعب العالي وتبخترت وخرجت منها الروائح الطيبة فهي كثيراً ما تستعمل الطيب والعطور ، وترجع الحواجب ، وتكثر من الكحل ، وتخضب الأيدي ، وتزيد من لبس الذهب الذي قد تنتصف منه اليد

والمرأة النجدية ذات مركز في البيت ومكانة في الأسرة رغم ما يتراءى للغريب بما يخالف ذلك ، إذ لا تجلس بجانب زوجها في السيارة بل في الخلف ولو لم يكن غيرها معه ، وحتى لو كانت السيارة مكشوفة فتركب في الخلف في أشد الأيام برداً أو أكثرها حرّاً ولا تسير بجانبه وإنما وراءه في الشارع وإذا دخلت مكاناً فيه مقاعد جلست على الأرض وتركت المقاعد فارغة ، كما أن تعدد الزوجات أمر عادي ومعروف وشائع كثيراً ولكن هذه الأمور كلها عادية وأصبحت طبيعية لا يلتفت إليها ولا تدل على شيء ، فالمرأة النجدية لها مكائنها المرموقة ، وهي صاحبة الكلمة في البيت تشتري ما يحلو لها ، وتلبس

ما يروق لها ، وتصنع ما يعجبها و

ومن الاسماء المتداولة للفتيات « حصة » و « موزي »
و « البندري » و « هيا » .

الزواج : للزواج في العالم كله احتفالات خاصة ، لما له من أمل في الإنجاب والمحافظة على الأسرة والإبقاء على النسل ، ولما فيه من مسامرة للفرحة التي فطر الله الناس عليها . ولهذه الاحتفالات أفراح فيها البهجة والسرور تتجلى على الأسرة كلها ، وعلى عموم أهل الحي ، والمعارف والأقارب كافة . وهي تختلف من مجتمع إلى آخر ، وتباين حسب العقيدة والعادات ، وتفرق حسب المستوى المعاشي ، والبيئة ، وطرز الحياة .

يتم الزواج في نجد بأن يتفق والد الشاب مع ابنه على فتاة معينة يخطبها له ، فيذهب الوالد إلى أب الفتاة ، ويفاتحه بالموضوع ، فيجاب على طلبه بالإيجاب فوراً إن كانت الصلة وثيقة بين العائلتين وكان الشاب من الذين يزوج أمثاله ، وقد يكون بالنسب مباشرة إن كان عكس ذلك ، وعلى الأغلب يرجي الوالد الإجابة للاستشارة في هذا الموضوع ، وكثيراً ما يرغب الآباء ذلك حتى لا يقال بأنه يريد التخلص من ابنته ، أو حتى لا تكون حساسيات في المستقبل إن كان يريد الرفض . والاستشارة عادة لوالدة البنت وإخوتها والأقرباء والمعارف أو من يتوقع أنهم يريدون الفتاة لأبنائهم إن كانوا ممن يفضل أن تكون لهم المصاهرة

أولاً ، وآخرين من الذين يعرفون الشاب أو لهم علاقة معه ويعرفون حياته بشكل طيب ، والسؤال غالباً عن الجانب الديني ثم عن حياته الاقتصادية والاجتماعية ، ومعرفة اهله وبيته ، لأنه - كما هو متبع - يقوم بترحيل زوجه إلى أهله . وبعد تمام المعرفة وجمع المعلومات كلها عن هذه الموضوعات ، وموافقتها لما في نفوس أهل الفتاة يجيب والد الفتاة على طلب والد الشاب . ولا تتم استشارة البنت بل يبقى الأمر خافياً عليها حتى تقابل زوجها يوم زفافها أول مرة ، ومع ان هذه العادات بدأت تتقلص وتزول إلا أنه لا يزال معمول بها في بعض مناطق نجد ، وكثيراً ما تنشأ عنها خلافات بين الزوجين . والاصل أن ينظر الرجل إلى عروسه قبل ذلك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني تزوجت امرأة من الانصار ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « هل نظرت إليها فإن في عيون الانصار شيئاً » ؟ قال : قد نظرت إليها ، قال : « على كم تزوجتها ؟ » قال : على أربع أواق ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « على أربع أواق ؟! كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل ! ما عندنا ما نعطيك ، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه » ، قال : فبعث بعثاً إلى بني عبس ، بعث ذلك الرجل فيهم (١) .

كما أن من الضروري استشارة البنت في زواجها ، فعن أبي

(١) رواه مسلم .

هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتنكح الأيم^(١) حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن » قالوا : يا رسول الله : وكيف اذنها ؟ قال : « أن تسكت »^(٢) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن في نفسها ، وإِذنها صماتها »^(٣) .

ولا يبحث في المهر لأن أمره متروك لأهل الزوج يحددونه وفق ما هو متبع في بلدهم ، فإن وافق ما في نفوس أهل الفتاة قبلوه ، وإلا أعادوه رمزاً لقلته . وأحياناً بعد أن يسلم أهل الشاب المهر إلى أهل الفتاة يفحصونه ، ومن ثم يقبلونه أو يطلبون زيادة عليه . ونوع المهر إما أن يكون مالاً فقط أو معه عيّنات أخرى من أقمشة وفرشٍ وعباءات وغيرها . ومن العادات المتبعة أن الطرفين من الأهل يقومون بعرض المهر — ويسمى جهازاً — على أقاربهما ، وبعد ذلك يقوم أهل الفتاة بتوزيع الهدايا على أقاربهم ، وإمعاناً في التخفية على البنت ، يوضع المهر في مكان خاص . ويتم تسليم المهر قبل العقد ، وبعد أن

(١) الأيم : هي المرأة لا زوج لها، صغيرة كانت أو كبيرة بكراً أو ثيباً هذا في اللغة والمراد هنا الثيب .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم أيضاً .

يقبله أهل الفتاة يتفق والد العروسين على موعدٍ يجري فيه العقد ويعقد العقد رجل متفقه في الدين من أهل البلدة وغالباً ما يكون إمام المسجد المجاور لأحد الطرفين ، فيدعو صاحب البيت الإمام إلى بيته ، ويدعو معه شاهدين ، ومن ثم يتم العقد بعد أن يستنصر الإمام عن الشروط المطلوبة من أحدهما على الآخر . وتتفاوت المدة التي تكون بين العقد والزواج حسب المصلحة أو الاتفاق فأحياناً يجري قبل مدةٍ طويلةٍ تصل إلى ثلاثة أشهر أو تزيد ، ويتم أحياناً أخرى ليلة الزفاف إذ يجري قبلها بساعات .

أما الاحتفال فيتم بأن يدعو كل من الطرفين أقاربهما لحضور حفلة الزفاف ، وتختلف طريقة الدعوة في القرية بطبيعة الحال عما هي عليه في المدينة ، ففي القرية يقف أولاد أحد الطرفين أمام باب المسجد، ويدعون كل من خرج منه . أما في المدينة فتكون الدعوة على شكل بطاقات يوزعها كل من الطرفين بحيث يحدد مكان الدعوة وزمانها .

كما يختلف مكان الحفلة أيضاً بين القرية والمدينة ، ففي القرى يكون مكان الاحتفال هو بيت الزوج بيت أهل الفتاة . أما في المدن فيستأجر مكان لإقامة الحفل ، وتكثر المحلات التي تؤجر لمثل هذه الاحتفالات في المدن ، بل اتسعت حتى شملت الفنادق التي تقام فيها حفلات للزفاف وغيره

وكذا يختلف إعداد الطعام للزفاف بين المدينة وريفها

ففي الريف يكون الحضور عادة بعد العصر لبيت أهل الفتاة

— وهو مكان الزواج — حيث يقدم الطعام المؤلف من الرز واللحم يهيئة غالباً والد الفتاة إذ يشتري جملاً وينحره ، أو عدداً من رؤوس الضأن ويذبحها ، ويهيء الرز ، ومتطلبات الحفل ، ويأمر نساءه بدعوة أهل القرية لإعداد الطعام والمشاركة في الأفراح كما يجمعون الفرش وأواني الطبخ والطعام ، وبعد الانتهاء من الأكل يتوزع المدعوون ، ومن بينهم الزوج وأهله إلى مجموعات ... كل مجموعة يدعوها أحد سكان القرية إلى بيته لتناول القهوة والشاي وتبادل الأحاديث الاجتماعية بينهم ، ويستمر ذلك حتى بعد أذان العشاء حيث يعودون ثانية إلى بيت الزوج ، ويكون قد هيء ، فيستقبلهم والد الفتاة ، وعندما يصل الزوج يمسك بيده ويذهب به إلى زوجته في غرفة خاصة توجد فيها الفتاة ووالدتها وبعض قريباتها وبعد أن يجلس الزوج قليلاً ، تخرج النسوة اللواتي عندها ، عدا امرأة واحدة تبقى قليلاً مع الفتاة ، وتسمى « البياعة » وبخاصة في القصيم ، وفي مناطق أخرى وبخاصة الرياض فتسمى « الربعية » نسبة إلى (الربعة) وهي زاوية البيت حيث كان في القديم يدخل الزوج على فتاته وقد قبع في زاوية البيت ، وقد لبست سروالاً ربط بقطعة من الحبل والتفت بعباءة غليظة ، ويحدث الصراع ، فإن ناله الزوج وطرم صرخت وصاحت فيعرف الأهل أن ابنهم قد تزوج ، وإلا كررت العملية يومياً . ومهمة هذه المرأة ملاحظة الفتاة وإحضار متطلباتها قيل أن يحضر الزوج ، وإذا حضر تدعو له فيقدم لها هدية مقابل

دعائها وعادة ماتكون مالاً وتصل الى مائتي ريال ، ومن ثم تخرج ليأتي بعدها رجل يسمى « المقهوي » ويقدم للزوج فنجاة من القهوة يقدم له الزوج هدية أيضاً تصل إلى مائة ريال تقريباً وبعد ذلك يخلو الزوج بزوجه إلى أن تشرق الشمس ، ويقدم الزوج لفتاته هدية ذهبية يضعها عادة تحت الوسادة ، وتصل قيمتها إلى ألف ريال ، وقد يضم لها مالا وساعة وهدية ذهبية وتختلف الهدية باختلاف المستوى المادي للرجل . وبعد ذلك يبقى الزوج في بيت أهل فتاته لمدة أسبوع ومن ثم يرحل إلى أهله ، ويقام حفلة « الهيل » وهي حفلة لا تقل عن حفل الزفاف ، وتأتي إليها قريبات الزوج ، كما أنهن يأتين الى الفتاة بعد يومين من الزفاف فيسلمن عليها ويقدمن لها الهدايا .

أما في المدن فتكون حفلة الزفاف بعد العشاء في البيت المستأجر ويوكل إعداد الطعام إلى أحد طباخي المدينة الذين يعدون الطعام لمثل هذه المناسبات وذلك مقابل أجر مادي . وعندما يحضر المدعوون يقدم لهم الشاي ، فإذا جاء الزوج وأخذ إلى الغرفة التي تجلس فيها فتاته ، قدم الطعام للمدعوين ، وبعد انتهاء الحفل يذهب الزوجان إلى بيت أهلها ، أو يقوم الرجل بترحيل أهله في الليلة نفسها ، وهذا مايتهم حالياً وفي أغلب الأحيان . ويعد الرجل حفلة عائلية يدعو إليها قريبات زوجته فقط وهن - غالباً - اللواتي صاحبتها في الارتحال ... ويكون الرحيل بالسيارات التي تقف عند باب بيت أهل الزوجة ، فتركب فيها النساء ، وتنطلق

بهن إلى بيت أهل الزوج حيث تكون والدته في استقبالهن وكذا قريباته ... وقد أعد مكان خاص لذلك في وسطه كرسي خاص تجلس عليه العروس ، وبجانبها « البيعة » ، وبعد استراحة ما يقارب من ساعة ، تقوم « البيعة » بالعروس إلى غرفتها الخاصة وتقدم هناك المرطبات أو الشاي ويستمر بقاء الضيوف من النساء عند أهل الزوج إلى ما يقرب من منتصف الليل ، ثم يعدن إلى بيوتهن ، وإن كن من بلدة أخرى ، فإنهن يتوزعن للمبيت على بيوت أقرباء الزوج وكذا في القرى عندما يكون الضيوف من قرية أخرى ، ينامون في البيوت التي دعوا إليها ، والتي ذكرنا أن أهل القرية جميعاً يقومون بواجبهم تجاه الضيوف واستقبالهم وإطعامهم وتأمين مبيتهم .

ويتم الزواج في سن مبكرة ، وإن كانت تقف في وجه بعضهم العوائق التي منها غلاء المهور الذي يؤخر الزواج عند كثير من الشباب وبخاصة أن أكثر المال يذهب إلى والد الفتاة دون الاستفادة منه كثيراً يضاف إلى ذلك كثرة متطلبات العصر الحديث في تأثيث البيت وإعداده من ثلاثة وغسالة ومكيف وفرن وحاجات تؤخر وتتطلب المزيد من المال . ولا ننسى تأمين السكن الذي أصبح صعباً لدرجة كبيرة بسبب نهوض البلد السريع الذي يزيد عن امكانية لحوق الحاجة بالنهضة المتزايدة باستمرار . هذا بالإضافة إلى التعليم الذي يؤخر الزواج والحالات الشاذة التي تجعل المرء لا يحتاج إلى الزواج ولا يرى حاجة ملحة عنده ، وبخاصة الأغنياء الذين يصطافون خارج البلاد .

والشائع في نجد تعدد الزوجات وهو أمر يبيحه الشرع بل وتتطلبه البلاد الآن في هذا الوقت الذي تنهض فيه الأمة وتحتاج حاجة ماسة إلى الثروة البشرية حيث تعاني من نقص السكان الشيء الكثير . ولا ترى الزوجة شيئاً في هذا التعدد لأنها تنظر إليه نظرة طبيعية لكثرة شيوعه . . . مع ملاحظة كوامن النفس التي تنظر من خلالها المرأة في أن تجد ضرة لها تشاركها زوجها .

ولا يزال من آثار الزمن تصنيف المجتمع إلى صنفين :

أ - القبلي : وهو الذي ينتمي إلى قبيلة معروفة .

٢ - الخضيرى : وهو الذي لا يعرف إلى أي قبيلة ينسب ، فقد يكون من الذين قدموا المنطقة من غيرها ، أو طردتهم القبيلة فلم تعترف عليهم لعمل تأخروا عنه أو قتال شذوا عنه هم أو بعض أجدادهم كما قد يكون من آثار العبيد . . . وعلى كل فالزواج لا يكون إلا بين القبيليين المعروفين من بينهم ، أو بين الخضيريين بعضهم من بعض ، ولا يسمح الآباء من القبيلة لأبنائهم أن يتزوجوا من الخضيريين مهما كلف الأمر . لكن الشباب لا يعترفون بهذا التقسيم بشكل واضح بعد أن انتشر الوعي وعم العلم ، وفهم الاسلام بشكل أفضل مما عرف في وقت التأخر والعزلة وسيطرة العصبية . . . فإن أكرمكم عند الله اتقاكم ولافضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . ومعروف أن سيد البشر صلى الله عليه وسلم زوج مولاه زيد بن حارثة ابنة

عمته زينب بنت جحش وهي على علو مكاتها وسمو رفعتها
وأنفقتها وجمالها ..

وعندما ينجب الزوجان يقدم أقاربهما هدية للمولود في اسبوعه
الأول تعرف باسم « رفاة » .

بينما تعرف الهدية التي تقدم للزوجين أيام العرس من الأقارب
والأصدقاء باسم « حفالة » وهناك هدية يقدمها الزوج لأم زوجته
بعد فترة قصيرة من الزواج ، وهي وقت أن ترفع الحجاب أمامه
وتظهر عليه ، ولهذه الهدية تسميات خاصة حسب مناطق نجد .

الختان : يحتفل بالختان في أكثر أرجاء العالم الاسلامي
فهو سنة قبل كل شيء ، إضافة إلى أن الذكر له أفضلية في البيئة
الزراعية والصحراوية لأنه اليد العاملة والمتحركة والقوية في هاتين
البيئتين ، وأمصاار العالم الاسلامي أكثرها تعيش فيهما أو تحيا
على مهنتي الزراعة والرعي حتى الآن .

وتختلف ، عملية الختان في القديم عما هي عليه الآن . فقد
كانت المصححات والمراكز الصحية مقبهرة على المدن الكبيرة بينما
تخلو منها القرى والتجمعات البدوية والمراكز البشرية الأخرى
إذ كانت تأتيها وسائل العلاج ومكافحة الأمراض على شكل
هيئات طبية تنتدب إليها من المدن القريبة ، وهذا لايعني أن هذه
الهيئات تقوم بأجراء عملية الختان وإنما تقتصر مهمتها على

الضروري من المداواة والاعمال الطبية التي لا يستطيع أن يقوم
بها أبناء القرية ... والختان سنة متبعة من القديم وهناك من
يقوم بها . كما أن عدم انتشار الوعي الصحي يجعل الأفراد
يظنون أن مهمة المصح إنما تقتصر على المداواة والطب فلا ينقل
المريض ولده إلى المدينة ليجري له هذه العملية ، كما يعدّ تكلفاً
مادام يستطيع أن يجريها في قريته فلماذا ينتقل به إلى المدينة ؟

وتقتصر عملية الختان على الأولاد الذكور ، وهذا شأن
أمصّر العالم الاسلامي كلها عدا مصر وبعض المناطق السودانية
من البلاد الحارة . ويختن الطفل عادة بعد بلوغه السنة الثانية من
عمره والذين يجرون عملية الختان من القرى أخذوا هذه
العملية بالوراثة أو اكتسبوها بالمعرفة والمران ، ويوضع الطفل في
طست من المعدن ، ويمسكه والده حتى لا يتحرك ، ثم يقصّ
« الختان » ثوبه من أعلاه إلى أسفله لثلاث يلامس موضع العملية
أو يحجب عنه الهواء ... وتجرى العملية بالموس ، ويوضع على
الجرح مسحوق مكوّن من القرنفل والسكر لإيقاف الدم .

وبعد إجراء العملية تأتي الاحتفالات بالختان ، فيدعو والد
الطفل الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء احتفالاً بوصول
الطفل إلى سن الختان ويسمى [الطهار] وتكون الحفلة كبيرة
بمقدار مال الولد من قيمة عند أهله إذ تعظم إن كان الأول أو الوحيد
أو رزق به بعد عدد من الإناث أو حسب المستوى المادي للرجل .

وأحياناً ينتهز الوالد مناسبة عيد الفطر المبارك ليجري لولده عملية الختان ويقوم بعمل حفلة كبيرة تشمل المناسبتين معا . ويقدم الطعام في الحفل والقهوة والشاي

أما الآن فقد اختفت تقريباً هذه العملية واختفت معها الاحتفالات التي كانت عامة وشائعة ، وأصبحت المصحات هي التي تجري هذه العملية ، وغالباً ماتكون في شهور الطفل الأولى ، والسنة المطهرة في يومه السابع . ولا تزال بعض آثار الاحتفالات موجودة وهي أن يرسل الوالد رسائل إلى الأقارب والأصدقاء يخبرهم بأجراء هذه العملية .

الطعام : لكل مجتمع طعامه الخاص اعتاد عليه وألفه ، وإن فرضته عليه بيئته إلا أنه يجد فيه ما يكفي ، ويسد به رمقه ويشبعه ، ويغنيه عن الأطعمة الثانية وتنوعها .. كما أن لكل مجتمع طريقته الخاصة في الطعام وإعداده وتناوله .

إن هذه البيئة الصحراوية قليلة الانتاج وجلّ ما فيها من النخيل ، لذا كان التمر الطعام الرئيسي ، وفيه من المواد السكرية ما يقدم الغذاء الكافي ، هذا بالإضافة إلى القليل من القمح وما يصنع الأغنياء منه من الخبز ، ويسمونه (القرصان) وبعض منتجات الحيوانات من ألبان وجبن وسمن ولحوم مع ماتقدمه الصحراء من حيوانات كالضب وغيره ، وما يوجد فيها في الربيع من (الكمأة) ويسمونه (الفقع) .

أما الآن فقد أصبح الرز هو الطعام الرئيسي لأكثر سكان نجد مضافاً إليه اللحم ، ويصنع منهما إحدى الاكلات الشعبية الشائعة ، وهي الوجبة الرئيسية التي يتناولها السكان وغالباً ماتكون الغداء، أما وجبة الفطور والعشاء فهما ثانويتان وتشملان الجبن والقشطة والزبدة والمربي مع الشاي •• والأكلات الشعبية هي :

١- الكبسة : وهي أكثرها شيوعاً لسهولة إعدادها وأسرعها نضجاً لدرجة أن أكثر سكان نجد في غالب أيامهم لا يطبخون إلا الكبسة وبخاصة رجال الأعمال أو العزّاب ، يقضون الشهور عليها ، حيث لا تأخذ من الوقت مثلما تأخذ الاكلات الأخرى ••••

وتعدّ الكبسة بالشكل التالي : توضع في القدر اللحوم والخضار والبصل والسمن والملح والبهارات ، ويصب عليها الماء ، وتوقد النار تحتها حتى تغلي ، ثم يوضع فوقها الرز بعد تنظيفه وغسله •••• ومتى نضج الرز وجف الماء ••• أصبح الطعام جاهزاً •

٢- المظاريز : ويُعجن دقيق القمح ويترك لمدة عشر دقائق مغطى •••• ثم يقلى اللحم والبصل مع قليل من البندورة بالسمن ويضاف له الملح ، وتسمى هذه العملية « التكشين » وبعد أن تنضج يضاف إليها الماء ، وتوضع على النار ، ومتى غلى الماء أضيف إلى القدر الخضار ، ثم يقطع العجين إلى قطع تعادل البلح

في حجمها وتقلبها المرأة بين كفيها حتى تنفرش ، وتصبح على شكل دائرة نصف قطرها ٢ سم ، وتضاف إلى الوعاء ، ويستمر العمل حتى ينتهي العجين ٠٠٠ والطعام على النار ٠٠٠٠ وبعد الانتهاء يستمر الطعام على النار أكثر من ساعة يصبح بعدها الطعام جاهزاً للتناول .

٣ - المرقوق : ولا تختلف هذه الوجبة عن سابقتها إلا في عمل العجينة ، حيث تقطع على شكل قطع أكبر تعادل التفاحة في حجمها ، ثم تنفرش بين الاكف والأذرع ، أو بواسطة « مرصع » وهو عود طوله ٣٠ سم ، حيث تقوم المرأة بملامسة هذا العود لقطع العجينة ، وذلك على صحن حتى تنفرش ، وتصبح على شكل دائرة نصف قطرها ١٥ سم ، ثم توضع في القدر ، وتستمر العساية حتى ينتهي العمل من العجين ، ويبقى الطعام على النار مدة تراوح بين الساعة والنصف والساعتين يصبح الطعام بعدها جاهزاً ٠٠٠٠

٤ - القرصان : تأتي المرأة عند عمل هذه الأكلة بدقيق النقمح ، وتعجنه بالماء ، وتتركه مدة حتى يتماسك العجين وعندها تقطعه على شكل كروي ، وتقلب كل قطعة بين ذراعيها حتى تتمدد وتصبح على شكل دائرة كبيرة (رغيف) ثم تضعها على (المقرصة) ، وهي أداة وضعت خصيصاً لهذه الأكلة ، وتشمل بواسطة الغاز أو الحطب ، وتبقى العجينة على المقرصة ، وتدعى في هذه المرحلة بـ (القرص) وهو رقيق جداً ، وبعد أن ينضج تضعه

في وعاء خاص ، وتستمر في هذا العمل حتى ينتهي العجين
 بينما تهيء في وعاء آخر متطلبات الطعام من لحم وخضار وبصل
 وسمن وبهارات وملح مما يحسن الطعام وتغليه ثم تأخذ
 قسماً من القرصان وقسماً مما أعدته بالتبادل حتى تنتهي من
 القسمين معاً وذلك في وعاء خاص ، ويوضع هذا الوعاء على النار
 الخفيفة حتى يتسامك في مدة تتراوح بين الساعة والساعة والنصف
 يصبح الطعام بعدها جاهزاً للتناول .

٥ - **الجريش** : يغلى الماء في وعاء ، ثم يصب فوق
 متطلبات الوجبة التي لا تتغير وهي (اللحم والبصل والبندورة
 والملح والبهارات وبعض أنواع الخضار) ومتى على الخليط جيء
 بالجريش ، وهو القمح المجروش ، الذي بين المطحون والمكسر ،
 ووضع فوقه ، ويحرك المزيج ويترك على النار الخفيفة لعدة
 ساعات ، ثم يضاف له بعد ذلك مسحوق من البندورة والبصل
 والبهارات مرة ، وهو مصبوب في الاوعية ليكسبه ما يثير الشهية
 وعندها يكون الطعام معداً وجاهزاً للأكل

ويؤكل الضب ، ويفضل لحمه ، وبخاصة ما كان أعلى
 الذيل ، وهو ذو قوة وصلابة ، يبقى يتحرك بعد ذبحه بسدة ،
 ولكن يجب أن يؤكل بسرعة لأنه يفسد ولو حفظ في الثلاجة ،
 لذا لا يحفظ لحمه ، وهو غير مخرم كما يتوهم بعضهم ، فعن
 عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن خالد بن الوليد رضي الله
 عنه أخبره انه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميمونة

زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي خالته وخالة ابن عباس .
 فوجد عندها ضباً محنوداً ، قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث
 من نجد ، فقدمت الضب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان
 قلما يُتقدَّم إليه بطعام حتى يُحدث به ويُسمَّى له ، فأهوى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يده إلى الضب ، فقالت امرأة من
 النسوة الحضور : أخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
 قدَّمْتَن له ، قلن : هو الضب يا رسول الله ، فرفع الرسول صلى
 الله عليه وسلم يده ، فقال خالد بن الوليد ، أحرام الضب يا رسول
 الله ؟ قال : « لا ولكنه لم يكن بأرض قومي ، فأجِدني أعافه »
 قال خالد : فاجتررته فاكلته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر
 فلم ينهي (١) .

ومن المؤسف له أن الطعام الذي يزيد عن الوجبة يقذف به
 على الأرض في بعض المناطق رغم وجود الفقراء ، فكثيراً ما ترى
 في الأحياء القديمة على جوانب الأبواب الطعام الزائد ملقى به ،
 وقد يكون بكميات كبيرة . . . وبخاصة أن الحفلات كثيرة ،
 ويطهى فيها الكثير ، تفضل منه الكميات الكبيرة وهذا
 ما يكثر من الروائح الكريهة والأوساخ وانتشار البعوض . . .
 ويستغرب السكان أن تقول لأحدهم : احفظ الزائد في الثلاجة
 فيجب تتعجب وهل يحفظ الرز في الثلاجة ؟ إذ أصبح إلقاء الزائد
 أمراً طبيعياً .

(١) رواه مسلم .

ولا يزال التشر يلعب دوره وبخاصة في البادية والريف كما
يقدم مادة إضافية قبل الطعام وقبل تناول القهوة •

وقد ازداد استهلاك الفواكه بشكل ملحوظ وبخاصة
البرتقال والتفاح والموز •••••

أما الأشرطة فالقهوة هي سيدتها وأولها ، وتقدم في
المناسبات وفي دوائر العمل للزائرين وتستهلك الكثير من الهيل
والقليل من البن ، ويحمص البن قليلا ، ولا يحرق كما هو الحال
في بلاد الشام • ثم هناك الشاي ، التي لا يكاد يتركها امرؤ ، وأول
ما تدخل إلى بيت زائراً أو إلى مكتب عمل سواء أكنت مراجعاً أم
زائراً فالأمر واحد تقدم لك الشاي ولا تنقطع كؤوسها من أيدي
الموظفين بل هناك مختصون في عملها وتكون الشاي خفيفة
أيضاً متوسطة الحلو ، ولا تترك حتى يقترب لونها من السواد
كما هي الحال في مصر والشام حيث جرت العادة أن تعطى وتترك
فترة من الزمن ... •••

وفي أشهر الصيف فإن المياه الغازية المحلاة (البارد) هي
الشائعة الاستعمال وترى أمام كل بقالة صناديق القوارير الفارغة
والمليئة مكدسة بعضها فوق بعض والثلاجات تكساد تفص
بقواريرها ، وبجانبيها أيضاً علب عصير الفواكه من المانجو والجوافة
والبرتقال والعنب والأناس وإن كانت لم تصل بعد إلى درجة
استهلاك (البارد) إلا أنها كثيرة الاستهلاك أيضاً وبخاصة في المدة
الأخيرة •

الأعياد : لا يوجد في الاسلام سوى عيدين هما : عيد
الفر السعيد ومدته ثلاثة أيام بدءاً من اليوم الاول من شهر
شوال ، ويكون بعد الانتهاء من صيام شهر رمضان ، وعيد
الاضحى المبارك ومدته أربعة أيام بدءاً من العاشر من ذي الحجة
حيث يكون الحجيج قد نزل من عرفة ، وما عدا ذلك فلا أعياد ،
وكل ما جدّ غيرها فهو بدعة . وهذا ما هو مطبق في المملكة العربية
السعودية وما هو معمول به في نجد منذ انتشار الدعوة
السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وتحتفل المملكة أيضاً بعيدها الوطني وهو ٢٣ أيلول من كل
عام وهو اليوم الذي تم فيه توحيد أجزاء المملكة عام ١٣٥١ هـ . . .
ولا تعطل الدوائر فيه ، وإنما تقوم تشكيلات من سلاح الجو . . .
وتتبادل الدولة التهاني مع غيرها من الدول بهذه المناسبة .

التقويم : إن المملكة العربية السعودية تكاد تكون البلد
الوحيد الذي يتخذ من الأشهر القمرية تقويماً له ، حتى أن هذه
الأشهر تعرف بالأشهر العربية ومن الطبيعي أن يجد
ساكن الصحراء في القمر أنسه ، فهو ينير الليل ، ولا يعطي
الحرارة . . . التي يفرّ منها البدوي في البيئة الحارة والليل
هو وقت الأنس والنشاط والسر والحديث لذا كان ينتظر
القمر ويعد الأيام حتى يعود بداراً ولا تزال الكلمات تتردد
على ألسنة سكان الأرياف والبادية تدل على هذا المعنى « عتسة
آخر الشهر » و « الأيام البيض » .

ومع أن العرب عندما خرجوا من جزيرتهم ، ووجدوا التقويم الشمسي مستعملاً في كل البلاد المحيطة بهم في فارس وبلاد الشام وفي فلسطين ومصر وكذا في بلاد الروم حيث الشمس هناك مطلوبة للزراعة مرغوب فيها للدفع ... حرصوا على أن يستعملوا التقويم الشمسي أو ما يسمى بالأفرنجي ، واختاروا من بين اللغات الخمس التي تطلق على الأشهر الشمسية (وهي الفارسية والسريانية والعبرية والقبطية والرومانية) اختاروا السريانية منها ، لأنها تمت بجزورها إلى الأصل العربي فكانون هو الموقد في العربية والسريانية ، وهو يدل على شهر البرد ، وكذا الأرقام الأول والثاني و وكان بدء هذا الاستعمال منذ توقفت الفتوحات الإسلامية أو بالأحرى منذ أواخر عصر بني أمية ... فنجد أبا نواس المتوفى سنة ١٩٨ هـ يقول :

مضى أيلول وارتفع الحُرور
وأخبت نارها الشّعري العُبور

ويطفح الأدب العربي بالكثير من أسماء هذه الأشهر ذات الأصل السرياني حتى أصبحت عربية أو أنها استعربت فيما إذا تركنا جذور أصولها العربية .

وليس هذا في منطقة واحدة كما يتوهم بعضهم بعمومها في الامكنة التي كانت تسود فيها السريانية في بلاد الشام وبلاد العراق فقط ولكنها في الواقع كانت قد عمت العالم الاسلامي إذ

استعربت كما قلنا ، فلننتقل إلى بلاد الأندلس لنرى القاضي عياض
المتوفى عام ٥٤٤ هـ يقول :

كأن كانوا أهدي من ملابسه
لشهر تموز أنواعاً من الحلال

وما هذا إلا على سبيل المثال واستمرت هذه الأشهر
تعم العالم الاسلامي حتى جاء الاستعمار ، فحاول فرض أسماء
الأشهر التي يستعملها فعمت وبخاصة في مصر والسودان ، ولم
يكن المستعمرون ليهتموا بالأشهر القمرية لعدم معرفتها عندهم أو
لعدم حاجتهم لها حيث تلعب الشمس الدور الاول في الزراعة
وفي الدفء وهو ما تحتاج بلادهم الباردة .

وعندما بدأت النهضة في البلاد، ظهرت الحاجة إلى علماء واداريين
وعمال وأكثر بلدٍ يمكن أن تقدم ذلك في البلاد العربية إنما هي
مصر فانتشر استعمال هذه الأشهر وإن أصبح في
الآونة الأخيرة استعمال اللغتين معاً في كثير من الأحيان ، وهذا
ما تحرص عليه الاذاعات الأجنبية أيضاً حتى يمكن معرفة الخبر
بشكل جيد .

هذا ومن الضروري للمحافظة على لغتنا وللاحتفاظ
بتخصيتنا أن نستعمل ما استعمل أسلافنا من أسماء الأشهر
الشسية وإن كانت الرومانية قد أصبحت عالمية
وبالنسبة إلى العام الهجري فإنه يتبدى من أول محرم

حسبما سار عليه الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
 رغم أن الهجرة قد تمت في شهر ربيع الأول ويظهر أن
 سيدنا عمر رضي الله عنه قد اعتد على بداية الشهر الذي أعقب
 بيعة العقبة التي تعدّ بدء التفكير بالهجرة والانطلاق نحو المدينة
 المنورة ومن المعلوم أن البيعة تمت في موسم الحج وهو شهر ذي
 الحجة وبداية الشهر القمري الذي يلي ذلك إنما هو المحرم
 فعده بدءاً للتاريخ

وكذا بالنسبة إلى التوقيت فلا يزال أكثر من نصف السكان
 في المملكة العربية السعودية يستعملون التوقيت الغروبي وهذا
 أمر طبيعي إذ أنه يتوافق مع التقويم القمري . فالقمر يولد هلالاً
 في بداية الشهر ويظهر وقت الغروب ومن هنا كان التوقيت الغروبي
 الذي يعدّ الساعة /١٢/ وقت اذان المغرب وعندها يبدأ
 يوم جديد ، وهذا فالتوقيت الغروبي يعدّ المغرب مولد يوم
 جديد . بينما يتوافق التوقيت الزوالي مع التقويم الشمسي إذ
 يعدّ الزوال وهو عندما تكون الشمس وسط قبة السماء ، ولما كان
 هذا في منتصف النهار لذا عدّ مولد اليوم الجديد بعد مرور
 /١٢/ ساعة أي في منتصف الليل .

وهذا ما كان سائداً لدى سكان الجزيرة العربية من القديم
 بوقت ظهور الاسلام لذا فالمسلمون بعامة يعدّون التقويم
 القمري ، ويسمونه عربياً ، والتوقيت الغروبي ، ويدعونه عربياً
 أيضاً ، محافظة على شخصيتهم ، ومن السنة أيضاً ، ولما كانت

المملكة العربية السعودية قد قامت على هذه الفكرة فهي لاتزال تحتفظ بهذا ، وإن كان التوقيت الزوالي قد بدأ يعم ، وتعتمد عليه الدوائر الحكومية في نظام دوامها .

اللهجة : نجد منطقة داخلية قليلة الاتصال بالعالم الخارجي وبخاصة في القديم لذا فالمحافظة على لغتها ولهجتها أمر طبيعي ، وتعيش في نجد قبائل عربية أصيلة ومن هنا كانت العربية الأصيلة إن كنا نريد أن نفتش عليها فإنما يجب أن نذهب إلى نجد . ولكن هناك سرعة في النطق مع حذف بعض الاحرف أحيانا حتى صعب على السامع الغريب فهم هذه اللغة فعلى سبيل المثال لا الحصر كلمة « نبغي » تلفظ « نبي » مع كسر النون لأن لفظ الحرف بعد الساكن لا بد من وضوحه وبخاصة الغين التي هي من حروف الإظهار وهذا ما يؤخر اللفظ ، واللهجة البدوية سريعة ، كما ذكرنا ، مما يجعلها تحذف حرف « الغين » .

إلا أن اللهجة في نجد قد دخلتها كلمات عديدة من المناطق المجاورة ، ففي الغرب منطقة الحجاز حيث الأماكن المقدسة ، ويأتيها الحجاج من كل حذب وصوب ، ولهم لغاتهم المتباينة حسب البلاد التي جئوا منها ، فتأثر السكان بها ووصل بعض هذا الأثر إلى نجد والمنطقة الشرقية تعاقب عليها وافدون كثيرون من إيرانيين وبرتغاليين وانكليز وكل يترك بعض الأثر ومن ثم يصل بعضه إلى المناطق الداخلية في نجد وأكثر ما كان الأثر من إيران فالكلمات الشائعة « بيالة » وتعني كأس

الشيء و « البزوره » ويقصد بها الأولاد وهما كلمتان فارسيستان ..
ومن جهة ثانية انتشر التعليم وقدم المعلمون الغرباء
إلى المنطقة وبخاصة من مصر ... فعمت بعض الكلمات المستعملة
في مصر ، ويعود بعضها إلى أصل تركي حيث حكمت أسرة محمد
علي مصر مدة طويلة من الزمن ، وتعود إلى أصل تركي ، أقام
أسلافهم في البانيا ، والالبان يسميهم الاتراك « ارناؤوط »
كما كان للاتراك أثر مباشر على نجد وإن كان ضعيفا ...
ومن الكلمات التركية التي جاءت عن طريق المصريين « طابور »
ويقصد بها الصف على شكل رتل و « ابلة » ويقصد بها المعلمة
و « صفا » بمعنى انتباه و

ومن الكلمات الانكليزية التي جاءت عن طريق المصريين
أسماء الأشهر الشمسية وهي انكليزية مع تحريف بسيط مثل
(يناير) ويقصد بها كانون الثاني ، و (فبراير) ويقصد بها شباط ،
وهما معرفتان عن الانكليزية (January) (February)
وهكذا بقية أسماء الأشهر إضافة إلى الأشياء ذات الصبغة العلمية
وبخاصة في مادة الكيمياء . مثل حمض كلور الماء ويطلقون عليه
(حمض هيدروكلوريك) ، وملح الطعام كلور الصوديوم يسمونه
(كلوريد الصوديوم) ، وماءات الكالسيوم يسمونها (هيدرو
كسيد الكالسيوم) ويضيفون (FC) بدلا من ياء النسبة
فيقولون حمض الكبريتيك بدلا من حمض الكبريتي وهكذا ...

حسب الاصطلاحات الأجنبية التي لا أثر للتعريب فيها ، إذ أن هذه المواد تدرس في مصر باللغة الانكليزية

كما يجب ألا تنسى أن بعض الكلمات الانكليزية قد دخلت مباشرة بسبب النظرة التي ينظرها عادة الضعيف إلى القوي فنجد كلمة (go) شائعة بدلاً من (اذهب) فإذا أراد أحدهم أن يقول لصاحبه : اذهب معي ، يقول له كو معي وهكذا

النظرة إلى الغريب :

جاءت نظرة أهل نجد إلى الغريب من خلال الحياة التي عاشوها والظروف التي مرت بهم ، والفكرة التي اعتقدوا بها .
والامور التي لاحظوها من الغرباء .

إن البدوي الذي يعيش في بيئاته الواسعة متنقلاً ينظر إلى الغريب دائماً نظرة شكٍ وريب ، فلا يصل إليه إلا من كان يريد أن يتعرف على أوضاعه ليدهمه في مراعيه أو يجلس عليه لينقل أخباره إلى أولئك الذين يريدون أن يغيروا عليه أو يغزوه في غفر داره فهو في مكان قاس لا يستطيع أن يحيا فيه كل إنسان ...
ومن هنا كانت طباء جلقة ، وكان مزاجه صلباً ، وتفكيره غير بعيد لا ينظر إلا إلى الساعة التي يعيشها . أما إذا اطمأن إلى الغريب وعرف وضعه ، وقدر ظروفه ، فإنه يؤويه ، ويدود عنه ويحميه ويكرمه ، وقد عرف الكرم في البادية إلى من يطمئن أهلها إليه ، وعرفوا بالبخل لمن لم يعرفوه .

وإن ظروف نجد التي مرت عليها والتي كانت مركزاً للاغارة

عليها تارة من جهة الغرب من الحجاز وأشرافه ، وأخرى من المنطقة الشرقية وحكامها ، ومرة ثالثة من القبائل التي تحيط بها . وأحياناً من حكام مصر أيام محمد علي . وأحياناً أخرى من قبل العثمانيين عن طريق ولايتهم في العراق وهذا مازاد نظرتهم إلى الغريب رية ، فكل غريب يرون أنه يريد أن يخضعهم ويسيطر على بلادهم ، والبدوي يأبى الخضوع ، ويكره أن يسيطر عليه أحد ، ويسقت فرض الحكم عليه .

وقامت بين ظهرائهم الدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وحصلهم عليها آل سعود . فاقتنعوا بها . وحللوها ، ونظروا إلى ماضيهم القريب ، وما كانوا عليه من خرافات وبدع ، والتفتوا إلى المسلمين حولهم ، وكل ما حولهم من المسلمين ، فرأوا وضعهم يشبه الماضي الذي كانوا هم عليه ، فاعتقدوا أنهم — وحدهم — على حق ، وغيرهم على الباطل ، وأنهم وحدهم — أهل توحيد ، وغيرهم يعيئون على البدع والخرافات التي تصل بهم إلى حد الشرك أحياناً ، وهذا مازاد نظرتهم إلى الغريب سوءاً ، فعندما يذهبون إلى الحج ، يرون هناك ما يرون من أعمال بعض المسلمين الذين وصل إليهم الإسلام حديثاً ولم يصل إلى جوارحهم ولم يمس شفاف قلوبهم .. أو بقيت عاداتهم كما كانت لم يشذبها الايمان ... لذا ظنوا أن الناس قسمان : أهل توحيد وهم أهل منطقتهم ، وأهل شرك وهم كل ما عداهم ... لذا فعندما يعودون من الحجاز ، ويقطعون

جبال السراة وتبدو أمامهم نجد يقولون : الحمد لله الذي قدر
عودتنا إلى ديرة التوحيد ... ولم يبق لهذا أثره إلا عند المسنين
فقد انتشر التعليم ، وعرفت المناطق وانتشار المسلمين فيها ، واصبح
كل شيء واضحاً لدى الجميع .

وانتشر التعليم ... وبلادهم متخلفة وقامت النهضة في
المنطقة وبقاعهم متأخرة فاستقدمت الدولة الاساتذة والخبراء
من كل مكان من ديار المسلمين ومن غيرها ولاحظ السكان
أن القادمين يتشابهون من حيث العادات ويتفوقون في كثير من
الامور مثل اللباس وسفور المرأة وتهتكها في الشوارع والاسواق
فتعروا مرة أخرى بالفارق فكان الناس عندهم قسمين :
سعوديون وأجانب لافرق في ذلك بين مسلم وأوربي ما دام
التشابه بينهما قائماً والعادات — كما ذكرنا — تنبع من العقيدة قبل
كل شيء بل زاد الامر عن ذلك حتى ظنوا أن الأوربي يحمل
علماً ولا دين له ... والمسلم لا يحمل علماً ويحمل ديناً محرفاً
مشوها أقرب الى الشرك لذا كان تفضيل الأول على الثاني في
مجال العمل والمرتب تفضيلاً كبيراً ... بالإضافة الى هذا كله فقد
كان رد الفعل نتيجة الدعاية التي كانت قائمة ضد الحكم السعودي
في الاذاعات العربية وبخاصة عندما حصل خلاف بين المملكة
وبعض الدول العربية مما جعل أهل نجد يزيدون في نظرتهم
السيئة الى المسلمين خارج حدود منطقتهم ... واذا كان الغريب
مسلياً فإنهم يفسرون أعماله كلها حتى العبادات على أنها رياء

« اتفاق من أجل الافادة من المال الذي يجنيه ببقائه في بلادهم ..
 وهم يسمون الغرباء عن المملكة أجناب سواء أكانوا عرباً
 أم مسلمين أم أوربيين أم أمريكيين لافرق في ذلك ، وأحياناً
 تجمع عند العوام فيقولون « أجناب » أو يجمع الغريب فيقولون:
 « عربان » . وقد زال هذا عند أكثر الجيل من الشباب ولم يبق
 إلا عند بعض المسنين أو (الشياب) .

وتعتقد نسبة غير قليلة أن هؤلاء الأجناب إنما يأتون إلى
 المملكة بعامة ونجد بخاصة يجنون الأموال ، ويعلمون ابتناءهم
 الفساد ، وأكثر ما تظهر هذه الفكرة — مع الأسف — عند بعض
 المتدينين ، أو الذين أخذوا الدين عن عادة ولا يرون
 — مع الأسف — غضاظة في أن يدفعوا المال جزافاً إلى من
 يخالفهم فكرة أو عقيدة أو تصوراً مهما أساء وشذ ، ويضنون
 بكل قرش يدفعونه للذي يتفقون معه في كل شيء ومع هذا
 يرون أن المسلمين حريصون على المال ، ويجب أن يضحوا في حين
 أنهم لا يسألون عما يتصرفون مع خصومهم .

مشكلات نجد

تحرص الدولة على النهوض بالبلاد نهضة شاملة، وتبذل في ذلك
 قصارى جهدها ولكن لم يحالفها التوفيق دائماً وذلك لأن

عوائق تقف في وجهها ، ومشكلات تعترض سبيلها ، وأهم هذه المشكلات :

١- نقص السكان : إذ أن النهضة تحتاج إلى أيدي عاملة تقوم بها ، والأيدي العاملة غير متوفرة ، إذ أن السكان قلة وزيادتهم قليلة ، ويقدر عدد سكان نجد بـ ١٠ مليون نسمة على أكبر تقدير . . . وهذا ما يستدعي استقدام أيدي عاملة من الخارج مما يجعل سكان المنطقة خليطاً غير متجانس . وهذا العدد القادم من العمال يحتاج إلى تأمين الحاجات الضرورية لهم من سكن ومواصلات ومشاف ومدارس وتأمين و . . . وهذا ما تعجز عنه أية دولة وبخاصة أن قدوم العمال مستمر ومتزايد وموافق للنهضة التي تنمو باستمرار أيضاً .

٢- طبيعة المنطقة : تقع منطقة نجد ضمن النطاق الصحراوي الذي تقل فيه المياه وكل عمل يحتاج إلى ماء إضافة إلى ماء الشرب الذي يحتاجه العدد الكبير من السكان القادمين بتزايد واطراد . . . وهذا ما يجعل الدولة في شغل شاغل لتأمين الماء المطلوب . . . وتضطر لأن تقطع المياه عن بعض المناطق في بعض الاوقات أو بعض ساعات من النهار وبخاصة أن المكيفات الصحراوية تستهلك كمية من الماء ، كما يستهلك عمل البناء المتزايد كمية كبيرة ، ويذهب قسم إلى سقي الحدائق

أيضاً وقسم للماء الاحواض وبرك السباحة و... والمنطقة الصحراوية
تقل فيها الموارد مما يجعل الدولة مضطرة إلى استيراد السلع
كافة بكميات كبيرة ... وحتى لا ترتفع الاسعار بسبب
الجشع المتزايد أيضاً فهي تدفع مبالغ طائلة للتجار لتحافظ على
الاسعار ومع ذلك فالغلاء قد استحکم وهو في تزايد .

وأخيراً اضطرت الحكومة الى انشاء شركة للاستيراد لتأمين
المواد الغذائية والضرورية حتى توقف الجشعين من التجار عند
حدهم ، وتخفف من أرباحهم التي لاتعرف حداً .

٣ - **طبيعة السكان :** البدوي من طبيعته المتنقلة
وراء الماء والكلأ يكره الاستقرار ، ويعاف العمل الزراعي ، ويغض
الصناعة ولو عمل أحدهم في مهنة لأصبح عمله سبة عليه ، وغير
من بعده به أحفاده ، ولعلنا نذكر قول جرير يعير الفرزدق إذ كان
جده يعمل في الحدادة .

قرنت العبد عبد بني نسيب . مع القينين إذ غلبا وخابا

وعندما كانت أوضاع السكان فقيرة قبل اكتشاف النفط في
أراضي المملكة ، كانوا يعتنون بأشجار نخيلهم وبعض زراعاتهم
تتمدهم بالغذاء الكافي ولكن عندما تحسنت احوالهم
باكتشاف النفط أهملوا تلك الاشجار ، وعافوا العمل الزراعي ،
وما من قرية تمر عليها إلا وتجد تلك الأشجار الحزينة الباكية على

ماضيها ... وقد جفت سعتها ،ويست جذوعها ...

وتحرص الدولة على تشجيعهم فتدفع لهم المبالغ الكبيرة للعمل والاهتمام بزمروعاتهم ومواشيهم ولكن دون جدوى فهي تدفع سنوياً للفلاح عن كل شجرة نخيل /١٠/ريالات .

وعن كل كيلو حنطة يزرع /١٠/ريالات .

وتدفع لأصحاب الحيوانات سنوياً عن كل رأس من الابل

/٥٠/ريالا .

وعن كل رأس من البقر /٥٠/ريالا .

وعن كل رأس من الضأن /١٠/ريالات .

وكذا عن كل الحاصلات ومع ذلك فالعمل ضعيف ، والانتاج ضئيل ، والمردود قليل . ولا يختلف الامر كثيراً في الأعمال الادارية إذ ترى أن الموظف يأتي إلى عمله متأخراً ، ويضيع القسم الأكبر منه في تناول الشاي الكأس تلو الكأس وقراءة الصحف ، فإذا حان وقت الصلاة انصرف القسم الأكبر من الموظفين ...

وحتى المستخدمين لا ترى منهم من يعمل بل يأتي للعمل ، وتضطّر الدولة إلى جلب مستخدمين من الخارج يعملون في الدوائر الحكومية والادارات ، على حين يجلس أبناء البلاد بلا عمل ، رجلا على رجل ، ينظرون .

٤- الأجانب : : يأتي الغريب وفيه همة للعمل، فعندما

يجد التكاسل يتراخى ولا يقدم إلا القليل ... وتأتي المؤسسات والمقاولون ، ويتعهدون المشروعات ، فلا يخلصون في أعمالهم والمشفون من أبناء البلاد يشجعونهم على ذلك ...

وأصبح الغريب وابن البلد على حد سواء كل يحاول أن يجمع المال بأية وسيلة وبأقرب وقت حتى غدت البلاد كلها سوقاً .. فنجد المنتجات التي تزرع في البلاد أغلى أسعاراً من مثيلاتها المستوردة من الخارج ومن مسافات بعيدة .. وكل شيء يرتفع بسرعة .. حتى عجزت الدولة عن حل بعض المشكلات التي منها تأمين السكن ، وتأمين العمال ، والحد من الغلاء وتشجيع الانتاج ، والحث على العمل في الدوائر ، وارتفاع مستوى المردود رغم كل ماتبذل وكل ماتقدم ...

ومع ذلك فالنهضة مستمرة وإن كانت تترنح بسبب هذه المشكلات .

هـ - التقليد : الذي بدأ يسري في أبناء البلد إذ غدوا يقلدون الأجانب الذين بجانبهم في داخل البلاد ، وفي الصيف خارج حدود المملكة ، وبذلك بدأت نجد تفقد مقوماتها وتتنازل عن شخصيتها التي كانت متميزة بها والتي احتفظت بها ردهاً من الزمن ، وكان يعتز بها أبناؤها ، فأصبح شبابها يتعدون عنها ، ويسقطون صرعى التقليد ... وستصبح قريباً مثل جاراتها من المناطق العربية المسلمة التي سارت شوطاً وراء أوروبا وحضارتها

المادية إن استمر التقليد ونرجو ألا يستمر •

هذه لمحة موجزة عن نجد في طبيعتها وسكانها ، في ماضيها البعيد وحاضرها القريب ، لم أطلب فيها لأن القصد من هذه السلسلة إنما هو التعريف بالمنطقة وإعطاء فكرة عامة عنها ، ومن أراد الزيادة فالمراجع متوفرة ، وقد أثبت بعضها في نهاية هذا الكتيب •

إن الأرض جميلة ... وفي السكان خير كبير لو عدلوا عن بعض العادات ، وفيهم ذكاء فطري ، وخلق قوييم ... وأدب رفيع قلما يتوافر في منطقة أخرى •

وإن الدولة ترعى شعبها ، وتسعى وراء إسعاده ، وتبذل الجهد لتفسير ما تراها ضرورياً ، ولكن الشر لم ينضج بعد ولم تقطف منه شيئاً ...

وإن هذه السوق التي تستقدم الملايين يجب أن يرعوا حق الله في أبنائها ... ومن الواجب أن توضع لهم الضوابط حتى يتصرفوا بما تقتضيه عادات المنطقة وتقاليدها •

وإن الكبت الذي أوجدته الظروف لن يزول إلا بكثير من المصارحة والصدق والتوجيه الصحيح قبل أن يفلت زمام الامر •

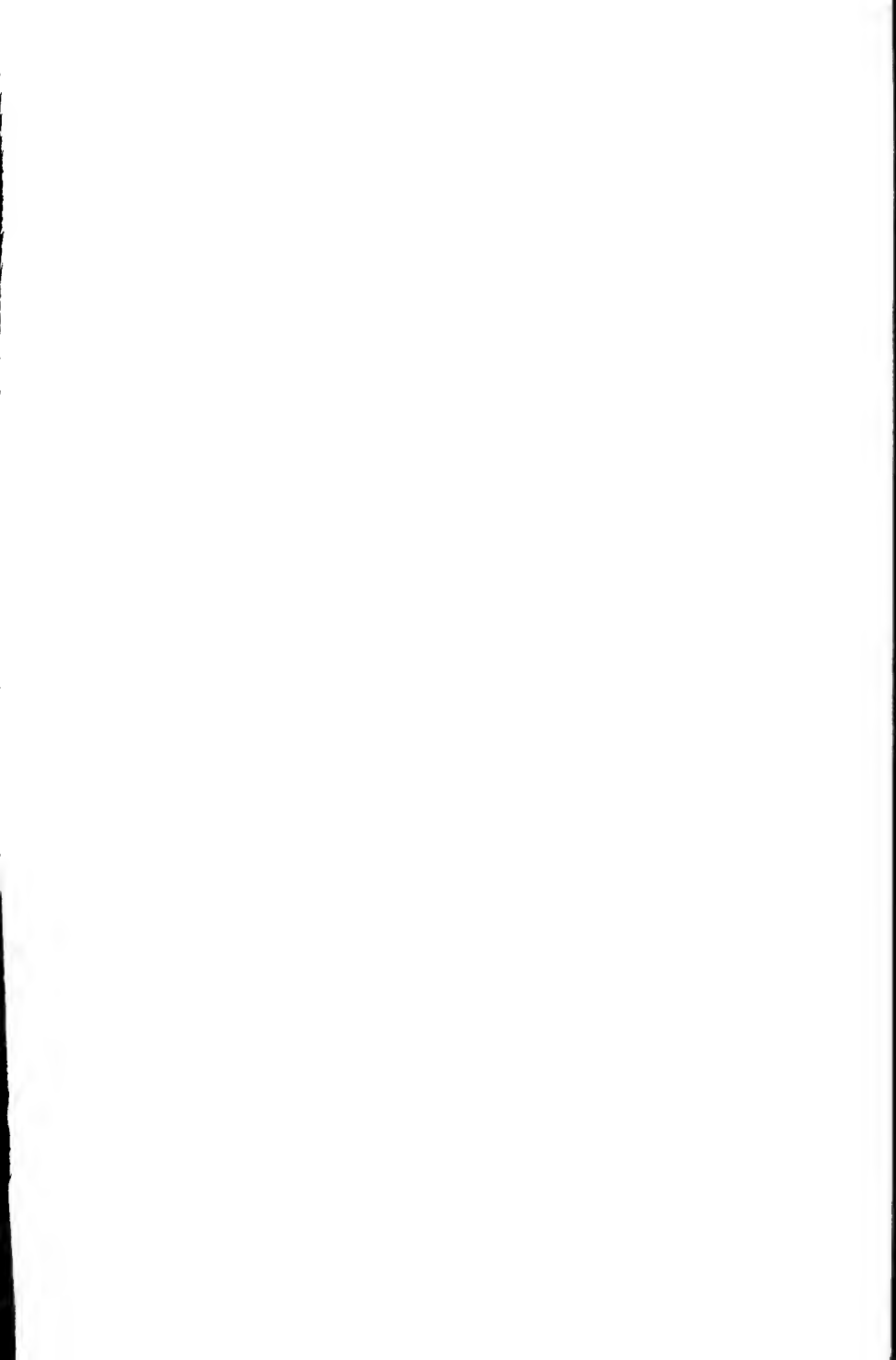
وإن النفاق الذي درج عليه الكثير من الناس وبخاصة الذين لا يتوقع منهم يجب أن يوضع لهم الحد وتكون النصيحة لله ولرسوله ولعامة المؤمنين وخاصتهم ... بخاصة أن العربي عرف

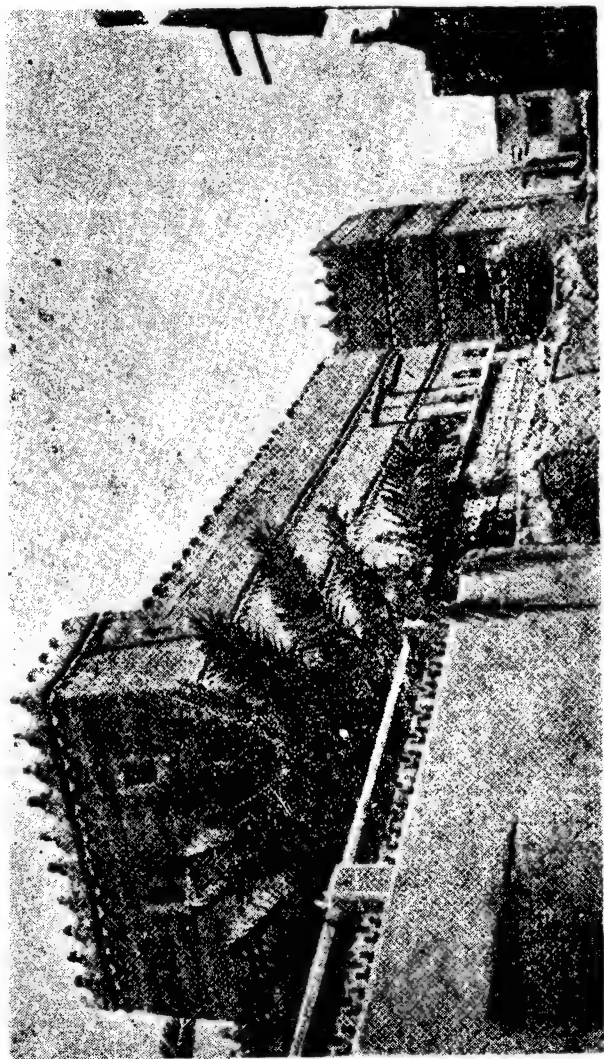
بالصراحة وعدم الخوف من الحق ، وجاء الاسلام ققوى هذا الجانب وطلب من اتباعه ألا يخافوا في الحق لومة لائم • وإن هذا النفاق كثيرا مايجعل المسؤولين لا يطلعون على حقيقة الأمور فيصلحونها ، ولا يعرفون ماتحتاج اليه البلاد فيقدمون لها ••

وإن التبذير في المال الذي عم ، والتبديد في الثروة الذي شاع ، والادخار في مصارف خارجية يجب أن ينهى أمره وتستفيد منه الأمة كاملة ، ولا يقدم شيء إلا لمن يستحق من المسلمين لاسواهم •

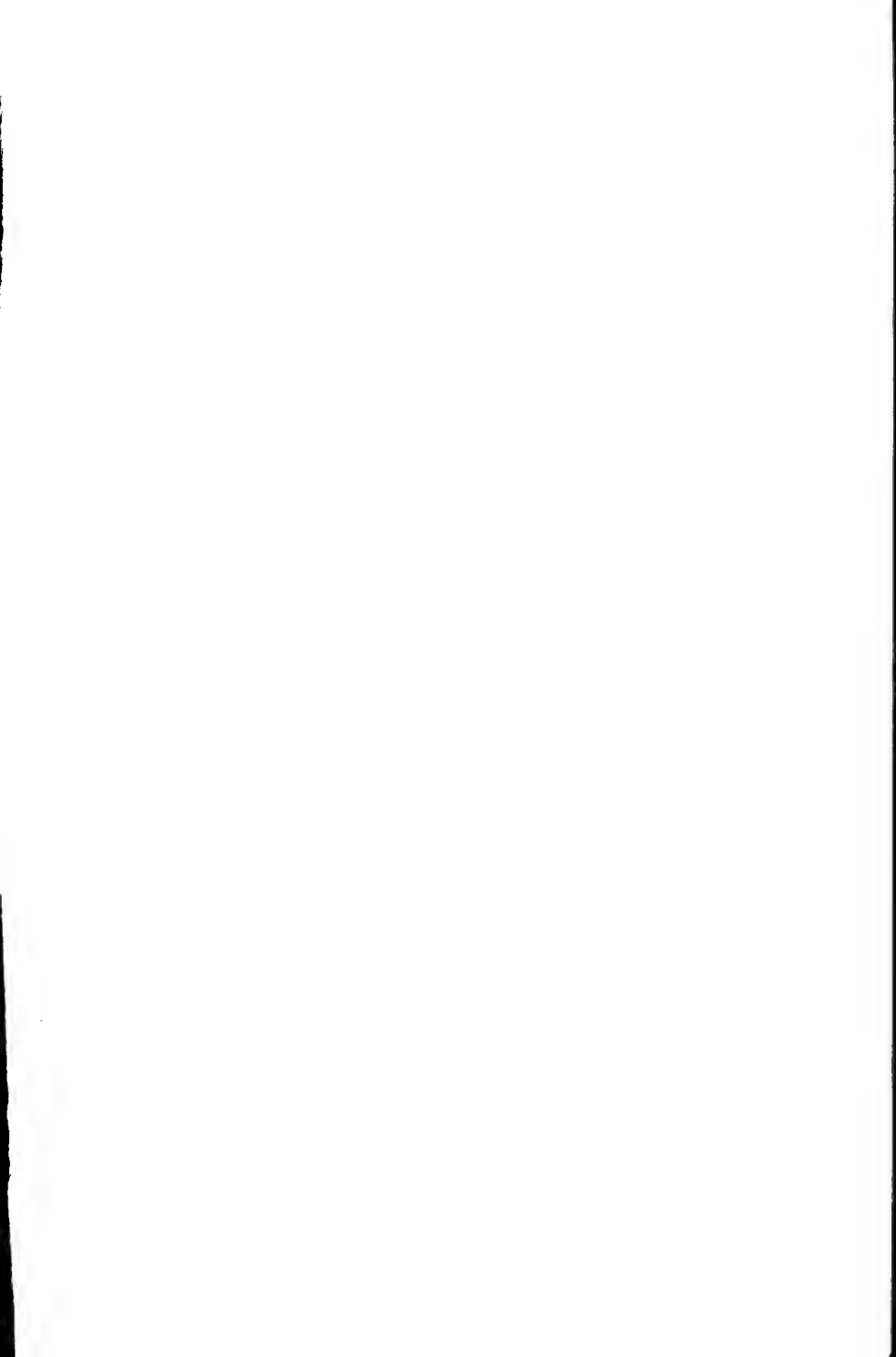
وإن النعمة التي أبطرت الكثير يجب أن توقف عند حد ••• قبل أن يسلط الله علينا من لا يخافه ولا يحذره ، أو يخسف الله بنا الارض « وكأين من قرية كانت آمنة مطمئة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الخوف والجوع بما كانوا يصنعون » •

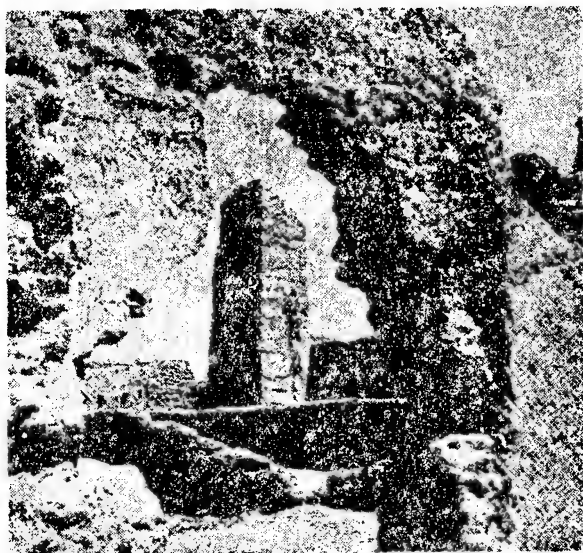
والله نسأل التوفيق والاخلاص في العمل ، وسداد الخطا وهو نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •



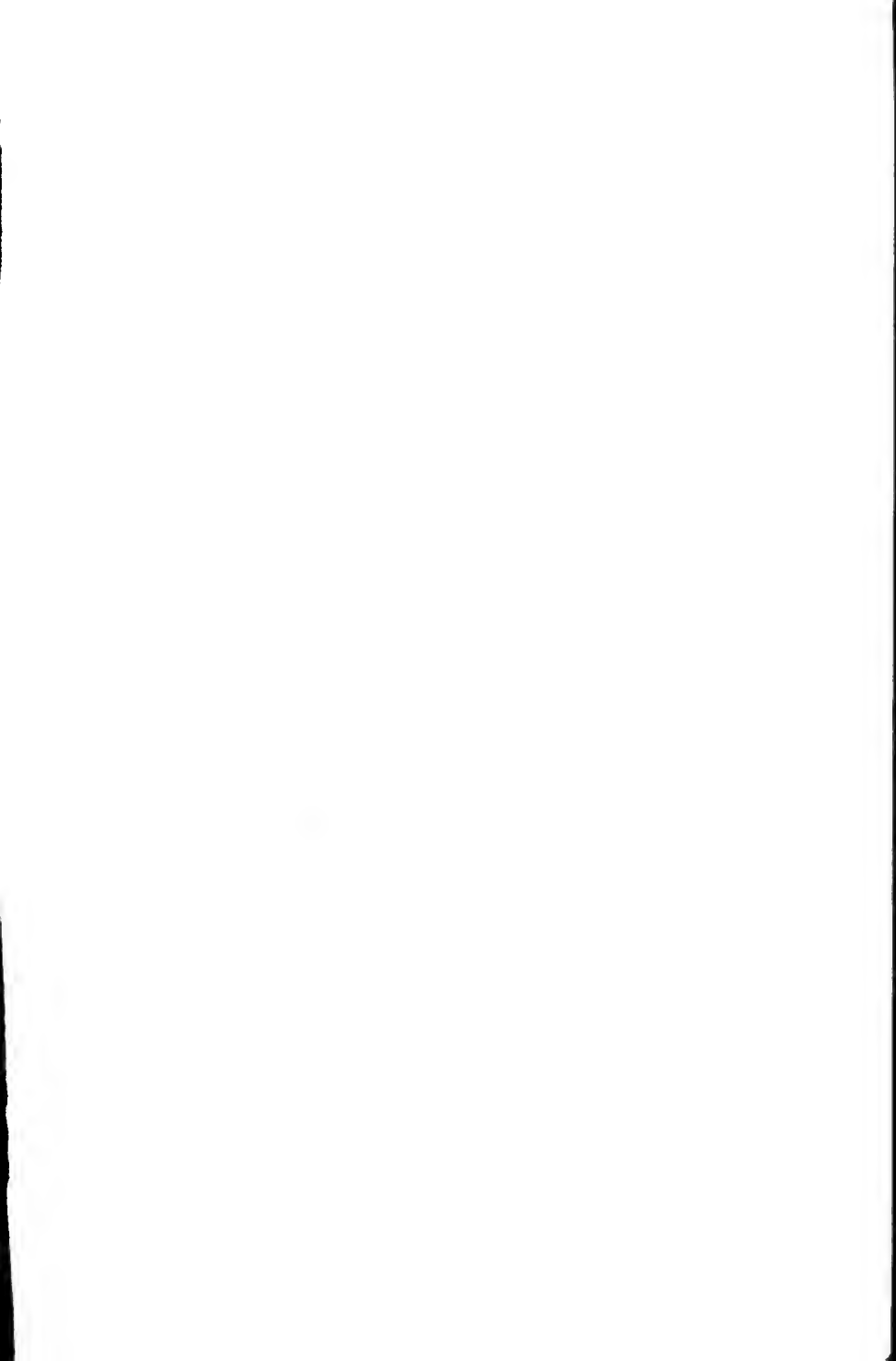


من آثار نجد





من آثار نجد



المراجع

- ١ - الأزهار النادية في اشعار البادية نشر مكتبة المعارف بالطائف محمد سعيد كمال
- ٢ - الاعلام خير الدين الزركلي
- ٣ - البداية والنهاية ابن كثير
- ٤ - الدولة السعودية الثانية عبد الفتاح ابو علي
- ٥ - الدول الاسلامية ستافلي لين بول - الترجمة العربية
- ٦ - القول السديد في إمارة آل الرشيد - سليمان بن صالح الدخيل
- ٧ - الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب عبد الرحمن ابن حمد بن زيد المغيري •
- ٨ - المجاز بين اليمامة والحجاز - عبد الله بن محمد بن خميس
- ٩ - الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز خير الدين الزركلي
- ١٠ - امكانية التنمية الزراعية حسن حمزة حجرة
- ١١ - بلاد العرب الاصفهاني

- ١٢ - تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد إبراهيم
ابن صالح بن عيسى - أشرف على طبعه حمد الجاسر
- ١٣ - تاريخ نجد حسين بن غنام
- ١٤ - تاريخ البلاد السعودية منير العجلاني
- ١٥ - تقويم البلدان الاسلامية اصدار المؤتمر الاسلامي
كراتشي ١٩٦٤
- ١٦ - تقويم العالم الاسلامي اصدار جمعية الدراسات
الاسلامية بالقاهرة ١٩٧٠
- ١٧ - جغرافية البلاد العربية مصطفى الحاج ابراهيم
- ١٨ - جمهرة أنساب العرب ابن حزم - تحقيق عبد
السلام هارون
- ١٩ - شبه جزيرة العرب - عسير محمود شاكر
- ٢٠ - صحيح الأخبار عما ورد في بلاد العرب من الآثار
محمد بن عبد الله بن بليهد
- ٢١ - صفة جزيرة العرب الهمداني
- ٢٢ - صور من حياة الصحابة عبد الرحمن رأفت
الباشا
- ٢٣ - صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن
التاسع عشر جورج أوغست فاين ترجمة سمير سليم
شبيلي
- ٢٤ - عقد الدرر إبراهيم بن عيسى

- ٢٥ - عنوان المجد في تاريخ نجد عثمان بن بشر
- ٢٦ - قادة الفتح محمود شيت خطاب
- ٢٧ - قلب جزيرة العرب فؤاد حمزة
- ٢٨ - كنز الأنساب ومجمع الآداب حمد بن ابراهيم الحقييل
- ٢٩ - لمع الشهاب في سيرة محمد عبد الوهاب تحقيق مصطفى ابو حاكمة
- ٣٠ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة عمر رضا كحالة
- ٣١ - نبذة تاريخية عن نجد ضاري بن فهد الرشيد
- ٣٢ - نجد وملحقاته امين الريحاني
- ٣٣ - نهاية الآداب في معرفة أنساب العرب القلقشندي ابراهيم الايباري
- ٣٤ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين محمد الخضري

فهرس المصورات

٣٤	نجد
٣٩	الاودية
٤٧	منطقة الخرج
٥٠	منطقة الحوطة
٥٣	منطقة الأفلاج والدواسر والسليل
٥٤	منطقة القويعة وعرض ابني شمام
٥٧	مناطق ضرمى والوشم والسر
٥٩	منطقة الشعب والمحمل
٦٢	منطقتا سدير (الغاط والزلفي)
٦٨	غربي القصيم (وادي الرمة الأوسط)
٦٩	منطقة القصيم (وادي الرمة الاسفل)
٨١ - ٨٢	حائل
٨٦	منطقة عالية نجد
١١١	المناطق الآهلة بالسكان في نجد
١١٢	القبائل العربية في نجد عند ظهور الاسلام
١٢٨	مسير القادة لقتال المرتدين
١٢٩	طريق خالد الى بني حنيفة
١٧٦	القبائل العربية في نجد حالياً
٢٣٦	إمارة آل عائض

فهرس الموضوعات

٣	مقدمة
٦	في ربوع الجزيرة
١١	نجد
١٧	أرض نجد
٢٣	المناخ
٣٠	اليمامة
٦٢	القصيم
٧٤	حائل
٨٣	عالية نجد
٨٧	مشروعات الري
٩٣	نسب السكان
١٠٧	مع التاريخ
١٠٩	نجد وظهور الاسلام
١٢٣	فتح نجد
١٣٤	نجد في العهد الراشدي
١٣٩	نجد في العصر الأموي
١٤٣	نجد في العصر العباسي
١٦٥	نجد في العهد العثماني

١٧٧	السعوديون
١٧٩	الدولة السعودية الأولى
١٨٧	الحملة المصرية
١٩١	عبد الله بن سعود
١٩٤	الدولة السعودية الثانية
١٩٧	فيصل بن تركي
٢٠٣	عبد الله بن فيصل
٢٠٧	الدولة السعودية الثالثة
٢١٢	المملكة العربية السعودية
٢١٥	شرافة مكة
٢٢٠	إمارة آل رشيد
٢٢٨	إمارة آل عائض
٢٣٧	مع الحياة الاجتماعية
٢٧١	مشكلات نجد
٢٧٨	المراجع
٢٨١	فهرس المصورت

